مختصر
السيرة النبوية
من مصادرها الأصلية

بقلم

الأستاذ الدكتور مهدي رزق الله أحمد

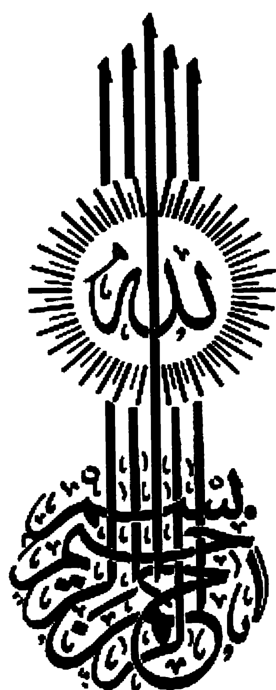
الأستاذ (سابقا) بقسم الثقافة والدراسات
الإسلامية كلية التربية - جامعة الملك سعود
السعودية - الرياض



مكتبة الرشد
rushd bookstore

مختصر السيرة النبوية

من مصادرها الأصيلة


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

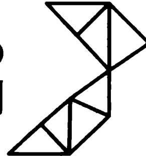
مختصر السيرة النبوية

من مصادرها الأصيلة

بقلم

الأستاذ الدكتور مهدي رزق الله أحمد

الأستاذ (سابقًا) بقسم الثقافة الإسلامية
قسم الدراسات الإسلامية كلية التربية
جامعة الملك سعود



مكتبة الرشد | rushd bookstore

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أحمد، مهدي رزق الله

مختصر السيرة النبوية/ مهدي رزق الله أحمد - الرياض ١٤٣٦هـ

ردمك ٤-٣١-٨١٦٦-٦٠٣-٩٧٨

١- السيرة النبوية أ - العنوان

ديوي ٢٣٩ ١٤٣٧/ ٩٨٩١

ردمك ٤-٣١-٨١٦٦-٦٠٣-٩٧٨ رقم الإيداع ١٠٩٦ /١٤٣٦



المملكة العربية السعودية – الرياض

الإدارة : العليا فيو – طريق الملك فهد

ص.ب: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ ☎ :٠١١٤٦٠٤٨١٨ – 🖷 :٠١١٤٦٠٢٤٩٧

 @ALRUSHDBOOKSTORE

 info@rushd.com.sa

 www.rushd.com.sa

فروعنا داخل المملكة

المركز الرئيسي بالرياض: الدائري الغربي	✆: ٠٠٩٦٦٥٥٥٠٧٠٤٥٩
فرع التعاون بالرياض :	✆: ٠٠٩٦٦٥٠٠١٢٨١٩٢
فرع مكة المكرمة :	✆: ٠٠٩٦٦٥٠٠٢٨٦٤٢٩
فرع المدينة المنورة :	✆: ٠٠٩٦٦٥٠٠٣٢٧٠١٥
فرع جدة :	✆: ٠٠٩٦٦٥٠٠٥٢٩٥٠٣
فرع القصيم :	✆: ٠٠٩٦٦٥٠٠٢٣٦٧٣٢
فرع خميس مشيط :	✆: ٠٠٩٦٦٥٠٠٣٥٣٤٩٣
فرع الدمام :	✆: ٠٠٩٦٦٥٠٠١٥٩٢٩٠
فرع حائل :	✆: ٠٠٩٦٦٥٠٠٣١٥٣٢٨
فرع الإحساء :	✆: ٠٠٩٦٦٥٥٩٤٦٧١٢٩
فرع تبوك:	✆: ٠٠٩٦٦٥٠٠٤٣٠٣٨٩
المستودع الرئيسي-الرياض	✆: ٠٠٩٦٦٥٠٠٣٤٧٠٧٥

فروعنا في الخارج

القاهرة	✆: ٠٠٢٠٢٧٤٤٦٠٥/٠٠٢٠٢٢٧٧٢٨٩١١

المقدمة

(١) أهمية السيرة النبوية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء: ١]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أيها القارئ الكريم: يكفي السيرة النبوية أهمية أنها المصدر الثاني لعلوم الشريعة والعقيدة والسلوك والثقافة والدعوة الإسلامية، بعد المصدر الأول: القرآن الكريم؛ فهي وحي كالقرآن، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النّجم: ٣-٤]. وهذا المصدر الأول نزل منجمًا حسب وقائع وأحداث السيرة النبوية، لذا لا يفهم أو يفسر القرآن إلا في ضوء معرفة أحداث السيرة النبوية وتبيين الرسول ﷺ له بسيرته. وذلك واضح في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النّحل: ٤٤].

والسنة، التي هي السيرة، والحكمة، تذكر بعد القرآن، كما في قوله عز وجل: ﴿...وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجُمُعَة: ٢]، وقوله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

ولا يتصور إسلام بلا سنة. قال عليه الصلاة والسلام: «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شبعانًا على أريكته يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه . . .**» [أحمد (١٧١٧٤) صحيح].

وقد عرف السلف الصالح أهمية السيرة النبوية بما في ذلك أحداث الغزوات والسرايا، التي عرفت بالمغازي؛ ولأن الناس أخذت تهمل جانب هذه المغازي من السيرة النبوية، كان التنبيه إلى أهميتها، لأنها سنة.

ورحم الله الأئمة من السلف، أمثال: زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، القائل: (كنا نُعَلَّمُ مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السورة من القرآن)؛ والإمام الزهري - أحد أبرز رجال الكتب الستة وغيرها - الذي قال: (في علم السيرة علم الدنيا والآخرة)؛ وإسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، القائل: (كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا) [والغزوة: هي الجيش الذي خرج على رأسه الرسول ﷺ؛ والسرية: هي الجيش الذي عقد ﷺ لواء إمرته لأحد الصحابة ﷺ]؛ ويقول - أي إسماعيل -: (يا بني! هذا شرف آبائكم، فلا تضيعوا ذكرها) [انظر: الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع]؛ وعبيد الله بن عتبة، القائل عن حلقة ابن عباس ﷺ العلمية في السيرة: (ولقد كنا نحضر عنده فيحدثنا العشية كلها في المغازي)؛ وابن حزم الظاهري - الإمام - القائل: (إن سيرة محمد ﷺ لمن تدبرها تقتضي تصديقه ضرورة، وتشهد له بأنه رسول الله ﷺ حقًا، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته ﷺ لكفى). [انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل له]؛ وابن القيم، القائل: (ومن هنا نعلم اضطرار العبد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول ﷺ وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، . . . وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس

في هذا بين مستقلٍّ، ومستكثر، ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم) [زاد المعاد في هدي خير العباد، ص ٦٩-٧٠، ط١٣، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة].

ولتحقق مفهوم أن السيرة النبوية ليست فقط أحداث الغزوات والسرايا ألّفنا هذا الكتيب المختصر، ومن قبله المطول قليلاً: (**السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، طبعة الرياض، وطبعة بيروت**). وكان البحث في هذه السيرة من المصادر الأصيلة: القرآن الكريم وتفاسيره المعتمدة، وغربلتها، ودواوين السنة المختلفة المعتمدة، واعتماد الصحيح والحسن والحسن لغيره في المقام الأول، وكتب المغازي والسير، التي اعتمدنا على الثمين فيها وأعرضنا عن الغث.

ونأمل من القراء الرجوع إلى مؤلفنا المشار إليه للوقوف على ما أجملناه في هذه المقدمة وفي فصول ومباحث هذا الكتيب.



(٢) رموز مختصرة لأسماء المصادر كثيرة التكرار

بخ: صحيح البخاري
م : صحيح مسلم
د : سنن أبي داود
تر : سنن الترمذي
ن : سنن النسائي
نعل : النسائي : عمل اليوم والليلة
مج : سنن ابن ماجه
مي : سنن الدارمي
طس : طبقات ابن سعد
حم : مسند الإمام أحمد بن حنبل
حفض : فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل
ط : موطا الإمام مالك
طبك : المعجم الكبير للطبراني.
طبأ: المعجم الأوسط للطبراني
طبص : المعجم الصغير للطبراني
هش : سيرة ابن هشام
قد : مغازي الواقدي
حق : سيرة ابن إسحاق عند ابن هشام
حس : السير والمغازي لابن إسحاق
ب : البزار
حب : صحيح ابن حبان
بهد : دلائل النبوة للبهيقي
بهس : سنن البيهقي
بهش : شعب الإيمان للبيهقي
حك : المستدرك على الصحيحين للحاكم
حص : الإصابة لابن حجر
حف : فتح الباري لابن حجر
عا : الاستيعاب لابن عبد البر
ذ س : السيرة النبوية للإمام الذهبي
طبت : تاريخ الطبري
كت : تاريخ ابن كثير (البداية والنهاية)
كتف : تفسير ابن كثير
عم : مصنف عبد الرزاق الصنعاني
هك : كشف الأستار للهيثمي
هم : مجمع الزوائد للهيثمي
ند : دلائل النبوة لأبي نعيم

التمهيد

الحياة السياسية والدينية والاجتماعية في الجاهلية العربية.

المبحث الأول : الحياة السياسية عند العرب في الجاهلية:

لقد عاشت البشرية في ظلام من الجاهلية في القرنين السادس والسابع الميلاديين، إذ سادت الوثنيات والخرافات والعصبيات والقبليات والطبقيات والمفاسد الاجتماعية والسياسية، وحرفت معظم الأفكار الإصلاحية، سواء التي جاء بها أنبياء الله المرسلون، أو الحكماء الذين استقامت فطرتهم على الحق. وقد عبر الرسول ﷺ عن هذه الحقيقة في قوله : " إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم جميعاً، إلا بقايا من أهل الكتاب" [مسلم، ح (٢٨٦٥)].

ونذكر هنا باختصار ما كانت عليه الجزيرة العربية في تلك الفترة، لبيان ضرورة رسالة النبي محمد ﷺ وما تضمنته من أسس ومعايير كانت - ومازالت، وستظل - عوامل رئيسة في بناء الحضارة الإنسانية.

(أ) الحياة السياسية في اليمن:

إن من أقدم الشعوب التي عرفت باليمن من العرب العاربة قوم سبأ، الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم. وفي سنة ثلاثمائة للميلاد غلبت على ملكهم قبيلة حمير، ثم بدأت اليمن في طور الانحطاط، وأخذت القبائل القحطانية في الهجرة إلى البلاد المختلفة.

وتوالت عليهم الاضطرابات والحروب الأهلية في المائتين والسبعين سنة التي سبقت دخول الإسلام اليمن، مما أتاح للأجانب القضاء على استقلالهم. فدخلت الرومان عدن، وبمعونتهم احتلت الأحباش اليمن لأول مرة سنة **٣٤٠**م، مستغلين التنافس بين قبيلتي همدان وحمير، واستمر

احتلالهم إلى سنة ٣٧٨م، ثم نالت اليمن استقلالها ولكن سلط الله عليهم سيل العَرِم سنة ٤٥٠م أو ٤٥١م فهدم سد مأرب الذي جعله الله تعالى مصدر نعمة ورخاء لهم. [تاريخ : اليعقوبي (١/ ٢٠٥)].

وقام ملكهم ذو نواس سنة ٥٢٣م بحملة ضد النصارى لصرفهم عن دينهم. فلما أبوا حفر أخدوداً، وأوقد فيه ناراً، فقذفهم فيها، وهم الذين حكى الله تعالى خبرهم في الآيات : ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝﴾ [البُرُوج: ٤-٨].

وكان هذا سبباً في تحريض الروم والأحباش ليحتلوا اليمن للمرة الثانية بقيادة أرياط سنة ٥٢٥م، وظل حاكماً على اليمن إلى أن اغتاله أبرهة - أحد قواد جيوشه - وحكم مكانه بعد أن نال رضاء ملك الحبشة.

وقام أبرهة بمحاولة هدم الكعبة بمكة، ولكن الله تعالى رده، كما حكى ذلك القرآن الكريم في سورة الفيل.

واستنجد اليمانيون بالفرس، فأعانوهم على إجلاء الأحباش سنة ٥٧٥م، بقيادة معد يكرب بن سيف بن ذي يزن الحميري، وملكوه عليهم. وكان قد أبقى جمعاً من الحبشة لخدمته، فاغتالوه. وبموته انقطع الملك عن بيته، وولى كسرى عاملاً فارسياً على صنعاء، وجعل اليمن ولاية فارسية، وكان آخر ولاتهم عليها باذان، الذي دخل في الإسلام، وبإسلامه انتهى نفوذ الفرس في اليمن. [تاريخ اليعقوبي (١/ ٢٠٠)]. وكان إسلام باذان في جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة النبوية، التي يقابلها العام ٦٢٨م. [ابن سعد : الطبقات (١/ ٢٦٠)].

(ب) الحياة السياسية في الحيرة :

حكمت الفرس العراق وما جاورها منذ أن جمع شملهم قورش الكبير (٥٥٧ - ٥٢٩ ق.م). ثم فرق شملهم الإسكندر المقدوني سنة ٣٢٦ ق.م، عندما هزم ملكهم دارا الأول. ودخلت البلاد في حكم الطوائف إلى سنة ٣٣٠م.

وهاجر القحطانيون في حكم هؤلاء الملوك، وسكنوا جزءاً من ريف العراق، ثم لحقهم من هاجر من العدنانيين، فزاحموهم حتى سكنوا جزءاً من الجزيرة الفراتية. وجمع أردشير الفارسي - مؤسس الدولة الساسانية منذ سنة ٢٢٦م - شمل الفرس، وسيطر على العرب المقيمين على تخوم مملكته، وكان سبباً في رحيل قضاعة إلى الشام، ودان له أهل الحيرة والأنبار، ورأى أن ينصب عليهم ملكاً منهم اسمه جذيمة الوضاح، ويعينه بكتيبة من الفرس، ليقفوا جميعاً في وجه مطامع الروم وعرب الشام الذين اصطنعهم الروم، كل ذلك لصعوبة حكم المناطق البعيدة.

واشتهر من ملوك الحيرة النعمان بن المنذر ؛ وهو الذي خاض حرباً ضد ملك الفرس، وهزم جيش الفرس في موقعة ذي قار، بعد ميلاد الرسول ﷺ، وهو أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم [ابن الأثير : الكامل في التاريخ (١/ ١٧١ - ١٧٤) ؛ اليعقوبي : التاريخ (١/ ٢١٤)]. وقيل إن الرسول ﷺ قال : «هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا» [الطبري : التاريخ (٢/ ١٩٣)].

(ج) الحياة السياسية في الشام :

لقد سارت بطون من قضاعة إلى مشارف الشام في العهد الذي ماجت فيه العرب بهجرات القبائل، وعرفوا بالضجاعمة، فاصطنعهم الرومان، ليمنعوا عرب البرية من العبث، وليكونوا عدة ضد الفرس، وولوا منهم ملكاً، ثم تعاقب الملك فيهم زماناً إلى أن غلبهم عليه الغساسنة.

وظل الغساسنة في الملك من قبل الروم إلى أن كانت وقعة اليرموك سنة ١٣هـ / ٦٢٤م، ودخل في الإسلام آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم في عهد عمر رضي الله عنه. [تاريخ اليعقوبي [(١/ ٢٠٦)].

(د) الحياة السياسية في مكة :

لم يقم بالحجاز كيان سياسي موحد يمكن أن يسمى بالدولة، وإنما قامت بها مدن لكل منها نظامها السياسي، الذي هو أقرب إلى المشيخة منه إلى نظام الملك. ومن أشهر المدن : مكة ويثرب والطائف.

وأصل سكان مكة قبيلة جُرْهُم، وقيل : كان قبلهم العماليق، الذين كانوا يسكنون خارجها، أى حولها .[الأزرقي : أخبار مكة (١/ ٥٤)].

لم تحافظ جرهُم على الحرم بعد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. فكثر في أيامهم البغي والفساد، واغتصب بعضهم مال الكعبة الذي كان يهدى إليها. ويقال إن ماء زمزم نضب في عهدهم، كما أن البئر نفسها زالت معالمها. وعندما تفرق بعض عرب اليمن بعد سيل العرم، هاجر ثعلبة بن عمرو بن عامر مع قومه إلى مكة، ولم تقبلهم جرهم، ودارت بينهم حرب انتهت بهزيمة جرهم.

وعندما مرض ثعلبة رحل إلى الشام، وولي أمر مكة وحجابة الكعبة ابن أخيه ربيعة بن الحارثة بن عمرو، وهو لُحَي، وعرف قومه بخزاعة، وقد انحاز إليهم بنو إسماعيل عليه السلام، وكانوا قد اعتزلوا الحرب التي دارت بين جرهم وثعلبة .[الأزرقي : (١/ ٩٠ - ٩٦) ؛ ابن هشام : (١/ ١٦٠ - ١٦١)].

ظلت خزاعة تلي أمر البيت الحرام نحواً من ثلاثمائة سنة، وقيل خمسمائة سنة، وكانت قريش إذ ذاك متفرقة في بني كنانة حتى تزعمها قصي بن كلاب، فوحد بطونها، وخاض حرباً ضد خزاعة حول ولاية البيت. وأعانته قضاعة على حربه، وتدخلت قبائل العرب الأخرى، وانتهت الحرب بالتحكيم، الذي نتج عنه أحقية قصي بولاية الكعبة، ومنذ ذلك اليوم ارتفعت مكانة قريش بين العرب. [الأزرقي : (١ - ١٠٧) ؛ ابن هشام : (١/ ١٦٤ - ١٦٥)].

وقام قصي بتقطيع مكة رباعاً بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منزلهم من مكة. وكانت له جميع الرئاسات، من : حجابة وسدانة ولواء. وبنى داراً لإزاحة الظلمات وفصل الخصومات، سماها " دار الندوة ". وكان يرأس اجتماعاتها، ويدير شؤونها. وفرض على قريش خرجاً سنوياً يؤدونه إليه، لينفق منه على إطعام فقراء الحجاج.

وعندما كبر سن قصي فوض أمر هذه الوظائف إلى أكبر أبنائه - عبد

الدار. ولما مات عبد الدار وإخوته - عبد مناف وعبد شمس وعبد العزى- اختلف أبناؤهم في هذه الرئاسات، وافترقوا إلى فرقتين : فرقة بايعت بني عبد الدار، وفرقة بايعت بني عبد مناف. وأخيراً اصطلح الفريقان على أن تكون الرفادة والسقاية لبني عبد مناف، والحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار .[ابن هشام : (١/ ١١٠ - ١١١ - ١١٥)].

وقسمت الرئاسات التي نالها بنو عبد مناف بين هاشم وأخيه عبد شمس. فكانت السقاية والرفادة لهاشم، والقيادة (اللواء) لعبد شمس .[الأزرقي (١/ ١١٠، ١١١، ١١٥)].

وعندما علت مكانة هاشم بين قومه حسده ابن أخيه أمية بن عبد شمس، وحاول أن ينافسه في إطعام الحجاج، فعجز، فشمت به بعض قومه، فزاد حسده وحقده على عمه.

وولي السقاية والرفادة المطلب بعد وفاة أخيه هاشم. وعندما مات المطلب خلفه أخيه عبد المطلب بن هاشم. وعندما مات خلفه ابنه العباس ابن عبد المطلب. وقد أبقاهما الرسول ﷺ في يده بعد فتح مكة.

أما بنو عبد الدار فقد توارثوا الحجابة واللواء ورئاسة دار الندوة. وقد أبقى الرسول ﷺ الحجابة بأيديهم عندما فتح مكة، ودفع بمفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة، وهي فيهم إلى اليوم. وقيل إن الآية : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النِّسَاء: ٥٨] قد نزلت بهذا الخصوص. [ابن سعد : الطبقات (٨/ ٤٩١ - ٤٩٣)].

ولم يستبعد الطبري [في التفسير] ذلك، وساق أقوالاً أخرى في ذلك. [الطبقات (٨/ ٤٩٣)].

(هـ) الحياة السياسية في يثرب : [وسيأتي خبر تسميتها طيبة وطابة والمدينة].

كان أول من سكنها العمالقة، ثم تغلبت عليهم بعض القبائل اليهودية، فأقاموا بها، خاصة في القرنين الأول والثاني الميلاديين، إثر الحروب التي

شنها الرومان ضد اليهود بسورية، فتفرقوا في البلاد، فلجأت قبائلهم، وعلى رأسهم بنو النضير وبنو قريظة، إلى يثرب. وأقاموا بها حتى نزح إليهم من بلاد اليمن قبائل الأوس والخزرج عندما تهدم سد مأرب .[المقريزي : إمتاع الأسماع (١/ ١٠٥) ؛ الأصفهاني : الأغاني (١٩/ ٩٤)].

عاش اليهود والأوس والخزرج في وئام مدة من الزمان، وتحالفوا ليأمن بعضهم بعضاً، وعندما قويت شوكة الأوس والخزرج تنمر عليهم اليهود، ونقضوا الحلف الذي بينهم، فاستنجد العرب ببني عمومتهم الغساسنة، فنجدوهم أنفة من تسلط اليهود عليهم .[القلقشندي : صبح الأعشى (٤/ ٢٩٤)].

وكذلك عاش الأوس والخزرج في وئام في بداية أمرهم، ثم وقعت بينهم حروب طويلة، كان النصر في أغلب الأحيان للخزرج. ولهذا حاولت الأوس محالفة قريش ضد الخزرج، فلم تفلح. فلجؤوا إلى الحلف مع بني قريظة وبني النضير. وسمعت الخزرج بهذا، فأرسلت تستوضح الموقف، فأفادتهم يهود أنها لاترغب في الحرب، فأرادت الخزرج أن تتأكد من هذا، فطلبت منهم أربعين غلاماً، ليتخذوهم رهائن لديهم. وعندما استجابوا لهم، خيروهم بين الجلاء عن يثرب أو قتل الغلمان، فآثروا الخروج من ديارهم، غير أن كعب بن أسد القرظي أقنعهم بالبقاء والتضحية بالرهائن، فقتل الخزرج الغلمان، فغضب يهود، وجاهروا بحلفهم مع الأوس، ووقفوا معهم في موقعة بعاث، فانتصر الأوس، بعد أن أوقعوا في الخزرج مقتلة عظيمة. ثم تصالح الفريقان، واتفقا على إقامة حكومة تعمل على استقرار الأمن بيثرب، برئاسة عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجى .[السمهودي : الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ٢١٥ - ٢١٩)].

وبينما كانوا يستعدون لذلك قدم الرسول ﷺ إلى المدينة مهاجراً، فدان الجميع لسلطان الإسلام بزعامة النبي ﷺ. ولم يجد ابن سلول بداً من الدخول في الإسلام نفاقاً بعد غزوة بدر الكبرى. إذ دلت مواقفه بعد ذلك على نفاقه الواضح.

أما زعيم الأوس أبو عامر بن صيفي بن النعمان، والد أبي حنظلة الغسيل - [يأتي سبب هذه التسمية في أحداث أحد] فقد أبى إلا الكفر فخرج إلى مكة، ثم إلى الطائف، ثم إلى الروم بالشام، محاولاً في كل أطوار حياته القضاء على الإسلام.

وكان قد ترهب في الجاهلية فسموه "الراهب"، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا الراهب، ولكن قولوا الفاسق» - [ابن هشام (٣/ ٩٧)، مرسلاً، من حديث ابن إسحاق].

(و) الحياة السياسية في الطائف:

عرفت الطائف باسم " وج "، نسبة إلى وج بن عبد الحي، أحد العماليق الذين سكنوها.

رحلت إليها قبيلة هوازن من وادي القرى. وتزوج زعيمها قسب بن منبه ابن بكر بن هوازن بابنة زعيم وج عامر العدواني. واشتهر قسب باسم ثقيف فيما بعد.وعندما تكاثروا بنوا سوراً ليكون حصناً، وأطلقوا عليه الطائف، لإطافته بهم - أي إحاطته بهم - ومن ثم عرفت المدينة بالطائف بدلاً من وج .[البكري: معجم ما استعجم (١/ ٧٦)؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان (٦/ ١٢)].

ولم يكن ببلاد الحجاز قبل الإسلام ما يسمى بالدولة، وإنما قامت بها المدن التي علمت، لكل منها نظامها السياسي القبلي الخاص.

❑ المبحث الثاني: الحياة الدينية عند العرب في الجزيرة العربية: ❑

قلنا إن خزاعة استمرت على ولاية الكعبة نحواً من ثلاثمائة سنة، وقيل: خمسمائة سنة، وكانوا قوم سوء في ولايتهم، وذلك لأنه كان في زمانهم أول عبادة الأوثان بالحجاز، بسبب رئيسهم عمرو بن لحي [يأتي ذكره]، الذي زار الشام، ووجد العماليق بمؤاب من أرض البلقاء [مكان بالأردن الآن] يعبدون الأصنام، وقالوا له: إنهم يعبدونها، لأنهم يستمطرونها فتمطرهم، ويستنصرونها فتنصرهم. فطلب صنما، فأعطوه صنم " هبل ".

فجاء به مكة، ونصبه، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه، لأنه كان سيداً مطاعاً فيهم. وعندما بدأ بنو إسماعيل يتفرقون في البلاد أخذوا يحملون معهم من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه، فطافوا به كطوافهم بالبيت، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم. وخلف الخلوف، ونسوا ماكانوا عليه من دين إبراهيم عليه السلام. [ابن هشام (١/ ١٢١)]، من زياداته على سيرة ابن إسحاق].

ثم كثرت فيهم الأصنام، فكان "ود" لبني كلب بن وبرة بدومة الجندل و"سواع" لبني هذيل بمكان يسمى رهاط، على ثلاث ليال من مكة، و"يغوث " لبني أنعم من طيء، ولأهل جرش من مذحج اليمنية، وكان منصوباً بجرش، و" يعوق " لبني خيوان الهمدانيين، و " نسر " لقبيلة ذي الكلاع الحميرية .[ابن هشام (١/ ١٢٣ - ١٣٢)، من حديث ابن إسحاق].

وهذه الأصنام هي التي عبدها قوم نوح، وحكى القرآن الكريم خبرها، قائلاً : ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴿٢٤﴾﴾ [نُوح: ٢٣-٢٤]، فعندما فارق ولد إسماعيل عليه السلام وغيرهم دين إبراهيم عليه السلام عبدوا هذه الأصنام وغيرها .[البخاري (٤٩٢٠)].

وكان لخوان صنم يدعى " عم أنس " ، وقيل : " عُمْيَا نِس " ، يقسمون له من أنعامهم وحرثهم قسماً بينه وبين الله - كما يزعمون - وفيه أنزل الله تعالى ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعَام: ١٣٦].

وكان لبني ملكان بن كنانة صنم يقال له : "سعد". وكان لدوس صنم لعمر بن حُمَمَة الدوسي. وكان لقريش مع هبل صنماً : " إساف " و"نائلة" ، على موضع زمزم، ينحرون عندها. قالت عائشة رضي الله عنها : (ما زلنا نسمع إسافاً ونائلة رجلاً وامرأة من جرهم أحدثا في الكعبة، فمسخهما الله عز وجل حجرين) .[ابن هشام (١/ ١٢٧) - حسن لذاته]. واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه. وكان آخر ما يفعلونه عند الشروع في السفر وأول مايفعلونه عند العودة

منه التمسح بالصنم، فلما بعث الله عز وجل محمداً ﷺ بالتوحيد عابوا عليه ذلك، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [صٓ: ٥].

قال أبو رجاء العطاردي رضي الله عنه: (كنا في الجاهلية إذا لم نجد حجراً جمعنا جُثْوة - قطعة - من التراب، وجئنا بالشاة فحلبناها عليه، ثم طفنا به)، [البخاري (٤٣٧٦)].

وروى ابن كثير [في البداية والنهاية (٢/ ٢٠٦)] عدة أحاديث صحيحة تدل على ما ابتدعه عمرو بن لحي في الدين، واتبعه العرب في ذلك، فضلوا ضلالاً بعيداً. من ذلك رواية الشيخين: قال رسول الله ﷺ: " رأيت عمرو بن عامر الخزاعي [أي عمرو بن لحي] يجر قُصْبَهُ [أي أمعاءه] في النار، كان أول من سيب السوائب ... "، ورواية ابن إسحاق [ابن هشام (١/ ١٢١) - حسنة] الأكثر تفصيلا ً لفظها: " إنه كان أول من غير دين إسماعيل، فنصب الأوثان، وبحر البَحِيرة [بنت السائبة، والسائبة: الناقة إذا تابعت بين عشرة إناث ليس بينهن ذكر، سيبت فلم يُركب ظهرها ولم يُجَزَّ وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذنها، ثم خُلِّيَ سبيلها مع أمها، فهي البحيرة بنت السائبة] وسيب السائبة، ووصل الوصيلة [الشاة إذا جاءت باثنين في بطن واحد]، وحمى الحامي [الفحل إذا نُتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر حُمي ظهره فلم يركب ولم يجز وبره، وخلي في إبله يضرب فيها]. وقد أنكر الله تعالى عليهم ذلك في أكثر من آية، فقال: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَذَا حَلَٰلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ﴾ [النحل: ١١٦]. قال بن عباس رضي الله عنهما (إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ مافوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام ...) ففيها خلاصة عبادة العرب وما نتج عن ذلك من ممارسات اجتماعية ضارة .[طبق (١٣٩٥٣)] - وانظر خاصة الآيات: ١٣٥ وما بعدها إلى ١٥٣.

ولم يبق من دين إبراهيم عليه السلام إلا القليل، مثل تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمرة، والوقوف بعرفات والمزدلفة، وإهداء البدن، مع إدخالهم في هذا ما ليس منه. فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا بالحج أو العمرة

قالوا لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك"، فيوحدونه بالتلبية، ثم يدخلون معه أصنامهم، ويجعلون ملكها بيده". [هش (١/ ١٢٢)]. وكانوا يطوفون بالبيت عراة، وهم يصرخون.

واتخذت العرب طواغيت مع الكعبة، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة وحجاب، ويهدى لها، ويطاف بها، وينحر عندها. فكانت لقريش وبني كنانة " العزى " بنخله، وكان سدنتها من بني شيبان، من سليم حلفاء بني هاشم " وكانت اللات " لثقيف بالطائف، وسدنتها وحجابها من بني مُعَتِّب، من ثقيف، وكانت " مناة " للأوس والخزرج ومن دان بدينهم، بناحية المُشَلل بقُدَيد. وهذه الطواغيت هي التي أشار إليها القرآن الكريم في الآية : ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ١٩-٢٠]. وكان " ذو الخَلَصَة " لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبَالة، وكان يقال له : " الكعبة اليمانية "، ويقال لبيت مكة " الكعبة الشامية ". وكان " فُلْس " لطيء ومن يليها بجبلي طيء، يعني أجا وسلمى. وكان " رئام " بيتاً لحمير وأهل اليمن. وكانت " رُضَاء " بيتاً لبني ربيعة بن كعب. وكان " ذو الكعبات : لبكر وتغلب ابني وائل وإياد، بسَنْداد.

وكان للعرب أصنام أخرى غير التي ذكرناها، حفلت بذكرها المصادر المختلفة [اليعقوبي : التاريخ (١/ ٢٥٥ وما بعدها)].

وهناك روايات طريفة عن موقف بعض العرب من أصنامهم. من ذلك ما روي من أن السائب بن عبد الله كان له حجر نحته بيده ليعبده، فيجيء باللبن الخاثر الذي ينفسه فيصبه عليه، فيجيء الكلب فيلحسه، ثم يَشْغَر [يرفع إحدى رجليه] فيبول ... وما روي من أن بني حنيفة اتخذوا في الجاهلية إلاهاً من حيس [أقط - لبن مجفف، يخلط بالتمر والسمن]، فيعبدوه دهراً طويلاً، ثم أصابتهم مجاعة، فأكلوه، فقال رجل من بني تميم يعيرهم بذلك : [كما ذكر ابن قتيبة في المعارف، ص ٦٢١] :

أكلت حنيفة ربها من جوع قديم ومن إعواز

وقال آخر :

أكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعة
لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة

وهناك قصة الرجل المدعو راشد بن عبد ربه، [وكان اسمه غاوي بن عبد العزى] الذي قال شعراً في صنم لهم - أي قومه بني سليم - عندما رأى ثُعْلُباناً يبول عليه [طس (١/ ٣٠٧)] :

أَرَبٌّ يبول الثُّعْلُبَانُ برأسه لقد ذَلَّ من بالت عليه الثعالب

وظهرت في بلاد العرب إلى جانب عبادة الأصنام عبادة النجوم والكواكب، خاصة في حران والبحرين والبادية، ويقال : إنه كان رجل بمكة يدعى " أبو كبشة "، عبد نجماً اسمه الشعرى "، ودعا قريشاً إلى عبادته. وانتشرت هذه العبادة بين بعض قبائل لخم وخزاعة وقريش. وعندما دعا الرسول ﷺ إلى عبادة الله تعالى وحده سموه ابن أبي كبشة، لمخالفته إياهم في العبادة كما خالفهم في عبادتهم من قبله أبو كبشة .[الآلوسي : بلوغ الأرب في أحوال العرب (٢/ ٢٣٩)].

وعُبدت الشمس في بلاد اليمن، وفي ذلك قال الله تعالى في قصة ملكة سبأ - بلقيس -: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النَّمل: ٢٣-٢٤].

وتسربت بعض فرق المجوسية الفارسية إلى بلاد العرب. وفي ذلك يقول ابن قتيبة [في المعارف : ص ٦٢١] : " وكانت المجوسية في تميم، منهم زرارة وحاجب بن زرارة ... وكانت الزندقة في قريش، أخذوها من الحيرة .. وتسربت إلى هجر [البخاري (٦/ ٢٥٧)] من البحرين. وكانوا يقولون : إن قتل عدوهم على أرضهم ينجسها عليهم .[الحاكم (٣/ ٤٥١)، صحيح].

ودخلت اليهودية بلاد العرب بصفة عامة، والمدينة وخيبر ووادي القرى

وفدك وتيماء بصفة خاصة عندما نزح إليها اليهود، ووصلت إلى اليمن، ودان بها ذو نواس الملك الحميري، الذي حرق النصارى في أخدود - كما سبق ذكره - وانتشرت في بني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة، وربما وصلتهم من يهود يثرب وخيبر .[الآلوسي : بلوغ الأرب (٢/ ٢٤١)].

وتسربت النصرانية إلى الغساسنة والمناذرة، ومن أشهر الأديرة في الحيرة : دير هند الأقدم ودير هند اللج، ودير حارة مريم .[البكري : معجم ما استعجم (٢/ ٦٠٦، ٢/ ٥٩٥، ٢/ ٦٠٤)].

وتسربت إلى جنوبي الجزيرة العربية، وأنشئت كنيسة بظفار وأخرى بعدن .[الآلوسي: بلوغ الأرب (٢/ ٢٤١ - ٢٤٤)]. ولنصارى نجران قصة مع الرسول ﷺ في مكة وأخرى بالمدينة.

ودانت بعض قبائل قريش بالنصرانية، منها بنو أسد بن عبد العزى، كما دان بها بنو امرئ القيس بن تميم، وبنو تغلب بن ربيعة، وبعض قبائل قضاعة، وكأنهم تلقوا ذلك عن الروم .[اليعقوبي : التاريخ (١/ ٢١٤)].

وممن تنصر من العرب بنصرانية محرفة : عدي بن حاتم الطائي .[خ (٦/ ٥٣٣) ؛ أحمد المسند (١٩٣٧٨)، بسند حسن].

ولم تنتشر اليهودية والنصرانية انتشاراً واسعاً في بلاد العرب كما هو واضح من تاريخهما وسيرتهما. ولم تندثر تماماً ديانة إبراهيم عليه السلام، بل تمسك بها نفر قليل جداً وسط دياجير ظلام الجاهلية وعبادة الأوثان. وعرفوا بالحنيفيين أو الحنفاء. فقد كانوا يؤمنون بالله تعالى ويوحدونه توحيد ألوهية وربوبية، وينتظرون النبوة .[بلوغ الأرب : (٢/ ٢٨٧ - ٣٤٩)].

وكان منهم : قس بن ساعدة الإيادي، وزيد بن عمرو بن نُفَيل، وأمية ابن أبي الصَّلْت، وأبو القيس بن أبي أنيس، وخالد بن سنان، و النابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، وكعب بن لؤي بن غالب - أحد أجداد النبي ﷺ [ابن كثير : البداية والنهاية (٢/ ٢٣٠ - ٢٦٦)].

وقد سموا بالحنفاء نسبة إلى ما وصف به دين إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم : ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩]، ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آل عِمرَان: ٩٥]. ومع وثنيتهم كانوا لاينكرون وجود الله تعالى [انظر العنكبوت : ٦١ - ٦٣]، ويعرف هذا بتوحيد الربوبية.

❏ المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية عند العرب في الجاهلية: ❏

إن الحياة الاجتماعية في أي مجتمع من المجتمعات لاتكاد تنفصل عن الحياة الدينية والاقتصادية، لأن الوثنية التي سادت بين العرب كانت ضد الفطرة والمنطق، فقد نتج عن ذلك مظاهر اجتماعية ضد الفطرة والمنطق. ومن بين تلك المظاهر، الانحطاط الأخلاقي، الذي تمثل في ممارسة كثير من الرذائل، مثل: شرب الخمر، ولعب الميسر، والزواج بغير عدد، وقتل بعضهم الأولاد خشية الفقر [الإملاق]، أو بسبب الفقر، وقتل بعضهم الإناث بالذات خوف العار أو الفقر أو بسبب الفقر، وإثارة الحروب لأتفه الأسباب، وأخذ الثأر. وقد حكى عنهم الله عز وجل كل هذه الرذائل .

وظل الرسول ﷺ يحاربها طوال حياته كما هو معروف. ومثال ذلك ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما - كما سبق ذكره :- (إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ مافوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام)، وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التّكوير: ٨-٩] وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النّحل: ٥٨-٥٩] وقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠]، وقوله : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسرَاء: ٣١]، وقوله : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ [الأنعَام: ١٥١].

وسادت في بعض أوساط غير الأشراف أنواع من الأنكحة التي لا تختلف عن الدعارة، فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (إن

النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء : فكان منها نكاح الناس اليوم ... ونكاح الاستبضاع، وهو أن يصيب الرجل الأجنبي امرأة غيره في طهر لم يجامعها فيه زوجها حتى يتبين حملها، ونكاح الرهط، وهو أن يجتمع الرهط دون العشرة، فيصيب كل منهم امرأة غيره، فعندما تضع حملها ترسل إليهم فيجتمعون عندها، فتلحق المولود بمن تريد منهم، ونكاح رابع، هو أن يجتمع الرجال الكثير عند المرأة التي تنصب راية في بيتها، فإن حملت ووضعت حملها، جمعوا لها، ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرونه أكثر شبهاً به. وقد أبطل الإسلام كل هذه الأنكحة، ماعدا نكاح الناس اليوم، ولم يكن يحس بعضهم بعار هذه الممارسات، فقد أخرج الشيخان أن رجلاً قام فقال : (يارسول الله ! إن فلاناً ابني، عاهرت بأمه في الجاهلية)، فقال رسول الله ﷺ : " لا دعوة في الإسلام. ذهب أمر الجاهلية، الولد للفراش، وللعاهر الحجر " .[بخ (٢٠٥٣)، م (١٤٥٧)].

وكانوا يجمعون بين الأختين، ويتزوجون بزوجات آبائهم إذا طلقن، أو ماتوا عنهن. وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النِّساء: ٢٣].

ولم يكن للطلاق عدد معين [د(٢١٩٥) - صحيح]، فحدده الإسلام بثلاث.



الفَصْلُ الأَوَّلُ

سيرته ﷺ من مولده إلى بيعة العقبة الثانية:

المبحث الأول: النسب الشريف، والحكمة من صفائه

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان. ذكر هذا القدر من نسبه البخاري في صحيحه [حق (١٥/ ٣)]، وهو كالمجمع عليه بين العلماء. ومما لا خلاف فيه أن عدنان من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام. [م (٢٢٧٦)].

وأخواله من بني زهرة، لأن أمه آمنة بنت وهب كانت منهم. [حف (١٤/ ٢٣٠)]. ويلتقي نسبه بنسبها في كلاب بن مرة. وشاء الله أن يكون من أعلى وأطهر أهل الأرض نسباً، وأشرفهم قوماً وقبيلة وفخذاً، وفي هذا يقول ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» .[م (٢٢٧٦)]. ولهذا لم يستطع أبو سفيان - في مقابلته لهرقل - أن ينكر علو وسمو نسب الرسول ﷺ، على الرغم مما كان يضمره من عداء للرسول ﷺ قبل إسلامه، فقال: (هو فينا ذو نسب). [بخ (٢٩٤١)].

حكم وفوائد من هذا الصفاء في النسب:

(١) ما دامت العرب لاتسمع إلا لذوي الأنساب العالية فيهم، فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون نبيه محمد ﷺ من أعلاهم نسباً، حتى لايكون لأعداء الإسلام سلاح في أيديهم للصد عن سبيل الله، وحتى لايتوهم متوهم أن رسالته ما هي إلا وسيلة لغاية، وهي تغيير وضعه الاجتماعي.

(٢) إن اختيار الله تعالى لنبيه محمد ﷺ من العرب، يقتضي من المسلم أن يحبهم من حيث الجنس، لا من حيث الأفراد، لأن الأفراد قد ينحرفون عن الإسلام، فينبغي هنا كره أفعالهم المنحرفة، لا كره جنسهم العربي.

❑ المبحث الثاني: الختان والتسمية ❑

● المطلب الأول: الختان:

اختلف العلماء في أمر ختانه، فمنهم من قال : إنه ولد مختوناً مقطوع السرة، ومنهم من قال، ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه، وصنع له مأدبة، وسماه محمداً .[الذهبي : السيرة، ص ٢٧، وقال : إن هذا أصح مما رواه ابن سعد (١٠٣) بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما، من أنه ولد مختوناً مسروراً]. والذي رجحه بعض كبار العلماء القدماء أنه ولد مختوناً [أمثال : أبي نعيم والطبراني والبغدادي وابن عساكر والحاكم]. وقوى الشيخ محمد بن رزق طرهوني [في كتابه: صحيح السيرة النبوية، حاشية رقم (٤١)] أحاديث ختان جده له.

● المطلب الثاني: التسمية:

وعندما سأل أهل مكة عبد المطلب عن سبب رغبته عن أسماء أهل بيته، أجابهم بأنه يريد أن يحمده الله في السماء ويحمده خلقه في الأرض، [حق (٣/١٥) من رواية للبيهقي].

وعرف ﷺ بأسماء أخرى، فقد قال : " إن لي أسماء : أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب ".

وقال الراوي - الزهري ـ : (والعاقب : الذي ليس بعده نبي) .[بخ (٤٨٩٦)، م (٢٣٥٤) ؛ وزاد ابن سعد [(١/ ١٠٤)، بسند قوي حسن، كما قال الذهبي في سيرته ص ٣٠] : " . . . والخاتم ". وزاد مسلم [٢٣٥٥] أسماء أخرى، وهي : المقفى، ونبي الرحمة ". وزاد الترمذي [الشمائل،ص ٣٦٠ - بسند حسن] : " إن

رسول الله ﷺ قال: «سُميت أحمد».

وثبت الإسمان أحمد ومحمد بنصوص القرآن الكريم.

ولما كان والده قد توفي - وهو في بطن أمه - فيترجح أن يكون القائم بالتسمية هو الأم. ويشهد على ذلك ما رواه ابن سعد [(١/ ١٠٤)] بسنده إلى محمد بن علي، قال: أمرت آمنة - وهي حامل برسول الله ﷺ - أن تسميه أحمد. ويشهد له أيضاً - ما رواه أبو نعيم عن بريدة وابن عباس رضي الله عنهم، قالا: (رأت آمنة في منامها، فقيل لها، إنك قد حلمتي بخير البرية وسيد العالمين، فإذا ولدته فسميه أحمد ومحمداً ... إلخ). ويشهد له ما رواه ابن إسحاق [ابن هشام: (١/ ٢١٠)]، قال: (وكانت آمنة تحدث أنها أتيت حين حملت بمحمد ﷺ، فقيل لها، فإذا وقع فسميه محمداً، فإن اسمه في التوراة والإنجيل أحمد، يحمده أهل السماء وأهل الأرض، واسمه في القرآن محمد). فسمته بذلك. وفي آخر الرواية أنها أخبرت عبد المطلب بما أمرت أن تسميه.

وكني بأبي القاسم [مسلم (٢١٣٣)؛ أحمد: المسند (٢/ ٤٣٣)]. وأمر أن نسمي باسمه، ولا نكني بكنيته [بخ (٦١٨٧ - ٦١٩٠)؛ م (٢١٣٤)]. وكناه جبريل عليه السلام بأبي إبراهيم، ولكنه كره أن يحول كنيته التي عرف بها.

واختلف العلماء في أمر التكني بكنيته، وفي أمر الجمع بين اسمه وكنيته، فقيل، إنما نهى عن التكني بكنيته في حال حياته، وقيل: إنما نهى أن يجمع بين اسمه وكنيته فقط [ابن عساكر: تاريخ دمشق، السيرة، ص ٢٦ - ٣٤؛ وغيره].

ولم يعرف اسم أحمد قبله. وسميت بعض العرب باسم محمد لما شاع قبيل مبعثه أن نبياً سيبعث اسمه محمد [أبو نعيم: المعرفة (١/ ٣٧، ٨١)؛ الطبراني: المعجم الكبير (١٧/ ١١١/ ح ٢٧٣) البيهقي؛ : الدلائل ٠٢/ ١١٤ - ١١٥)، ابن سعد (١/ ١٦٩) بسند صحيح؛ الشامي: سبل الهدى والرشاد ... (١/ ٥٠٣) ومابعدها].

❑ المبحث الثالث: من أبرز إرهاصات النبوة عند ميلاده ❑

وصاحبت ولادته بعض الإرهاصات [أي المقدمات والإيذان به، فالبرق مثلاً يؤذن بنزول المطر] الدالة على نبوته. ومما ثبت منها بطرق صحيحة: قوله ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، رأت أمي حين حملت بي كأن نوراً خرج منها أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام». [أحمد (٤/ ١٢٧) و (٥/ ٢٦٢) بسند حسن؛ ابن هشام (١/ ٢١٩ - ٢٢٠)، من حديث ابن إسحاق بسند حسن]. وعن حليمة السعدية - مرضعته - أن والدته قالت: (ووقع حين ولدته، وإنه لواضع يديه بالأرض، رافعاً رأسه إلى السماء). [أحمد: المسند (٤/ ١٨٤)، بسند حسن؛ الحاكم (٢/ ٦١٦)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي].

وفي رواية: أن أمه عندما ولدته وضع تحت برمة انفلقت اثنين، وإذا هو قد شخص بصره ينظر إلى السماء. [ابن سعد (١/ ١٠٢)، مرسلاً؛ البيهقي: الدلائل (١/ ١١٣)، مرسلاً لا باس به].

وما لم يثبت بطرق صحيحة، ولكنه اشتهر، مثل قولهم: إنه حين ولد سقطت أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى، وخمدت النار التي كان يعبدها المجوس، وغاصت بحيرة ساوة، وانهدمت المعابد التي كانت حولها. [البيهقي: الدلائل (١/ ١٢٦ - ١٢٩)].

❑ المبحث الرابع: اليتم ورعاية الجد ثم العم، والحكمة من ذلك ❑

● المطلب الأول: اليتم ورعاية الجد، ثم العم:

اختلف أهل المغازي والسِّيَر في تاريخ وفاة والده. والذي قاله ابن إسحاق [في السيرة - ابن هشام (١/ ٢١٠)، بدون إسناد]، ورجحه ابن سعد [الطبقات (١/ ٩٩ - ١٠٠)، بسند ضعيف] إن ذلك كان وهو في بطن أمه، وهو المشهور الذي رجحه كذلك كثير من العلماء. [ابن كثير: البداية (٢٢٨٥ - ٢٨٦)]، وجزمت الآية القرآنية الكريمة: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾ [الضحى: ٦] بأنه كان يتيماً.

والمشهور كما يقول البعض أنه ولد بمكة يتيم الأب، في يوم الاثنين، الثاني عشر من شهر ربيع الأول، يوم الفيل [ابن سعد (١/ ١٠١) بسند جيد]. واختلف العلماء في تحديد تاريخ مولده، فمنهم من ذكر أنه ولد في العاشر، والثامن، من ربيع الأول؛ وغير ذلك. قال الألباني في كتابه: «صحيح السيرة النبوية»: (وفي شهر ويوم مولده أقوال ذكرها ابن كثير في الأصل (يعني البداية والنهاية)، وكلها معلقة - بدون أسانيد - يمكن النظر فيها ووزنها بميزان علم مصطلح الحديث، إلا قول من قال: إنه في الثامن من ربيع الأول. فإنه رواه الإمام مالك وغيره بالسند الصحيح عن محمد بن جُبير بن مطعم وهو تابعي جليل، ولعله لذلك صحح هذا القول أصحاب التاريخ واعمدوه، ثم قال: «والجمهور على أنه في الثاني عشر منه والله أعلم» [انظر: صحيح السيرة النبوية للألباني، ص ١٣] والخلاصة: اختلف المؤرخون القدامي والمعاصرون حول تحديد التاريخ المحدد لمولده ﷺ على أقوال عدة، منها: ٢ ربيع الأول - ٨ ربيع الأول - ٩ ربيع الأول - ١٠ ربيع الأول - ١٢ ربيع الأول - ١٧ ربيع الأول - شهر رمضان.

ما صح منها بسند صحيح أو حساب فلكي: ٨ ربيع الأول - رواه مالك وغيره بالسند الصحيح عن ... و٩ ربيع الأول - كما حققه الباحث محمود باشا الفلكي ونقله عنه الشيخ محمد الخضري رحمهما الله تعالى.

وعلى أي حال لم يثبت أن رسول الله ولد يوم ١٢ ربيع الأول، والغي يحتفل بمثله من الأيام في كل عام بعض المسلمين بهذه البدعة. [انظر النت، بحث محمد أبو عمر الفلسطيني].

وعندما مات والده كفله جده عبد المطلب، وهو تحت رعايته وحضانة أمه ومولاته أم أيمن - بركة الحبشة .[م (١٧٧١) ؛ حص (٤/ ٤٣٢)، حف (٧/ ٤١١)].

وشاركت في رضاعته ثويبة، مولاة عمه أبي لهب، وأرضعت معه أبا سلمة ابن عبد الأسد المخزومي. [ابن هشام (١/ ٢٢٣)، مرسلاً صحيحاً ؛ الأزرقي (١/ ٣١٤ ـ٣١٥)؛ حسن، البيهقي : الدلائل (٢/ ٢٢) ؛ صحيح ؛ عبد الرزاق (٥/ ٣١٨)، مرسلاً صحيحا].

وكانت وفاة والده بالمدينة، عند أخواله - أي أخوال أبيه عبد المطلب - بني عدي بن النجار، عندما أرسله والده عبد المطلب [شيبة] إليها ليشتري منها تمراً [ابن عبد البر : الاستيعاب (١/ ١٤)، مرسلاً عن الزهري].

وقيل بل أرسله إلى الشام في تجارة، فعاد من غزة مريضاً، فتوفي بالمدينة. [ابن سعد (١/ ٩٩) ؛ ابن شبة : تاريخ المدينة (١/ ١١٦ - ١١٧)]. وقيل إنه دفن في دار النابغة .[ابن شبة (١/ ١١٧)، ابن سعد (١/ ٢٩٩)].

وعندما بلغ من العمر ست سنين، توفيت والدته آمنة بالأبواء [قرية بينها وبين الجحفة، مما يلي المدينة ثلاث وعشرون ميلاً]، وهي راجعة به من المدينة إلى مكة، بعد زياره قامت بها معه إلى أخوال جده عبد المطلب، بني عدي بن النجار، وسبب هذه الخؤولة هو أن هاشماً بن عبد مناف تزوج بالمدينة سلمى بنت عمرو النجارية، فولدت له عبد المطلب [شيبة] .[ابن إسحاق - ابن هشام (١/ ٢٢٣) مرسلاً صحيحاً ؛ البيهقي : الدلائل (١/ ١٨٨) صحيح ؛ عبد الرزاق (٥/ ٣١٨) مرسلاً صحيحاً، الأزرقي : حسن ؛ الذهبي : السيرة، ص ٢٥، معلقاً].

وتوفي جده عبد المطلب بمكة وله من العمر ثمانية سنوات [المصادر نفسها]، فأوصى به إلى عمه أبي طالب، شقيق والده .[ابن هشام (١/ ٢٣٥) ؛ ابن سعد (١/ ١٨٨) ؛ الذهبي : السيره، ص. ٥؛ بأسانيد تتقوى بالشواهد].

وقد رويت أخبار في مدى عناية جده عبد المطلب به. من ذلك ما رواه أبو يعلى [كما في مجمع الزوائد للهيثمي (٨/ ٢٤٤)، وحسن إسناده ؛ والحاكم (٢/ ٦٠٤)، وصححه ووافقه الذهبي ؛ البيهقي : الدلائل ٠٢/ ٢٠ - ٢١)، من طريقين، أحدهما طريق الحاكم] ؛ من أن عبد المطلب أرسل محمداً ذات مرة في إثر إبل له ضلت، فاحتبس عليه، حتى حزن حزناً شديداً، وأخذ يطوف بالبيت، وهو يقول مرتجزاً :

رَبِّ راكبي محمداً يارب رده واصنع عندي يدا

وعندما عاد محمد بالإبل أقسم ألا يبعثه في حاجة له أبداً، ولا يفارقه

بعد هذا أبداً.

وكان يقربه ويدنيه منه، ولا يدع أحداً يدخل عليه وهو نائم. وكان له مجلس لايجلس عليه غيره. وكان له فراش في ظل الكعبة، يجلس حوله بنوه، ويجلس النبي ﷺ مع جده. [الأزرقي (١/ ٣١٤)، بسند حسن؛ وغيره بأسانيد ضعيفة].

وتروي كتب السيرة أن أبا طالب كان أيضاً شديد الاعتناء بابن أخيه محمد ﷺ، كان لا ينام إلا ومحمد إلى جنبه، ولا يخرج إلا معه، ويخصه بالطعام، ولا يأكل إلا عندما يحضر محمد [الواقدي: (١/ ١٩٩ - ١٢٠)، ويشهد لهذا رواية الترمذي في قصة سفره معه في تجارة إلى الشام وهو في سن الثانية عشرة].

وظل أبو طالب يحوطه ويغضب له إلى أن توفي في العام العاشر من المبعث [م (١/ ١٩٤ - ١٩٥)، وبمعناه عند البخاري وغيره].

● **المطلب الثاني: حكمة اليتم:**

لقد شاء الله عز وجل أن ينشأ الرسول ﷺ يتيماً بعيداً عن تربية أبيه، وقضى معظم فترة طفولته الأولى ببادية بني سعد، بعيداً عن أسرته كلها، ثم ما لبث أن توفيت أمه، ولم يمكث معها سوى مدة يسيرة، وتوفي جده بعدها بمدة يسيرة، كل ذلك لحكم، لعل من أبرزها أن لايكون للمبطلين سبيل إلى إدخال الريبة في القلوب، أو إيهام الناس بأن محمداً إنما رضع لبان دعوته ورسالته منذ صباه بإرشاد من أبيه وجده ليصل إلى جاه الدنيا باصطناع النبوة. فقد كان لجده مكانة مرموقة في قومه. فلقد كانت إليه الرفادة والسقاية، أي إطعام الحجاج وسقايتهم.

ولعل في يتمه أسوة للأيتام في كل زمان ومكان، ليعرفوا أن اليتم ليس نعمة، وأنه لا يجب أن يقعد بصاحبه عن بلوغ أسمى المراتب.

❑ المبحث الثاني: رضاعته ﷺ في بادية بني سعد، والحكمة من ذلك، وحادثة شق الصدر والحكمة من ذلك ❑

• المطلب الأول: رضاعته ﷺ في بادية بني سعد:

كان من عادة العرب الحضر أن يلتمسوا المراضع لمواليدهم في البادية، وقد اشتهر أن الرسول ﷺ استرضع في بادية بني سعد، جهة الطائف، أرضعته حليمة السعدية بنت أبي ذؤيب، زوجة الحارث بن عبد العزى، والد عبد الله وأنيسة وحذافة - الشيماء.

وتفرد ابن إسحاق برواية قصة هذا الاسترضاع [ابن هشام (١/ ٢١٤) بسند يتقوى بالشواهد]، ونص الرواية : " كانت حليمة السعدية بنت أبي ذؤيب السعدية، أم رسول الله ﷺ التي أرضعته، تحدث : أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه، في نسوة من بني سعد بن بكر، تلتمس الرضعاء، قالت : (وذلك في سنة شهباء [فيها قحط]، لم تبق لنا شيئاً. فخرجت على أتان [أنثى الحمير] لي قمراء [بيضاء]، معنا شارف [ناقة مسنة] لنا، والله ما تَبِضُّ [تسيل] بقطرة [نقطة حليب]، وما ننام ليلنا أجمعه من صبينا الذي معنا، من بكائه من الجوع، مافِي ثدييَّ ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه، ولكنا كنا نرجوا الغيث والفرج ؛ فخرجت على أتاني تلك، فلقد أَدَمْتُ [أطلت السفر] بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعَجَفاً [هزالاً]، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عُرِضَ عليها الرسول ﷺ فتأباه إذا قيل لها : إنه يتيم، وذلك أنا كنا نرجوا المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول : يتيم ! وما عسى أن تصنع أمه وجده ! فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري، فلما أجمعنا الانطلاق، قلت لصاحبي [زوجي] : والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه ؛ قال : لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. فذهبت إليه فأخذته، . . . فلما أخذته رجعت به إلى رحلي، ولما وضعته في حجري، أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب

حتى رَوِيَ، وشرب معه أخوه [عبد الله] حتى رَوِيَ، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا أنها لحافل [ممتلئة الضرع بالحليب]، فحلب منها ما شرب، وشربت معه حتى انتهينا رِيًّا وشِبعاً، فبتنا بخير ليلة، يقول صاحبي حين أصبحنا :

تعلمي، والله - يا حليمة - لقد أخذت نَسَمة مباركة. فقلت : (والله إني لأرجو ذلك. ثم خرجنا، وركبت أتاني، وحملته عليها معي. فوالله لقد قَطَعَتْ بالركب ما يقدر عليها شيء حُمُرهم، حتى إن صواحبي ليقلن لي : يا بنت أبي ذؤيب، ويحك ! أربعي [أي انتظرينا] علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فأقول لهن: بلى والله، إنها لهي هي، فيقلن : والله إن لها لشأناً).

ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح عَلَيَّ حين قدمنا به معنا شباعاً لُبَّناً [غزيرات الحليب]، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرُعيانهم : ويلكم، اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لبناً. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه، وفصلته [فطمته]، وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان. فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جَفْرَاً [قوياً]. فقدمنا به على أمه، ونحن أحرص على مكثه فينا، لِما كنا نرى من بركته. فكلمنا أمه، وقلت لها : لو تركت بُنَيَّ عندي حتى يَغْلُظ، فإني أخشى عليه وباء مكة. فلم نزل بها حتى ردته معنا".

● المطلب الثاني: حكمة الرضاعة في البادية :

كانت عادة الحضر من العرب أن يسترضعوا أبناءهم في البادية - كما سبق ذكره - ابتعاداً بهم عن أمراض المدن، ورغبة في تقوية أجسادهم، كما هو مصرح به في كلام حليمة، وبعيداً عن تدليل الأمهات والجدات وبقية الأقارب، وتقويماً لألسنتهم من اللحن وغيره من مفسدات اللغة، وتعويداً

وتربية لهم على الاعتماد على النفس منذ الصغر [السهيلي : الروض الأنف (١/ ١٨٧ ـ ١٨٨)].

- **المطلب الثالث: حادثة شق الصدر في بني سعد :**

وقعت للرسول ﷺ في بادية بني سعد حادثة شق الصدر المشهورة [ابن كثير : البداية (٢/ ٢٩٩)، بسند صحيح]، ونص حديث الرسول ﷺ عنها : «... كانت حاضنتي في بني سعد بن بكر، فانطلقت أنا وابن لها في بَهْم [صغار الغنم، بالذات ولد الضأن، من ذكر أو أنثى] لنا، ولم نأخذ معنا زاداً، فقلتُ : يا أخي اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا، فانطلق أخي، ومكثت عند البهم، فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ فقال : نعم ! فأقبلا يبتدراني، فأخذاني، فبطحاني للقفا، فشقا بطني، ثم استخرجا قلبي فشقاه، فأخرجا منه علقتين سوداوين، فقال أحدهما لصاحبه : ائتني بماءٍ ثلجٍ، فغسلا به جوفي، ثم ائتني بماءٍ برد، فغسلا به قلبي، ثم قال ائتني بالسَّكينة، فذرها في قلبي بخاتم النبوة، فقال أحدهما لصاحبه: اجعله في كفة واجعل ألفاً من أمته في كفه، فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي أشفقت أن يخر علي بعضهم، فقال : لو أن أمته وزنت به لمال بهم. ثم انطلقا فتركاني. وَفَرَقْتُ [خِفت] فرقاً شديداً. ثم انطلقت إلى أمي، فأخبرتها بالذي لقيت، فأشفقت أن يكون قد لبس بي، فقالت : أعيذك بالله، فَرَحَّلَتْ بعيراً لها، وحملتني على الرحل، وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي، فقالت أديت أمانتي وذمتي، وحدثتها بالذي لقيت، فلم يرعها [يفزعها]، وقالت : (إني رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاءت منه قصور الشام).

وروى مسلم [(١/ ١٤٧ - ٢٦١)] قصة هذا الشق باختصار، ولم يصرح بمكان وقوعه، واللفظ من حديث أنس رضي الله عنه : (أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام، وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه، فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج علقة، فقال : (هذا حظ الشيطان منك)، ثم غسله بطست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء

الغلمان يسعون إلى أمه [أي ظئره - مرضعته] فقالوا إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه، وهو منتقع اللون. قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره).

سكتت بعض المصادر - منها صحيح مسلم - عن تحديد سنه حين وقوع هذه الحادثة، وما ذكرته روته بأسانيد ضعيفة، أقربها للصواب رواية ابن سعد [(١/ ١١٢)] وأبو نعيم [الدلائل (١/ ١٥٩ - ١٦١]، إذا قالا إن عمره كان أربع سنين، فهي السن التي يمكن أن يمارس فيها رعي البهم والكلام المبين، وفهم مايجري حوله. ولا شك في ذكائه المبكر.

● **المطلب الرابع: حكمة شق الصدر: حكمة شق الصدر :**

(١) يبدو أن هذه الحادثة كانت إعلانا لأمر الرسول ﷺ والتهيئة للعصمة والوحي منذ صغره، بوسائل مادية، ليكون ذلك أقرب إلى إيمان الناس به وتصديقهم برسالته. إنها إذاً - عملية تطهير معنوي، ولكنها اتخذت هذا الشكل المادي والحسي، ليكون فيه ذلك الإعلان الإلهي بين أبصار الناس وأسماعهم - كما قال البوطي. [فقه السيرة النبوية].

(٢) فيه بيان إعداد الله عز وجل عبده ورسوله محمد ﷺ لتلقي الوحي.

(٣) فيه بيان وقوع المعجزات للأنبياء في الصغر قبل إعلان النبوة في الكبر، كما حدث - مثلاً - لموسى وعيسى عليهما السلام. وتسمى " إرهاصات ".

(٤) تشير الحادثة إلى تعهد الله عز وجل نبيه عن مزالق الطبع الإنساني، ووساوس الشيطان، وهي حصانة أضفاها الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد ﷺ.

❑ المبحث الثالث: رحلته ﷺ التجارية مع عمه أبي طالب إلى الشام ❑

خرج لأول مرة إلى الشام مع عمه أبي طالب في تجارة، وكان له من العمر اثنتي عشر سنة - على الراجح - حيث لقي بحيرا الراهب، فعرف فيه

علامات النبوة، مثل الخاتم، وإظلال ملكين له، وميل ظل الشجرة عليه. [الترمذي : السنن (٣٦٢٤)، بسند صحيح، ومتن صحيح، عدا ذكر أبي بكر وبلال، فهي زيادة مدرجة].

❑ المبحث الرابع: من أقوال أهل الكتاب في صفات محمد والبشارات بنبوته ❑

إضافة إلى ما ذكر الراهب بحيرا عن البشارة بنبوة محمد ﷺ، فقد تعددت النصوص في التوراة والأناجيل والكتب الدينية الهندية القديمة والبوذية والزرادشتية تبشر بنبوته، نذكر منها الأمثلة الآتية [التفاصيل عندنا في السيرة النبوية في ضوء المصادرالأصلية - خاصة طبعة الخرطوم ...] :

● المطلب الأول: من أقوال كتب اليهود:

(أ) قول موسى عليه السلام في سفر التثنية [٣٣: ٢] : " جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران ".

قالوا : سعير : سلسلة جبال ممتدة في الجهة الشرقية من وادي عربة، من البحر الميت إلى خليج العقبة، سميت كذلك نسبة إلى سعير الحوري.

وأما فاران : فاسم عبراني أطلق في التوراة على المكان الذي أقامت فيه هاجر مع ابنها إسماعيل عليه السلام، أي منطقة البيت الحرام.

(ب) جاء في سفر إشعيا النبي [٦٠: ١ـ ٧؛ و ٤٢: ١ - ١٣] ما مفاده أن الإسلام سوف ينطلق من البلد التي سكنها قيدار من أبناء إسماعيل عليه السلام، وبها جبل سلع [الآن بالمدينة] وجبل عرفات وجبال منى.

(ج) : جاء في العبارة العاشرة من الإصحاح ٤٩ في سفر التكوين : " لا يزول صولجان من يهوذا أو مشرع من بين قدميه حتى يأتي شيلوه ويكون له خضوع الشعوب ".

توصل البروفسير عبد الأحد داود [القس النصراني سابقاً] في كتابه : "محمد

في الكتاب المقدس"، ص ٧٧ - ٨٥، إلى أن الشيلوه هو محمد ﷺ.

(د): جاء في الفصل السابع من سفر النبي دانيال قصة بارناشا المجيد، أو ابن الإنسان، أو ... الذي كلف بتحطيم وإبادة ذلك القرن [الوحش] الرهيب. فتوصل البروفسير عبد الأحد [ص، ٨٦ - ١٠٥] إلى أن ابن الإنسان المذكور في النص، هو النبي محمد ﷺ، والذي يعني اسمه حرفياً: المحمود والمشهور.

(هـ) جاء في مزمور داود عليه السلام تقول، قال يهوه: لسيدي: أجلس على يميني، إلى أن أجعل أعداءك مسنداً لقدميك.

توصل البروفسير عبد الأحد [ص: ١٠٦ - ١١٤] إلى أن السيد المذكور في هذه النبوة أو النشيد هو محمد ﷺ.

(و) تقول نبوة مشهورة في سفر ملاخي [٣/ ١]: " انظروا إنني أبعث برسولي، وسوف يمهد السبيل أمامي، وسوف يأتي فجأة إلى هيكله السيد الذي يتحدثون عنه، ورسول العهد الذي ترغبون، انظروا إنه قادم. هكذا يقول رب الجيوش أو الجموع".

يقول عبد الأحد [ص: ١١٥ - ١٢٢] بعد دراسة عميقة أن السيد المعني في هذه النبوة هو محمد ﷺ.

● المطلب الثاني: الإشارة إلى نبوته في الأناجيل النصرانية:

(أ) في إنجيل يوحنا [١٦: ١٢، وغيرها]، إشارة إلى روح الحق الذي يأتي بعد عيسى عليه السلام.

(ب) في إنجيل يوحنا [١٤/ ١٥ - ١٧، و ٢٦و٢٩ (١٥)] إشارة إلى المعزي الذي يأتي من بعده ويمكث إلى الأبد، وروح الحق الذي يشهد لعيسى عليه السلام [٢٧].

(ج) قال عبد الأحد [٢١٦ - ٢٢٩]: إن الاسم محمد في اللغة اليونانية القديمة تعني البيرقليطوس أو الفراقليط أو البرقليط، لكن النصارى ترجموها

في النسخ العربية إلى المعزي، المذكور في إنجيل يوحنا .[انظر تورميدا - القس الأسباني الذي أسلم بسبب هذا الاسم - في كتابه : " تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب].

(د) جاء في إنجيل متى [٢١/ ٤٢ و٤٣] قول يسوع المسيح إن ملكوت الله ينزع من شيعته، ويعطى لأمة تعمل به ؛ إشارة إلى أمة محمد ﷺ.

(هـ) وجاءت إشارات أخرى كثيرة، مثل ما جاء في : إنجيل يوحنا [١٦:١٤، ١٤: ٤٥: ٢٦، ١٥: ٢٦، ٢٧] وإنجيل لوقا [٢/ ١٤]. ولا تكاد تخلو صفحة من صفحات إنجيل برنابا من بشارة واضحة بنبوة ورسالة محمد ﷺ [ص : ٤٣، ٧٩، ٥٦ - ٥،٥٧، ٨٧، ١١٢، ١١٣].

❑ المبحث الخامس: من بشارات الكتب المقدسة غير السماوية لنبوة ورسالة محمد ﷺ ❑

● المطلب الأول: بشارات الكتب الهندية القديمة:

لقد اطلعت على بحث موثق بالإنجليزية، من مصادر هندية أصلية، للأستاذين أنور حسين، ووقار عظيم الندوي، بعنوان : " محمد ﷺ في الكتب الهندية المقدسة "، خلاصته :

أولاً : أن محمداً ومعانية وأشكال رسمه ونطقه المختلفة في اللغة السنسكريتية، ذكر في خمس كتب هندية مقدسة هي : ... وذكرها.

ثانياً : ذكر الاسم " أحمد" ومعانية وأشكال رسمه ونطقه المختلفة في اللغة السنسكريتية، أربعة كتب هندية مقدسة هي : ... وذكرها.

ثالثاً : ذكرت هذه الكتب الهندية المقدسة السابقة للكتب السماوية أوصافاً للنبي محمد ﷺ وأحداثاً، طابقت سيرة النبي ﷺ، وهي :

(أ) أنه سيركب الجمل.

(ب) أنه سيتزوج اثني عشرة امرأة، ذكرهن الباحثان.

(ج) سيكون مختوناً وملتحياً.

(د) سيلتقي بعدو تعداده الكلي في المواقع الكبرى ٦٠٠٩، وذكر الباحثان تفاصيل ذلك العدد.

(هـ) سوف يصعد إلى السماء بسرعة خيالية، ويعود إلى الأرض - يعني الإسراء والمعراج.

رابعاً : ذكرت هذه الكتب بعض فضائل أصحاب النبي محمد ﷺ، والعدد الحقيقي لبعض فئاتهم أو أوصافهم.

خامساً : ذكرت هذه الكتب معاني اسم والد ووالدة النبي ﷺ.

وذكر الباحثان في ختام البحث خمسة مراجع باللغة الأردية لمزيد من القراءة في هذه الموضوع.

سادساً : وهناك كتب هندية أخرى كثيرة، يقال لبعضها (فوران)، ولبعضها (أبنشد)، ولبعضها (ساستر)، ولبعضها (براهمن)، جاء ذكر محمد ﷺ فيها بلفظ " نراشنش " ومحمد وأحمد والرسول وكلكي أوتار وجغت بتي. ولفظ " نراشنش " مركب من " نر " و " اشنش "، و " نر " بمعنى : الإنسان، واشنش : بمعنى الذي حمد حمداً كثيراً ؛ إذن هو محمد ﷺ [محمد سرور الفاروقي الندوي : ذكر محمد ﷺ في الأفياد، ص : ٣٠، غير منشور].

وجاء في بعض الأفياد [Veda] : أن النبي الخاتم يبعث هادياً لجميع العالم، ورحمة للعالمين .[د. برام أبي شري وساو الهنديكي : محمد والكتب الهندية المقدسة، ص : ١٨].

وجاء في : " أنهار فيدا (أو ويدا) : " أنه يبث الأمن والسلام " ؛ وفي (رغ ويدا) : أنه حقاني، ورباني، وعاقل، وحازم، ومدبر، و قوي، وجلد، وجواد، و كريم، و مكرم بالوحي الإلهي، وقادر، ولا يبلغ شأوه، وحامل لجميع صفات الكمال ومكارم الأخلاق ورحمة للعالمين، ومؤيد، ومنصور بعشرة آلاف من الأعوان و الأنصار، ومشهور، ويطبق صيته الآفاق. [الفاروقي : ص : ١٨].

وفي " سنغرام فوران " : يكون معه أربعة أعوان بوجه خاص، بهم يزيد عدد من يؤمنون به، فلا تحصل النجاة إلا بالكلام الأحسن وبصحابة محمد مادام القرآن باقياً على وجه الأرض، وينقاد له كل الناس والدواب وحشرات الأرض، وهو خاتم النبيين وآخر الرسل، لا يأتي نبي بعده. [المرجع نفسه، ص : ٢٢].

وجاء ذكر محمد ﷺ - كذلك - في الكتب البوذية بصفاته المتعددة، التي منها : أنه سيكون : " رحمة للعالمين ". والكلمة التي عبرت عن هذا المعنى " ميتريا "، بمعنى " رحيم صاحب رحمة " وسيكون آخر الأنبياء والرسل، جاء ذلك في وصية بوذا لأخص أصحابه، وأحب تلاميذه إليه، المدعو " آنند "، عندما حضره الموت.

- **المطلب الثاني: بشارات بمحمد ﷺ في الكتب الزرادشتية الفارسية :**

جاء ذكره فيها، ومن تلك الكتب " الدساتير " و : " آوستا ". ففي الأولى أنه إذا عم الفساد، وانغمس الناس في المعاصي والآثام، وغرقوا في الفواحش والشهوات، ولد في العرب بطل، ثم ذكر صفاته بشيء من التفصيل، منها أنه سيكون رحمة للعالمين .[انظر : محمد في الكتب العالمية، لعبد الحق فِيديارسي، ص : ٤٥، باللغة الإنجليزية].

وجاء في " آوستا " أن زرادشت، قال : ما أكملت الدين وسيكون بعدي نبي يتم لكم هذا الدين، ويكون : " رحمة للعالمين " [انظر محمد حميد الله الحيدر آبادي : خطابات بهاول فور، ص : ٢٠ - ٢١ نقلاً عن : فيصل الندوي : " مظاهر الرحمة للبشر في شخصية : النبي ﷺ - بحث غير منشور].

- **المطلب الثالث: بشارات من أحبار اليهود وقساوسة النصارى وكهان العرب :**

أخرج ابن إسحاق بسنده إلى عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه أهل يثرب، قالوا : (إن مما دعانا إلى الإسلام، مع رحمة الله تعالى وهداه لنا، لَمَا كنا نسمع من رجال يهود، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا

أهل كتاب، عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى، وعرفنا ماكانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنا به وكفروا به) .[ابن هشام (١/ ٢٧٠)، بسند صحيح].

وذكر ابن إسحاق خبر رجل يهودي كان جاراً لبني عبد الأشهل، أخبرهم بأن نبياً سيخرج من جهة مكة واليمن، وقارب زمانه [ابن هشام ١/ ٢٧٠) بسند صحيح].

وذكر ابن إسحاق قصة ابن الهيبان، ذلك اليهودي الذي قدم من الشام على يهود بني قريظة، فأخبرهم حين حضره الموت بأن سبب خروجه من الشام إلى المدينة أنه كان يتوكف - أي ينتظر ويستشعر خروج نبي قد أظل - أي أشرف وقرب - زمانه، وأن المدينة مهاجره، وكان يرغب في اتباعه، وحث اليهود أن يسبقوا إليه، وكان ذلك سبباً في إسلام ثعلبة بن سَعية وأسِيد بن عبيد، نفر من بني هَدْل، إخوة بني قريظة [ابن هشام (١/ ٢٧٢ - ٢٧٣) بسند صحيح].

وسمى بعض أهل الجاهلية أبناءهم بمحمد، طمعاً في النبوة، لما سمعوه من الرهبان في ذلك، منهم محمد الجشمي من بني سواءة، ومحمد بن سفيان بن مجاشع . . .[انظر: الشامي: سبل الهدى والرشاد (١/٥٠٣) وما بعدها؛ الطبراني: المعجم الكبير (١٧/ ١١١/ ح ٢٧٣)؛ ابن سعد (١/ ١٦٩)، بسند صحيح؛ البيهقي: الدلائل ٠٢/ ١١٤ - ١١٥)، وغيرهم].

وكان من أسباب إسلام عمرو بن عبسة، ما سمعه من رجل كتابي أن نبياً سيخرج من مكة، يرغب عن آلهة قومه، ويأتي بأفضل الدين . . .[أبو نعيم: الدلائل (ص، ٢١١ - ٢١٢)، بسند حسن، وأصله في صحيح مسلم (برقم ٨٣٢)].

وقد سبق ذكر قصة الراهب بحيرا مع النبي ﷺ.

وأخرج ابن إسحاق بسند حسن [ابن كثير : البداية (٢/ ٢٨٩ - ٢٩٠ / طبعة النجار)] من حديث حسان بن ثابت رضي الله عنه، أنه عندما كان غلاماً رأى وسمع يهودياً بيثرب يصرخ ذات غداة، يقول : " طلع نجم أحمد الذي ولد به في هذه الليلة ".

وجاء في قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، أنه سمع بنبوة محمد ﷺ من علماء أهل الكتاب [ابن إسحاق، حسن - ابن هشام (١/ ٢٨١) ؛بخ - معلقاً : الفتح (٩/ ٢٨٠)].

وجاء في قصة إسلام زيد بن سُعنة أنه عرف صفات النبي ﷺ من كتب ديانته اليهودية [الحاكم (٣/ ٦٠٤)، صحيح ؛ أبو الشيخ : الأخلاق (١٧٩)، حسن ؛ ابن حبان (٢١٠٥)] .

وروى ابن كثير في البداية [٣/ ٤٩٥ - ٥٦٢ / طبعة د. التركي] عدة روايات في البشارات بنبوة محمد ﷺ، فيها الثابت وغير الثابت، أعرضنا عن ذكرها خشية الإطالة.

❑ المبحث السادس: رعيه ﷺ الغنم في صباه والحكم والعبر من ذلك ❑

قال ﷺ : «ما من نبي إلا وقد رعى الغنم»، قالوا : (وأنت يارسول الله؟)، قال : " نعم، كنت أرعاها على قَرَاريط لأهل مكة " [بخ (٢٢٦٢)] .[والقيراط جزء من الدينار أو الدرهم، أو اسم موضع بمكة]. وأخرج مسلم [ح (٢٠٥٠)] من حديث جابر رضي الله عنه أنه ﷺ رعى الغنم.

ومن أبرز الحكم والعبر في هذا الرعي :

١- قال بن حجر [الفتح ١٠/ شرح الحديث ٥٤٥٣] : " قال العلماء : الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكفلونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم به الحلم والشفقة، لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها

في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدوها من سبع وغيره، كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها، وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة، ألفوا من ذلك الصبر على الأمة... ".

" وفي ذكر النبي ﷺ لذلك بعد أن علم كونه أكرم الخلق على الله، ما كان عليه من عظيم التواضع لربه والتصريح بمنته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء ".

٢- يتجلى لنا في رعيه الغنم الذوق الرفيع والإحساس الدقيق اللذان جمل الله بهما نبيه محمداً ﷺ، إذ أن الرسول ﷺ ما أن آنس في نفسه القدرة على الكسب حتى أقبل يكتسب لرفع بعض ما يمكن رفعه من مؤنة الإنفاق على عمه الذي وفر له وسائل العيش الكريم، على الرغم من أنه كان ذو عيال كثيرين.

٣- إن الله عز وجل لايعجزه أن يهيئ لمحمد ﷺ كل وسائل الرفاهية ويغنيه عن الكدح سعياً وراء القوت، ولكن اقتضت حكمة الله أن تعلمنا أن خير مال الإنسان ما اكتسبه بجهده، وأن قيمة الإنسان هي فيما يقدمه لمجتمعه من خدمات قدر طاقته.

٤- لن تكون لأصحاب الدعوات قيمة معتبرة عند الناس إذا كان كسبهم من عطايا الناس وصدقاتهم، ولذا فإن صاحب الدعوة أحرى الناس بالاعتماد على نفسه وجهده الشخصي في معيشته، والابتعاد عن الاستجداء، حتى لايكون لأحد عليه منة أو فضل في دنياه، فيعيقه ذلك عن أن يصدع بكلمة الحق في وجهه [د. البوطي: فقه السيرة النبوية، ص: ٥٤ - ٥٥].

❑ ❑ ❑

❑ المبحث السابع: عناية الله له وحفظه مما يستقبح من أمور الجاهلية ❑

ومثال ذلك حفظه من التعري. فعندما كان ينقل الحجارة مع قومه لإعادة بناء الكعبة التي هدمها السيل، اقترح عليه عمه العباس أن يجعل إزاره على منكبيه ليقيه أضرار نقل الحجارة، وعندما فعل ذلك وقع مغشياً عليه، وما رئي بعد ذلك عرياناً [بخ (٣٦٤)، م (٣٤٠)]. وقد أخبر العباس رضي الله عنه ابنه عبد الله رضي الله عنه بهذه القصة بعد زمان طويل، قال: (كنت أكتمها - أي هذه القصة - مخافة أن يقولوا مجنون) .[الذهبي : السيرة،ص ٧٥، حسن لغيره].

وعصمه الله مرتين عندما حاول أن يسمر كما يسمر الشباب، باستماع الغناء بحفلة عرس، فأنامه الله. [المستدرك : (٤/ ٢٥٤). وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه التليدي : تهذيب الخصائص الكبرى للسيوطي، ص: ٦٩ - ٧٠ وأشار إلى تحسين الحافظ له].

وخالفه قومه من أهل الحرم الذين عرفوا ب " الحُمْس"، إذ كان يفيض مع الناس من عرفات بينما كانت الحُمْس تفيض من مزدلفة (جُمَع) .[بخ : (١٦٦٤) ؛ مسلم (:١٢٢٠)]، وذلك ترفعاً منهم أن يكونوا مثل بقية الناس. وقد أبطل الله فعلهم بقوله عز وجل ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البَقَرَة: ١٩٩] .[م ١٢١٩].

ولم يمس صنماً ولم يحلف به، وعندما طلب منه بحيرا الراهب أن يحلف باللات والعزى قال له : " لا تسألني باللات والعزى شيئاً، فوالله ما أبغضت بغضهما شيئاً قط " .[أحمد المسند (٤/ ٢٢٢)، بسند صحيح].

ومنعه ملكان أن يشهد مع المشركين مشاهدهم .[البيهقي : الدلائل (٢/ ٣٥)، وحسنه طرهوني، حاشية (٢٠٩) ومال محقق الدلائل على تصحيحه].

ومن حكم وعبر هذا المقطع من السيرة أن حفظ الله عز وجل له من عادات الجاهلية القبيحة، لئلا يساء إلى شخصه ودعوته مستقبلاً، وتهيئته

لأمر الرسالة الجليل [خ (٣٦٤)، م (٣٤٠)].

❑ المبحث الثامن: حرب الفجار وعبرها ❑

سميت بذلك لأن أطرافها استحلوا المحارم بينهم. الطرف الأول كنانة وقريش، والثاني قيس عيلان، والسبب قتل قرشي [ابن هشام : (١/ ٢٤١ ـ٢٤٣) ؛ ابن حجر : الفتح (٣/ ٢٢٤)].

قيل كان عمره عشرون عاماً [ابن إسحاق : ابن هشام : (١/ ٢٤٣)]، وقيل أربعة عشر أو خمسة عشر، وكان دوره رد نبل عدو قومه إذا رموهم بها [ابن هشام : (١/ ٢٤١)]. ويمكن الجمع بين القولين بأن عمره في بداية الحرب كان خمس عشرة سنة وعند نهايتها عشرين سنة.

ولعل اشتراكه بهذه الرمزية ليدل على دوره في الدفاع عن المقدسات والمحارم والقيم الإنسانية العليا التي اهتم بها جميع الرسل والمصلحين في كل زمان ومكان، أي نصرة المظلوم بصفة خاصة، مثلما حدث من موقف العالم من الاعتداء على قطاع غزة المشهور.

❑ المبحث التاسع: شهوده ﷺ حلف الفضول أو المطيبين، والعبرة في هذا ❑

عقد هذا الحلف بنو هاشم وبنو عبد المطلب وبنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم، لنصرة المظلوم [ابن إسحاق - ابن هشام (١/ ١٨٢)]. كان قبل المبعث بعشرين سنة، عند منصرف قريش من حرب الفجار، وللرسول ﷺ عشرين عاماً من العمر.

وكان سببه ظلم وقع على زبيدي على يد العاص بن وائل السهمي، حين منعه حقه في ثمن بضاعة باعها له، فاستنصر عليه قريشًا فنصرته .[ابن سعد (١/ ١٢٨ - ١٢٩)].

وقال ﷺ : " لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان [تيمي، من أقرباء أبي

بكر] حلفاً لو دعيت به في الإسلام لأجبت، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها، وألا يعز ظالم مظلوماً " [ابن كثير : البداية (٢/ ٣١٥)، من رواية الحميدي، وسنده صحيح]. وفي رواية : " لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب بأن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت" .[ابن إسحاق: السيرة، مرسلاً صحيحاً].

إن من أبرز عبر هذا الموقف، أنه إذا كان أهل الجاهلية يرفضون الظلم بدوافع فطرية أو إنسانية، فأولى بأهل الإسلام رفضه فوق هذا بدوافع عقدية، لأن الإسلام جاء حاثاً على عدم الظلم، ومتمشياً مع الفطرة، ومقوماً لها من أي انحراف؛ وقد تمثل هذا في تعليق الرسول ﷺ على هذا الحلف.

❑ المبحث العاشر: زواجه ﷺ من السيدة خديجة رضي الله عنها ❑

تزوجت رضي الله عنها قبله عتيق بن عائذ المخزومي، فولدت له بنتاً، وتزوجت بعده أبا هالة بن النباش التميمي، وولدت منه ابنها هنداً وبنتاً، ومات عنها زوجها أبا هالة في الجاهلية [ابن إسحاق : السير و المغازي : ص، ٢٤٥؛ ابن سعد (١/ ٨/ ١٥)]. وقيل إن ممن تزوجها أيضاً صيفي بن أمية .[ابن سعد (٨/ ١٤ - ١٥)].

عرفت في الجاهلية بالطاهرة العفيفة، وعرف محمد ﷺ بالصادق الأمين، فأراد الله عز وجل أن يكون أول بيت بني في النبوة بين الطاهرة العفيفة والصادق الأمين ؛ ويرزق منها الذرية دون غيرها، ماعدا ماريا القبطية، أم إبراهيم ؛ وكانت هي التي بادرت بالزواج منه لما عرف عنه من سمو الأخلاق، وقبل المبادرة لما عرف عنها من الطهر والعفاف، وجربته في تجارتها. وواسته بمالها ونفسها حتى توفيت عن خمس وستين سنة، في العام العاشر من البعث ؛ وكان له من العمر خمسة وعشرين عاماً - على الأرجح - عندما تزوجها، وهي في سن الأربعين - على الأرجح - ولم يتزوج عليها في حياتها. ودل هذا على أن غرض الزواج لم يكن جسدياً.

وتزوج بعدها - بمكة - سودة بنت زمعة وعائشة رضي الله عنهما.

ودل هذا الزواج على أنه لا غضاضة في أن تبدي المرأة الصالحة أو وليها رغبة الزواج من الرجل الصالح، كما فعلت خديجة رضي الله عنها عندما خطبت الرسول ﷺ.

❑ المبحث الحادي عشر: مشاركته ﷺ في بناء الكعبة ووضعه للحجر الأسود في مكانه ❑

كان ذلك عندما اجتاح سيل مكة قبل البعث بخمس سنوات، وعندما اختلفت بطون قريش حول من يضع الحجر الأسود في مكانه، فحكموه، فاقترح أن تأخذ كل قبيلة بطرف ردائه الذي وضع عليه الحجر بنفسه، ثم يرفعوه، ليأخذه هو ويضعه في مكانه، فقبلوا الاقتراح، وتفادوا سفك الدماء، بحكمة الرسول ﷺ [أحمد : المسند (٣/ ٤٢٥)، بسند حسن ؛ وغيره].

❑ المبحث الثاني عشر: التحنث في غار حراء ❑

كان ينفرد إلى نفسه متقرباً إلى الله عز وجل، وفي غار معروف بغار حراء. وحبب الله عز وجل إليه ذلك، فكان يمكث في هذا الغار الأيام والليالي ذوات العدد إلى أن أتاه الوحي فيه [بخ (٦٩٨٢)]، وكانت سِنُّهُ آنذاك أربعين سنة [بخ (٣٩٠٢)].

وفي رواية : وكان مُكْثُه فيه شهراً من كل سنة، وكان ذلك مما تتحنث به قريش في الجاهلية [ابن إسحاق : ابن هشام : (١/ ٢٩٨)، بسند حسن].

وقد نزل عليه الوحي في هذا الغار [بخ (٦٩٨٢) ؛ م (١٦٠)].

❑ المبحث الثالث عشر: من إرهاصات النبوة في هذه الفترة قبيل البعثة ❑

(أ) قال ﷺ : «إني لأعرف حجراً بمكة، كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن» .[م (٢٢٧٧) ؛ الترمذي (٢٨٦٥) صحيح].

(ب) روي أنه خرج من عند خديجة رضي الله عنها، ثم عاد فأخبرها أنه رأى بطنه قد شق، ثم طهر وغسل، ثم أعيد كما كان، فقالت : (هذا والله خير فأبشر)، [البيهقي : الدلائل (٢/ ١٤٢ - ١٤٦) - من مرسلي ابن المسيب وعروة، يتقوى بالشواهد].

(ج) أن ملكين لقياه ببعض بطحاء مكة، فوزناه عدة مرات حتى رجح بألف من أمته، وقال أحدهما : (لو وزن بأمته لرجحها)، فشق أحدهما صدره، وأخرج منه حظ الشيطان وغسل بطنه، وأدخل فيه السكينة، وخاط صدره، وجعلا خاتم النبوة بين كتفيه [ابن كثير : البداية (٢/ ٢٩٩) من رواية ابن عساكر ؛ والبزار كما في المجمع (٨/ ٢٥٥)، تتقوى برواية الزهري وابن المسيب السابقة].

(د) كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، كما قالت عائشة رضي الله عنها [بخ (٦٩٨٢) ؛ م (١٦٠)].

(هـ) وقال لخديجة : " إني أرى ضوءاً وأسمع صوتاً، وإني أخشى أن يكون بي جنن "، قالت : " لم يكن الله يفعل ذلك بك يا ابن عبد الله "، تم أتت ورقة بن نوفل، فذكرت ذلك له، فقال : "إن يكن صادقاً فإن هذا ناموس مثل ناموس موسى، فإن بعث وأنا حي فسأعزره، وأنصره، وأؤمن به" [أحمد : الفتح الرباني (٢٠/ ٢٠٧)، بسند حسن]. وجاء هذا المعنى في حديث ورقة في قصة نزول الوحي [بخ (٦٩٨٢؛ م (١٦٠)].

❑ المبحث الرابع عشر: نزول الوحي، وحكم وعبر كيفية نزوله لأول مرة، وفترة انقطاعه وحكمتها ❑

● المطلب الأول: نزول الوحي:

فاجأ أمين الوحي جبريل عليه السلام الرسول ﷺ بالرسالة لأول مرة في يوم الإثنين الحادي والعشرين من رمضان من العام الأربعين لميلاده، بينما كان يتحنث [يتعبد] في غار حراء، وطلب منه أن يقرأ، فقال : " ما أنا بقارئ

" ، فأخذه فغطه حتى بلغ منه الجهد، ثم تركه، وكرر الطلب بالقراءة، فقال ما قال في المرة الأولى، وتكرر ذلك ثلاث مرات، وقال له بعد الغطة الثالثة : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾، إلى قوله : ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العَلق : ١-٥].

ورجع بعد هذا إلى زوجته خديجة رضي الله عنها في حالة من الروع [الخوف]، طالباً أن يزملوه، وأخبرها بالقصة، ثم قال : " قد خشيت على نفسي، فقالت : كلا، فوالله لا يخذيك الله، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ [الذي لا يستغل بأمره]، وتكسِبُ المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق».

ثم انطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل النصراني، فطمأنه بأن ما جاءه بحراء هو الناموس الذي أنزل على موسى، وتمنى أن يكون قوياً لينصره حين يخرجه قومه بسبب إعلان الرسالة. وتوفي بعد هذا بقليل [بخ (٦٩٨٢) ؛ م (١٦٠)].

ومن قبل طمأن الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ حين عرض في المنام ما عرضه عليه بعده في اليقظة .[ابن إسحاق - ابن هشام (١/ ٢٩٩ - ٣٠٢)، بسند حسن ؛ البيهقي : الروض الأنف (١/ ٢٦٩) ؛ د. مهدي رزق الله : السيرة (١/ ١٦٥ - ١٦٦)].

● **المطلب الثاني: من حكم وعبر كيفية نزول الوحي لأول مرة :**

(١) يتبين من رؤية الرسول ﷺ جبريل بعينيه، يقظة، أن ظاهرة الوحي ليست أمراً ذاتياً داخلياً مرده إلى حديث النفس والخيال، وإنما هي استقبال وتلق لحقيقة خارجية، يؤكدها فعل جبريل عليه السلام معه، أي الغط والإرسال لثلاث مرات.

(٢) اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون الرسول ﷺ أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وفي هذا إبعاد لشبهة الشك في مصدر القرآن. قال تعالى : ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ

ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العَنكبوت: ٤٨]. [أنظر بقية الحكم والعبر عند د. مهدي رزق الله : السيرة (١/ ١٦٦ - ١٦٨)].

● **المطلب الثالث: فترة انقطاع الوحي ثم تتابعه :**

انقطع الوحي بعد هذا لفترة اختلف العلماء حول مدتها، منهم من قال ستة أشهر [البوطي : فقه السيرة، ص، ٦٧]، وقيل أربعين يوماً [الزرقاني : المواهب اللدنية (١/ ٢٢٣٦) ؛ الشامي : من معين السيرة، ص : ٢٩]. وقيل كانت أياماً ؛ [ابن حجر : فتح الباري، شرح الحديث (٦٩٨٢)].

وجزع الرسول ﷺ من هذا الانقطاع، خشية أن يكون الله تعالى قد صرف الرسالة عنه. وما قيل إنه كاد لهذا أن يتردى من شواهق الجبال، فهو من بلاغات الزهري، والبلاغ من أقسام الحديث الضعيف عند العلماء، ويتنافى هذا الفعل مع عصمة الأنبياء من فعل كجريمة الانتحار [أنظر ابن حجر : الفتح، ح: (٦٩٨٢) ؛ الألباني : دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ...، ص، ٤٠]. وتشوق إلى معاودة الوحي الاتصال به.

وعندما بدأ الوحي بالتتابع بعد هذا الانقطاع، نزل في صورته العظيمة، يجلس على كرسي بين السماء والأرض، فرعب منه، وجاء طالباً من الزوجة أن تزملـه، فأنزل الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾﴾ إلى قوله : ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [المدثر :١ـ ٥] .[بخ : (٤٩٢٥) م (١/ ١٤٣، ١٦١)].

● **المطلب الرابع: بعض حكم هذا الانقطاع :**

(١) إن في انقطاع الوحي ثم استمراره تأكيداً للحقيقة التي ذكرناها، وهي أن الوحي ظاهرة منفصلة عن ذات الرسول ﷺ.

(٢) وإن التشوق إلى معاودة الوحي الاتصال به يؤكد ذلك أيضاً.

❑ المبحث الخامس عشر: مراحل الدعوة خلال حياة الرسول ﷺ ❑

المرحلة الأولى : الدعوة سراً، واستمرت لمدة ثلاث سنين.

المرحلة الثانية : الدعوة جهراً، والكف عن القتال، واستمرت إلى الهجرة.

المرحلة الثالثة : الدعوة جهراً مع قتال المبتدئين بالقتال، واستمرت إلى هدنة الحديبية.

المرحلة الرابعة : الدعوة جهراً، مع قتال كل من يقف في طريق الدعوة.

ونقف قليلاً عند المرحلتين الأولى والثانية :

المرحلة الأولى : الدعوة السرية، والعبرة من ذلك :

استجاب الرسول ﷺ للأمر بالتبليغ : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدَّثِّر: ١-٢] فنهض من فراشه، وظل يدعو سراً لمدة ثلاث سنين، بادئاً بالتوحيد ونبذ كل مظاهر الشرك، وداعياً إلى مكارم الأخلاق.

وبدأ تحركه وسط الذين تربطهم به أقرب الصلات، مثل زوجته، وبناته، ومولاه زيد، وربيبه وابن عمه علي، وصاحبه أبي بكر، فقبلوا الإسلام فوراً. [ابن هشام (١/ ٣٠٩)].

وتحرك صاحبه أبوبكر وسط أقاربه ومواليه وأصدقائه، فكان ممن استجاب له: ابن عفان، وابن العوام، وابن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص [ابن إسحاق: السيرة، ص : ١٤٠]، وعثمان بن مظعون، وأبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم [ابن كثير : البداية (٣/ ٢٣٣)].

وبجهود من هؤلاء وغيرهم انتشر الإسلام بمكة وخارجها. وممن اشتهر من الموالي السابقين إلى الإسلام : بلال وأمه حمامة وصهيب الرومي وعمار بن ياسر وأخوه عبد الله ووالده وأمه سمية بنت خباط [أحمد : فضائل الصحابة (١/ ١٨٢)، بسند حسن ؛ ابن سعد (٣/ ٢٣٣) بسند صحيح وغيرهما].

ويلحظ أن من بين مجموع السبعة والستين الذين سبقوا إلى الإسلام ثلاثة عشر فقط من المستضعفين والموالي والأرقاء، أي فوق الخمس بقليل جداً. ولذا لا ينبغي أن يقال إن معظم أو أكثر السابقين إلى الإسلام كانوا من المستضعفين والموالي والأرقاء .[أنظر : الشامي : من معين السيرة، ص : ٣٥ - ٣٦].

والعبرة من السرية في الدعوة، هو إرشاد للدعاة في كل زمان ومكان إلى مشروعية الأخذ بالأسباب لضمان نجاح الدعوة، وتقديم مصلحة حفظ النفس على مصلحة الدين المرجوحة، كما أفتى بذلك العز بن عبد السلام [في كتابه : قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ١١١ - ١١٢)].

مكان التقاء الرسول ﷺ بالمسلمين في هذه المرحلة :

اختاروا دار الأرقم بن أبي الأرقم، معروفة الآن بدار الخيزران، عند الصفا [الشامي : السبل (٢/ ٢٤٣٠)]. ولعل من أسباب اختيارها :

(أ) لأن الأرقم لم يكن معروفاً بإسلامه.

(ب) ولأنه من بني مخزوم، حاملة لواء التنافس والحرب ضد بني هاشم، لذا يستبعد الالتقاء في قلب دور الأعداء.

(ج) ولأنه كان فتى صغيراً، في حدود الست عشرة سنة من العمر، والأذهان تنصرف عادة إلى دور كبار الصحابة .[المباركفوري: الرحيق المختوم، ص : ٤٩].

(د) كانت داره قرب الصفا، حيث تشتد حركة الناس، مما لا يلفت النظر إلى حركة خاصة فيه.

المرحلة الثانية : الجهر بالدعوة :

لما نزلت آية : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٤]، جمع النبي ﷺ ثلاثين منهم، فأكلوا وشربوا، فقال لهم : " من يضمن عنِي دَيْنِي ومواعيدي، ويكون معي في الجنة، ويكون خليفتي في أهلي ؟ فقال رجل : يارسول الله، أنت كنت بحراً [أي واسع الكرم والجود]، من يقوم بهذا ؟ فعرض ذلك على أهل بيته، فقال علي : أنا .[أحمد : المسند (٢/ ١٦٥)، بسند حسن]. وقال في رواية : " يابني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة " [ابن إسحاق : المغازي والسير، ص ١٤٥ - ١٤٦، ووصله الطبري في التفسير (١٩/ ٧٥)، بسند

يتقوى بغيره]. وفي رواية أنه صعد الصفا وهتف قائلاً : يا صباحاه، فقالوا من هذا ؟ فاجتمعوا إليه، فقال : " أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذباً. قال : " فإني نذير لكم بين يدي عذاب عظيم "، قال عمه أبو لهب : تباً لك، ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام، فنزلت : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المَسَد: ١] - [بخ ٤٩٧١ - ٤٩٧٢؛ م (٢٠٨)].

وفي رواية أنه دعا قريشاً، فاجتمعوا، فعم وخص، فقال : " يا بني كعب بن لؤي ! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب ! ... يا بني عبد شمس ! ... يا بني عبد مناف ! ... يا بني هاشم ! ... يا بني عبد المطلب ! ... يا فاطمة ! ... فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رَحِماً سَأَبُلُّهَا بِبِلالِهَا " [أي سأصلها. شبه قطيعة الرحم بالحرارة، ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة الماء] [بخ (٤٧٧١)، م (٢٠٤)].

وهكذا كان البلاغ والمفاصلة، وأن التصديق بالرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم ؛ فذابت عصبية القرابة في حرارة هذا الإنذار الرباني .[الغزالي : فقه السيرة، ص: ١٠١].

❏ المبحث السادس عشر: أساليب المشركين في محاربة الدعوة ❏

تفننت قريش في محاربة الدعوة منذ إعلانها وبشتى الأساليب. فكان من ذلك :

١- محاولة التأثير على عمه أبي طالب ليتخلى عن حمايته، وفشلوا في هذا .[ابن إسحاق - ابن هشام (١/ ٣٢٨)].

٢- ثم هددوا أبا طالب بالمنازلة، فقال له العم : إن بني عمك هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم، فحلق ﷺ ببصره إلى السماء، فقال : «أترون هذه السمس ؟» قالوا : (نعم)، قال : «فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها

شعلة»، فقال أبو طالب : (والله ماكذبنا ابن أخي، فارجعوا) .[ابن إسحاق : السير والمغازي، ص : ١٥٥، بسند حسن].

وفي رواية لابن إسحاق ضعيفة .[ابن هشام (١/ ٣٢٩ - ٣٣٠) ؛ السير، ص : ١٥٤]، أن الرسول ﷺ ظنَ أن عمه قد ضعف عن نصرته، ولذا قال له : «ياعَمَّ ! والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظْهِره الله أو أهلك فيه ما تركته»، ثم بكى رسول الله ﷺ وقام من عند عمه، فلما ولى ناداه عمه، فقال : (أقبل يا ابن أخي)، فلما أقبل قال له : (اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أُسْلِمُكَ لشيء أبداً).

وظل أبو طالب طوال حياته ينهى الناس عن إيذاء الرسول ﷺ ويحوطه، وينأى عن الدخول في الإسلام. وقد روي أن الآية : ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]. قد نزلت فيه. [ابن الجوزي : زاد المسير (٣/ ٢٧) ؛ الطبري : التفسير (١١/ ٣١١ - ٣١٥)].

(٣) الاتهامات الباطلة : مثل :

(أ) **الاتهام بالجنون** : كما في قوله ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القَلَم: ٥١]، وقال عز وجل : ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ [القَلَم: ٢]..

(ب) **الاتهام بالسحر** : كما في قوله عز وجل : ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [صٓ: ٤]. وقوله تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفُرقان: ٨].

(ج) الاتهام بالكذب : [كما في سورة القلم : ٥١]، وفي الآية الكريمة : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفُرقان: ٤].

(د) الاتهام بالإتيان بالأساطير : كما في قوله عز وجل : ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ....﴾ [الفُرقان: ٥].

(هـ) الاتهام بأن القرآن مصدره رجل أعجمي : كما في قوله عز وجل :

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النّحل: ١٠٣] .

(و) **الاتهام بالضلالة** : كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المطفّفين: ٣٢]. [جاء في زاد المسير (٩/ ٦٠)] أن ممن عنوهم بهذا : عمار وخباب.

(ز) اتهموه بالشاعرية، وأن القرآن من شعره : كما في قوله تعالى : ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥]، وقوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ [الطُّور: ٣٠].

(ح) اتهموه بأنه رجل يحلم، والقرآن من أضغاث أحلامه : كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنبياء: ٥].

(ط) **قالوا بأن القرآن من تأليفه** : كما في قوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الطُّور: ٣٣].

(٤) **السخرية والتعالي على المؤمنين، مثل :**

(أ) قول الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المطفّفين: ٢٩-٣١]

(ب) قالت امرأة : (إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً !)، فأنزل الله تعالى : ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾ [الضّحى: ١-٢].

(ج) حكى القرآن ما قاله أبو جهل مستهزئاً ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: ٣٢]، [بخ : ٤٦٤٨].

(د) روي أن قريشاً قالت للإراشي الذي مطله أبو جهل ثمن ما ابتاعه

منه من إبل: إن من يقدر على إنصافك محمداً، استهزاء بمحمد ﷺ لما يعلمون من عداوة أبي جهل له، فجاء الإراشي إلى محمد ﷺ فأخذ له بحقه. وعندما علمت قريش بالخبر، سألوا أبا جهل عن الحقيقة، فقال: (ويحكم ! والله ماهو إلا أن ضرب محمد عليَّ بأبي، وسمعت صوته، ملئت رعباً ثم خرجت إليه، وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل، ما رأيت مثل هامته [رأسه] ولا قَصْرَتِهِ [أصل عنقه] ولا أنيابه لَفَحْلٌ قَطُّ، والله لو أبيت لأكلني) .[ابن إسحاق: السير والمغازى، ص: ١٩٥ - ١٩٦، بسند منقطع].

(و) ومن منطلق الاستعلاء والسخرية بأصحابه الموالي، قال زعماء مشركي قريش: (لا نرضى بمجالسة أمثال هؤلاء - يعنون أمثال صهيب وبلال وخباب - فاطردهم عنك)؛ فهم ﷺ بطردهم طمعاً في إسلامهم وأثرهم في إسلام قومهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعَام: ٥٢] [الطبري: التفسير (١٣٢٥٨) أثر صحيح].

(ز) وقال تعالى مسلياً نبيه ﷺ في هذه السخرية: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنعَام: ١٠]. قيل نزلت في جماعة من قريش همزوا النبي ﷺ واستهزءوا به، فغاظه ذلك. [ابن إسحاق: ابن هشام (٢/ ٤٢) - بلاغاً، والبلاغ من أقسام الضعيف، والمعنى صحيح].

وكفى الله تعالى نبيه ﷺ بعضاً من زعماء المستهزئين: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحِجر: ٩٥]. فأعمى الأسود بن المطلب، وأمات الأسود ابن عبد يغوث بمرض الاستسقاء، وانتفض جرحاً قديماً للوليد بن المغيرة، فمات بسببه، وجعل شوكة سبباً في وفاة العاص بن وائل، وحرك قيحاً في رأس الحارث بن الطلاطلة، فقتله. [ابن إسحاق: ابن هشام (٢/ ٥٨ - ٥٩) - مرسلاً

حسناً]. وقتل بعضهم يوم بدر، أمثال : أبو جهل وأمية بن خلف والنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وطعيمة ابن عدي، وغيرهم [يأتي ذكرهم في أحداث غزوة بدر الكبرى وغيرها].

(٥) **التشويش** : كانوا يتواصون بافتعال الضجة عند قراءته ﷺ القرآن، حتى لايسمعه منه الناس، فيسلموا ؛ قال تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فُصّلَت : ٢٦].

(٦) **طلبهم المعجزات** : مثل أن يلقى إليه كنز أو جنة، كما في قوله تعالى : ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفرقان : ٨]، وتفجير الأرض ينبوعاً، ويكون له بيت من زخرف، أو يرقى إلى السماء؛ وغير هذا مما جاء في الآيات [٩٠ - ٩٤] من الإسراء، وإزاحة أو تسيير جبال مكة، وبعث ما مضى من الآباء الموتى، أمثال قصي، كما في الآية **٣١** من الرعد.[الطبري : التفسير : (١٦/ ٤٤٦ - ٤٥٠)، متصلاً ومرسلاً].

كل ذلك على سبيل العناد، بدليل أنه أعطاهم بعض ما سألوا فلم يؤمنوا كما في الآيات : **١٠٩ - ١١١**، الأنعام، و **٥٩** : الإسراء.

وسألوه أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وينحي الجبال ليزرعوا . [أحمد : الفتح الرباني (٢٠/ ٢٢٢ - ٢٢٣)، بإسنادين جيدين] .

وطلبوا أن يريهم آية، فأراهم القمر قد انشق [م (٢٠٨)]، فلم يؤمنوا. وقد أثبت العلم الحديث صدق ما رأوا وما ذكر القرآن، كما في قوله تعالى : ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر : ١].

(٧) **المساومات** : **مثل** :

(أ) طلبهم أن يعبد آلهتهم يوماً، ويعبدوا إلاهه يوماً، فرفض، وفي هذا نزلت سورة الكافرون : ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ [الكافِرون : ١-٢].

(ب) اقترحوا إعطاء عمه عمارة بن الوليد ليعطيهم محمداً ليقتلوه، [ابن هشام : (١/ ٣٣٠) - من حديث ابن إسحاق، بدون إسناد] .

(٨) سب القرآن الكريم والمولى عز وجل وجبريل عليه السلام :

جاء في سبب نزول قوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: ١١٠]، أنهم عندما أخذوا في سب القرآن ومنزله ومن جاء به، أمر بقراءة يسمعها أصحابه. [بخ ٤٧٢٢، م (٢١٤٥)]. وجاء في سبب نزول الآية : ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعَام: ١٠٨] أن الكفار أخذوا في سب المولى عز وجل، عندما سمعوا سب المسلمين لأصنامهم. [الطبري : التفسير (١٢/ ٣٣ - ٣٥)،وأجود طرق الآثار هنا طريق معاوية بن صالح عن على بن طلحة عن ابن عباس].

(٩) الاتصال بيهود المدينة لتزويدهم بأسئلة تعجيزية تطرح على النبي ﷺ :

أرسلوا لهذا الغرض نفراً منهم على رأسهم : النضر بن الحارث وعقبة ابن أبي معيط. فقالت لهم يهود : سلوه عن أهل الكهف وذي القرنين والروح، فأبطل الله تعالى كيدهم، ورد عليهم. [أحمد : الفتح الرباني، (١٨/ ١٩٦-١٩٧)، بسند صحيح ؛ الترمذي (٣٣٦١ - ٣٣٦٢)، صحيح ؛ وأنظر الصحيحين والنسائي . . .].

(١٠) الترغيب : أرسلوا عتبة بن ربيعة ليعرض عليه مايظنون أنه سوف يثنيه عن دعوته، إذ قال له يا ابن أخي : (إنك منا حيث علمت من المكان في النسب، وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها : إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا، فلا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا نستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ).

وكان رد النبي ﷺ قرآءة سورة " فصلت " إلى قوله : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ

أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فُصِّلَت: ١-١٣]، وعندها وضع عتبة يده على جنبه وقام كأن الصواعق ستلاحقه، وعاد إلى قريش ليقول إن ما سمع ليس بشعر ولا كهانة، واقترح عليهم ترك محمد وشأنه. [ابن إسحاق - ابن هشام (١/ ٣٦٢ - ٣٦٣)، بسند مرسل حسن عند الألباني ؛ المنتخب من مسند عبد بن حميد (ح ١١٢٣)، وحسن سنده الألباني].

وفي رواية بزيادة: (... وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي أبيات قريش شئت). [البيهقي : الدلائل (٢/ ٢٠٢) ؛ ابن أبي شيبة : المصنف (١٤/ ٢٩٥)].

وأرسلوا الوليد بن المغيرة مرغباً، فسمع القرآن، ورق له، وعاد ليقول :

(والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته ...). [الحاكم (٢/ ٥٠٦)، وصححه ؛ البيهقي : الدلائل (٢/ ٢٩٥)، يعتضد].

(١١) **الترهيب** : كان أبو جهل يقول لمن يسلم من الشرفاء : (تركت دين أبيك وهو خير منك ! لَنُسَفِّهَنَّ حُلُمك و لَنُضَعِّفَنَّ رأيك ولنضعن شرفك)، ويقول للتجار: (لَنُكَسِّدَنَّ تجارتك، ولنهلكن مالك)، وإن كان من الضعفاء ضربه وأغرى به. [ابن إسحاق - ابن هشام (١/ ٣٩٥)، معلقاً ومعناه صحيح].

(١٢) **الاعتداء الجسدي والنفسي** :

أولاً : على الرسول ﷺ، ومن أمثلته :

(أ) حاول ذلك أبو جهل فمنعه الله منه لحكمة [م (٢٧٩٧) ؛ بخ (٣٦٧٨)].

وخنقه عقبة بن أبي معيط، فخلصه منه أبو بكر رضي الله عنه لحكمة [بخ ٣٦٧٨، ٣٨٥٦، ٤٨١٥].

(ب) ووضع عقبة بن أبي معيط سلاجزور على كتفه، وهو ساجد، طرحته عنه ابنته فاطمة [بخ (٢٩٣٤) م (١٧٩٤)].

(ج) وضربوه مرة حتى غشي عليه، فجعل أبو بكر رضي الله عنه يناديهم قائلاً :

(ويلكم ! أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ فتركوه وأقبلوا على أبي بكر . . .). [ابن حجر : الفتح (١٥/١١/ح ٣٨٥٦) ؛ أبو يعلى : المسند (٣٦٩١)].

(د) تسلط عليه عتيبة بن أبي لهب بالأذى، وشق قميصه، وتفل في وجهه، فدعا ﷺ عليه قائلاً : «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك». واستجيب لدعائه، فذبحه السبع بالزرقاء الشامية. [البيهقي : الدلائل (١٩٦/٢)، بإسناد حسن لغيره].

(هـ) حاولت أم جميل أروى - أو العوراء - بنت حرب، أخت أبي سفيان، وزوجة أبي لهب، أن تعتدي عليه بحجر، فحماه الله بأن أعماها عنه. [المصدر نفسه].

(و) وحماه الله من تدبير لقتله على يد ملأ من قريش . . . [أحمد : المسند (٢٧٦٢)، بسند صحيح].

(ز) ضربه بعض أهل مكة حتى خضب بالدماء، فواساه جبريل عليه السلام، بأن طلب منه استدعاء شجرة، ففعل، فجاءته الشجرة وقامت بين يديه، فأمره أن يأمرها بالرجوع، ففعل، فرجعت إلى مكانها . . . [حم (١٢١١٢)، بسند قوي على شرط مسلم].

ثانياً : الاعتداء الجسدي على الصحابة من قريش : ومن أمثلته :

(أ) اعتدوا على أبي بكر رضي الله عنه حتى فكر في الهجرة إلى الحبشة [بخ (٢٢٩٧)]. ضربه عتبة بن ربيعة - عندما تجرأ على الخطبة بالمسجد الحرام - على وجهه بنعلين مخصوفتين حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وغضب قومه بنو تيم، وتوعدوا عتبة بالقتل إن مات أبو بكر رضي الله عنه . [ابن كثير : البداية (٣/ ٣٣ - ٣٤)].

(ب) اعتدوا على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بالضرب، لأنه أول من جهر بالقرآن. [ابن إسحاق - ابن هشام (١/ ٣٨٨)، موقوف على عروة].

(ج) قام الحكم بن أبي العاص بن أمية بتقييد ابن أخيه عثمان بن عفان

رضي الله عنه، ولما رأى صلابته في الدين أطلقه. [ابن سعد (٣/ ٥٥)، من حديث الواقدي].

(د) اعتدوا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وحاولوا قتله، لولا حماية العاص بن وائل له. [أحمد: الفضائل (١/ ٢٨١)، حسن؛ ابن إسحاق: السير، ص: ١٨٤؛ وعند ابن هشام (١/ ٤٢٨)، حسن].

(هـ) اعتدى أحدهم على عثمان بن مظعون رضي الله عنه بالضرب في مجلس لقريش كان ينشدهم فيه الشعر لبيد بن ربيعة، فاعترض على قول لبيد: .... وكل نعيم لا محالة زائل، فقال: نعيم الدنيا لا يزول. [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ١٠ - ١٢)؛ البيهقي: الدلائل (٢/ ٢٩٢) من حديث بن عقبة الطبراني: الكبير (٩/ ٢١ - ٢٤) من مرسل عروة، وهذه الطرق تدل على أن للقصة أصلاً].

(و) عم الزبير بن العوام يعلقه في حصير، ويدخن عليه النار .. [الحاكم (٣/ ٣٦٠)، من مرسل عروة؛ أبو نعيم: الحلية (١/ ٨٩)، مرسلاً].

(ز) حبس أبو جهل أخاه سلمة بن هشام، وأجاعه [ابن سعد (٤/ ٢١٣٠)]. وكان ممن دعا له الرسول ﷺ في القنوت لينجيهم الله منهم [بخ (١٤٥٦٠)].

ثالثاً: الاعتداء الجسدي والنفسي على المسلمين العرب من خارج مكة:

(أ) عذب بنو عامر بن لؤي أم شريك - غزية بنت جابر بن حكيم - وقيل دوسية. فحملوها على أشر ركابهم وأغلظه، وأطعموها عسلاً ومنعوا عنها الماء، وتركوها في الشمس المحرقة حتى ذهب عقلها وسمعها وبصرها، فعلوا ذلك ثلاث أيام، فسقاها الله بدلو من السماء. [ابن سعد (٨/ ١٥٦) من حديث الواقدي].

(ب) ضرب أهل مكة أبا ذر الغفاري حتى أغشي عليه، فخلصه العباس منهم [بخ (٣٥٢٢)، م (٢٤٧٣، ٢٤٧٤)].

رابعاً : الاعتداء الجسدي والنفسي على الموالي والأرقاء :

(أ) عذبوا آل ياسر : ياسر وابنيه عمار وعبد الله وزوجته سمية. عذبهم سادتهم بنو مخزوم برمضاء مكة [ابن إسحاق - ابن هشام (١/ ٣٩٥)]. وغطسوا عماراً في الماء [ابن إسحاق : السيرة، ص : ١٩٢، من حديث ابن سيرين].

مر بهم ﷺ وهم يعذبون فقال : «أبشروا آل عمار وآل ياسر، فإن موعدكم الجنة». [الحاكم (٣/ ٣٨٨) بسند صحح وافقه الذهبي]. وطعن أبو جهل سمية بحربة في قُبُلِهَا، فماتت [طس (٣/ ٢٣٣) البيهقي : الدلائل (٢/ ٢٨٢) ؛ ابن كثير : البداية (٤/ ١٤٧) ؛ ابن حجر : الإصابة (٤/ ٣٣٥)، من رواية أبي بكر بن أبي شيبة، مرسلاً صحيحاً].

وفي رواية أنه قال : «صبراً آل ياسر، موعدكم الجنة» [ابن حجر : الإصابة (٤/ ٣٣٥) ؛ ابن سعد (٤/ ١٣٧)، من غير طريق الواقدي]. فكانت أول شهيدة في الإسلام [طس (٣/ ٢٣٣)، بسند مرسل، صححه ابن حجر في الإصابة (٤٣٣٥)، عن مجاهد].

وكان عمار وسمية ممن ألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس. [أحمد (٣٨٣٢) بسند حسن عند محققو الموسوعة، وصحيح عند شاكر].

وأجبروا عماراً على التلفظ بكلمة الكفر. وذكر جمهور المفسرين أن الآية : ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النّحل: ١٠٦] قد نزلت فيه [ابن الجوزي : زاد المسير (٤/ ٤٩٥) ؛ الطبري في تفسير هذه الآية].

ومات ياسر تحت العذاب، ورمي ابنه عبد الله فسقط ميتاً [ابن حجر : الإصابة (٣/ ٦٤٨)، وعزاه إلى ابن الكلبي].

(ب) الاعتداء الجسدي على بلال وأمه حمامة :

كان مولاه أمية بن خلف يطرحه على ظهره في بطحاء مكة ويضع الصخرة العظيمة على صدره، ويطلب منه الكفر بمحمد ﷺ وعبادة

اللات والعزى، فكان جوابه (أحد أحد). [ابن إسحاق - ابن هشام (١/ ٣٩٢)، يتقوى بالشواهد].

ورأى عمرو بن العاص أمية يدغت في حلق بلال، حتى يغشى عليه [البلاذري: أنساب الأشراف (١/ ١٨٥)]، وجعلوا في عنقه حبلاً يجره منه الصبيان [المصدر نفسه]. وأعطشوه يوماً وليلة ثم أخرجوه للتعذيب في رمضاء يوم حار [نفسه (١/ ١٨٦)] .

وعندما اشتراه أبو بكر بخمس أواق ليحرره، كان مدفوناً بالحجارة.[الاستيعاب: (٢/ ٣٤)، بسند قواه الذهبي في سير أعلام النبلاء (١/ ٣٥٣) ؛ البلاذري (١/ ١٨٦) بسند قوي].

(ج) الاعتداء على خباب بن الأَرَتِّ، مولى أم أنمار الخزاعية :

كانوا يجذبونه من شعره، ويلوون عنقه بعنف، وأضجعوه عدة مرات على صخور ملتهبة وعليه حجر يمنعه من الحركة. [ابن الجوزي : تلقيح فهوم الأثر، ص : ٦٠].

ووضعوه على نار أطفأها ودك ظهره. [أبو نعيم : الحلية (١/ ١٤٤)، حسن بالشواهد ؛ ابن سعد (٣/ ١٦٥)، بسند حسن، ابن ماجه : المقدمة (١٥٣)، صححه الألباني].

وكانوا - أيضاً - يضجعونه على الرَّضَف [الحجارة المحماة]، [الحلية : (١/ ١٤٤) بسند صحيح].

وهو الذي رفع شكوى أصحابه المعذبين إلى النبي ﷺ ليدعو لهم بالفرج والنصر. [بخ (٣٦١٢)].

(د) ومن الموالي والأرقاء الآخرين الذين عذبوا : أبو فكيهة - أفلح - و أم عُبَيس، وزَنِّيرَة، والنَهْدِيَّة، وابنتها، وجارية بني عدي، التي كان يعذبها عمر قبل إسلامه [ابن كثير : الفصول، ص : ٨٧]، وجارية بني مؤمل، وقد أعتق أبوبكر هؤلاء الأرقاء المسلمين جميعاً [ابن

إسحاق - ابن هشام (١/ ٣٩٤)، وفي السير والمغازي، ص (١٩١)؛ البلاذري (١/ ١٥٨، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٦)].

من عبر وعظات هذا الأسلوب وغيره:

أن الفتنة والابتلاء هما الميزان الذي يميز الصادق عن الكاذب، وقال الله تعالى في هذا: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ٢-٣]، وقال: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٢﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وقال: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ۝٢١٤﴾ [البقرة: ٢١٤]. وأن الأخذ بالرخصة ليس دليلاً على فساد العقيدة، كما في حالة عمار، في ضوء الآية: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن﴾ [النحل: ١٠٦]. [ابن كثير: التفسير (٤/ ٥٢٥ - ٥٢٦)؛ ابن الجوزي: التفسير (٤/ ٤٩٦)؛ البغوي: التفسير (٢/ ٢٦)].

(١٣) ملاحقة المسلمين خارج مكة، والتحريض عليهم:

فعلوا ذلك مع مهاجرة الحبشة والمدينة، كما سيأتي ذكره.

(١٤) المقاطعة العامة للمسلمين:

يأتي ذكر ذلك في مكانه من أحداث السيرة المكية.

(١٥) محاولات قتل الرسول ﷺ؛ في قرابة الثلاثين مرة:

[انظر: السيرة لمهدي رزق الله]. يأتي ذكر ذلك من خلال أحداث السيرة.

(١٦) منعوا المسلمين من الحج والعمرة عندما هاجروا إلى المدينة، ومنعوا حتى مسلمي الأنصار من ذلك، كما في قصة سعد بن معاذ عندما جاء معتمراً، وأخذ يطوف في حماية حليفه أمية بن خلف [بخ (٣٦٣٢)].

(١٧) شن الحروب على الرسول ﷺ وأصحابه :

يأتي ذلك في أحداث الغزوات والسرايا، خاصة في العهد المدني.

❑ المبحث السابع عشر: الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة ❑

كانت هذه الهجرة، وفي هذه الظروف فراراً بدينهم من بلاد الفتنة إلى بلاد الأمان [بخ (٢٢٩٧)]. قال لهم ﷺ : «إن بأرض الحبشة ملكاً لايظلم عنده أحد، فالحقوا ببلاده حتى يجعل لكم الله فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه»، فكان النجاشي أصحمة عند حسن الظن به. [ابن إسحاق : السير والمغازي، ص : ٢١٣، وابن هشام (١/ ٤١٣)، من حديث ابن إسحاق، والإسنادان حسنان].

فخرجوا سراً - في رجب من العام الخامس من البعثة - بعدد أحد عشر رجلاً وأربع نسوة - واستغلوا مركباً تجارياً من ميناء الشعيبة، بنصف دينار للراكب. ولم تدركهم قريش [ابن سعد (١/ ٢٠٤)].

ولعلماء السير والمغازي اختلاف يسير في هذا العدد والأسماء [د. مهدي : السيرة (١/ ٢٢٤)] .

وعادوا في شوال من العام نفسه، لما بلغهم من أنباء بأن مكة أسلمت، ولكن عندما اقتربوا من مكة علموا بأنها إشاعة، فرجع بعضهم، ودخل البعض متخفياً، أو في جوار رجال من قريش. [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٢٥)]. وكل ماحدث أن الرسول ﷺ قرأ سورة النجم في جماعة من المسلمين والمشركين، وخواتيم هذه السورة قوارع تطير لها القلوب، فعندما وصل الآيات : ٥٣ - ٦١ : ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النجم: ٥٣، ٦١] سجد ومن معه، فندم المشركون على سجودهم، وأشاعوا فرية الغرانيق، التي تفيد بأنه عطف على أصنامهم بكلمات فيها تقدير. [بخ (٤٨٦٢)، (٤٨٦٣)، والتفاصيل عند د. مهدي : السيرة : (١/ ٢٢٥ - ٢٣٤)، من المصادر الأصلية وأقوال العلماء في دحض الفرية].

وأذن ﷺ بالهجرة لمن يريد من العائدين وغيرهم، وبلغ عددهم هذه

المرة نيفاً وثمانين رجلاً وتسع عشرة امرأة، وقيل غير ذلك. [أحمد (٤٤٠٠)، حسن]. وعرفت بهجرة الحبشة الثانية.

وأحدثت هجرة الحبشة هزة في المجتمع المكي المشرك، لأنها شملت أفراداً من البيوتات القرشية الكبيرة، خاصة من أقرباء زعماء المعارضة الشرسة، ومثال ذلك: أبناء سهيل بن عمرو - مفوض ومندوب قريش في صلح هدنة الحديبية: سهلة وأم كلثوم وزوجاهما، وعبد الله، وأخوه السكران بن عمرو؛ ومن البيت الأموي المعارض بشدة: فاطمة بنت صفوان بن أمية وزوجها عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية، وخالد ابن سعيد بن العاص بن أمية، وعثمان بن عفان - زوج رقية بنت رسول الله ﷺ - ورملة بنت أبي سفيان - أم حبيبة، وأم المؤمنين فيما بعد، وبركة بنت يسار - مولاه أبي سفيان، وزوجها قيس بن عبد الله - من أسد بن خزيمة، [وكان أبو سفيان زعيم المعارضة الأول]، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وأبو موسى الأشعري - حليف عتبة بن ربيعة - وفراس بن النضر بن الحارث، وسلمة ابن هشام بن المغيرة - أخو أبي جهل لأمه - وهشام بن العاص بن وائل - أخو عمرو بن العاص، وأمه أخت أبي جهل - وعثمان ابن مظعون - ابن عم أمية بن خلف - وعامر بن ربيعة - من بني عدي بن كعب، حليف آل الخطاب - ويزيد بن زمعة بن الأسود، وسودة بنت زمعة ابن الأسود - زوجة السكران بن عمرو . . . إلخ. [انظرهم عند ابن إسحاق وغيره، وتراجمهم في الإصابة].

وقد سعت قريش لإعادة مهاجري الحبشة، فأخفق مبعوثها عمرو بن العاص ومرافقيه، فزادت تشفيها ممن تحت يديها بمكة. [ابن إسحاق: السير، ص: ٢١٣، وابن هشام (١/٤١٣)، بسند حسن؛ د. مهدي السيرة (١/٢٠٧ - ٢١٠)].

ومكثوا ماشاء الله في الحبشة، فعاد بعضهم بعد هجرة المدينة، وقبل معركة بدر الكبرى، وكانوا ثلاثة وثلاثين رجلاً وثماني نسوة، وعاد الباقون مع جعفر بن أبي طالب عندما فرغ الرسول ﷺ من فتح خيبر، في العام السابع الهجري. [بخ (٣٩٠٥)، (٣٨٧٦)].

وفي هذا العام - السابع الهجري - توفي النجاشي، بعد أن أكرمه الله بالإسلام، فصلى عليه الرسول ﷺ صلاة الغائب. [بخ (٢٣٠، ١٣٢٠، ١٣٢٧، ١٢٤٥)، م (٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ١٧٧٤)].

❑ المبحث الثامن عشر: المقاطعة العامة ❑

بعد الأحداث السابقة، رأت قريش أن عدد الداخلين في الإسلام يزداد، وأن وسائلها وأساليبها في محاربة الدعوة لم تُجْدِ شيئاً، خاصة بعد إسلام حمزة وعمر رضي الله عنهما، لذا أجمعوا على قتل الرسول ﷺ، فبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بني هاشم وبني المطلب، فأدخلوا رسول الله ﷺ شِعْبَهم [طريق في الجبل، ومسيل ماء، وأصله لعبد المطلب]، ومنعوه ممن أراد قتله، فأجابوه إلى ذلك حتى كافرهم من باب الحمية، عدا أبو لهب. عندها ائتمرت قريش على كتابة وثيقة يتعاقدون فيها على بني هاشم وبني المطلب، على أن لا يعاملوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا إليهم محمداً ﷺ، ففعلوا ذلك، فعلقوها في جوف الكعبة.

واستمرت المقاطعة في أشهر الأقوال لمدة ثلاث سنين، ابتداء بالحرم سنة سبع. [ابن إسحاق - ابن هشام (١/ ٤٣٠)، (ابن إسحاق : السير، ص : ١٥٦ - ١٦٧) ؛ البيهقي : الدلائل (١/ ٣١١)، (عروة : المغازي، ص ١١٤ - ١١٦) ؛ (ابن سعد : ١/ ٢٠٨- ٢١٠) ؛ (الذهبي : السيرة، ص ٢٢١].

وجهدوا حتى أكلوا الخَبَط [ورق العضاة من الطلح والسلم ونحوه، يخبط بالعصا فيتساقط، وتعلفه الإبل] وورق السَّمُر، حتى إن براز أحدهم مثل براز الشاة. وروي عن سعد بن أبي وقاص أنه وطئ ذات ليلة على شيء رطب فوضعه في فمه، وما عرف ما هو. [السهيلي : الروض (٢/ ١٢٧)، وعزاه إلى الصحيح].

وعن سعد أيضاً أنه أخذ قطعة جلد بعير، وجدها تحت بوله فغسلها ثم أحرقها، ورضها بين حجرين، ثم استففها، وشرب عليها ماء فقوي عليها ثلاثة أيام. [ابن إسحاق : السير، ص : ١٩٤].

وغالى عليهم التجار في ثمن السلع، والتزم لهم أبو لهب ضمان تعويض الخسارة، فهلك من هلك من المحاصرين. [أبو نعيم : الدلائل (١/ ٢٧٩)]. ولم يتوقف الرسول ﷺ عن الدعوة خارج الشِّعْب. [ابن هشام (١/ ٢٤٣٤)]. وآذوا من اطلعوا على أنه يمد المحاصرين بالمؤن خفية. [الذهبي : السير، ص : ٢٢١]. وأخيراً قام في نقض الصحيفة نفر تحرك فيهم الضمير الإنساني، وهم : هشام بن عمرو بن الحارث وزهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وزمعة بن الأسود وأبو البَخْتَرِيَّ بن هشام بن الحارث، وكانت تربطهم ببني هاشم والمطلب صلات رحم. [نفسه].

وقد حفظ الرسول ﷺ لهؤلاء يداً عنده. فأعطى الأمان لأبي البَخْتَرِي يوم بدر، فوجدوه مقتولاً. [ابن أبي شيبة : المغازي، ص : ١٨٩، برقم (١٤٩)، مرسلاً]. وقال عن أسرى بدر : " لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني عن هؤلاء النتنى [العفنين] لأطلقتهم له " [بخ (٢٠٢٤)]. وأيضاً كان للمطعم يداً أخرى عليه ﷺ، وهي حماية النبي ﷺ عندما عاد من هجرته إلى الطائف. [ابن هشام (٢/ ٢٤) ؛ الفاكهي أخبار مكة، بسند حسن كما قال بن حجر في الفتح (١٥/ ٩٤)].

وكان مما ألان قلوب هؤلاء لنقض الصحيفة الظالمة أن النبي ﷺ أخبر عمه أباطالب أن الله قد سلط الأَرَضَة على الصحيفة، فلم تدع اسماً هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان. فكلم أبا طالب قريشاً بهذا، قائلاً لهم : (فإن كان كما قال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا، وانزلوا عما فيها، وإن كان كاذباً دفعت إليكم ابن أخي). فقالوا : (رضينا)، فتعاقدوا على ذلك، ثم نظروا، فإذا هي كما قال الرسول ﷺ، فزادهم ذلك شراً ؛ وعندها صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا ؛ كما روى أئمة السير والمغازي. [ابن هشام (٢/ ٢٠) ؛ أبو نعيم : الدلائل، ص : ٩٣ـ ٩٥ مرسلاً عن عروة ؛ البيهقي : الدلائل (٢/ ٣١٢ - ٣١٣) مرسلاً عن الزهري ؛ ابن سعد (١/ ٢١٠) من حديث الواقدي].

وفي رواية لابن إسحاق [ابن هشام (٢/ ١٩)، وموسى بن عقبة عند ابن حجر في الفتح (١٥/ ٣٨) ؛ وعروة : [المغازي، ص : ١٦] عكس ذلك، أي أن الأرضة لم تدع اسماً لله إلا أكلته، وبقي ما بها من الظلم والقطيعة. ولعل المعنى عندهم جميعاً واحد، وهو أنهم أرادوا أن يقولوا إن اسم الله تعالى لا يجتمع مع عبارات الظلم والقطيعة.

❏ المبحث التاسع عشر: وفاة خديجة رضي الله عنها وأبي طالب، وهجرته إلى الطائف ❏

توفي أبو طالب في السنة العاشرة من البعث، وبعد الخروج من حصار الشعب [بخ (٣٨٨٤) و (٢٤)] ؛ وتوفيت خديجة رضي الله عنها بعده بمدة يسيرة، في ذات العام [ابن سعد (٨/ ١٨) (١/ ٢١١) الذهبي : السيرة، ص : ٢٣٧؛ أنساب الأشراف (١/ ٤ز٦) ؛ ابن هشام (٢/ ٦٦)] .

وحزن ﷺ عليهما لمواقفهما معه. ولذا سمى بعض المؤرخين هذا العام بعام الحزن [انظر : الألباني : الدفاع، ص :١٨].

هجرته ﷺ إلى الطائف :

وعندما اشتد الأذى برسول الله ﷺ، خاصةً بعد وفاة عمه أبي طالب، خرج إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يسلموا، فلم يقبلوا منه ذلك، وسخروا منه، وأغروا به سفهاءهم ومواليهم، فضربوه بالحجارة حتى أدموا رجليه. ولم يسلم منهم غير عَدَّاس - مولى لعتبة أو شيبة بن ربيعة. [أحمد : الفتح الرباني (٢٠/ ٢٤٣)، بسند جيد]. فعاد إلى مكة - فكان برفقته مولاه زيد - مهموماً، فلم يستفق حتى بلغ قرن الثعالب - أي قرن المنازل، أو السيل الكبير - وبعث الله تعالى له هنا جبريل وملك الجبال عليها السلام، وأبلغه جبريل رسالة ربه التي مضمونها حقه في أن يأمر ملك الجبال بما يشاء فيهم، فقال ﷺ : «بل أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده . . .» [بخ (٣٢٣١) ؛ م (١٧٩٥)].

وأسلم بعض الجن عند وادي نخلة، كما جاء في القرآن [بخ (٤٩٢١)؛ م (٤٤٩)؛ والتفاصيل عند د. مهدي: السيرة]. وكانت هذه تسلية له أنسته آلامه، وأكدت له محبة الله تعالى.

❏ المبحث العشرون: معجزة الإسراء والمعراج ❏

فالإسراء: رحلته من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى، والمعراج: من المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى.

أتت هذه المعجزة تكريماً وتثبيتاً للرسول ﷺ بعد ما لاقاه من الأذى، خاصة بعد العام العاشر من البعثة.

وكانت في يوم الإثنين، الثاني عشر من الربيع الأول [طرهوني (١/ ٢٧٤)، حاشية ١١٨، ٣٩٨؛ الشامي: السبل (٣/ ٩٥ - ٩٦)]، قبل خروجه ﷺ إلى المدينة بسنة على والراجح. [مغازي عروة، ص: ١٢٠، مرسلاً من حديث ابن عقبة عن الزهري]. وهي حدث ثابت بالقرآن والسنة.

ومضمون رواياتها العشرين عند البخاري، عن ستة من الصحابة، ونحواً من ثماني عشرة، عن سبعة من الصحابة عند مسلم، وعدة روايات عند غيرهما، يمكن تلخيص مضمونها، كالآتي:

(أ) شق الصدر:

بعد العشاء من ليلة الإسراء والمعراج، جاءه جبريل عليه السلام، وشق صدره، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست ممتلئ حكمة وإيماناً، فأفرغه في صدره، ثم أطبقه . . . [بخ (٤٧٠٩)، م (١٦٣)]. وهذا الشق الثاني الثابت، بعد شق بادية بني سعد.

(ب) الإسراء:

أتاه جبريل عليه السلام بالبراق، وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبه إلى بيت المقدس، يصحبه جبريل

عليه السلام، فربطه بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء، ودخل وصلى فيه ركعتين، ثم خرج. فأتاه جبريل بإناء من خمر وآخر من لبن، فاختار اللبن، فقال جبريل: أصبت الفطرة. [أحمد: الرباني (٢٠/ ٢٥١ - ٢٥٢)، بسند صحيح؛ بخ (٥٦٢٠، ٥٥٧٦)، م (١٦٢) وصلى بالأنبياء قبل المعراج على الأرجح. [البيهقي: الدلائل (٢/ ٣٨٨)].

(ج) المعراج:

نصب له المعراج الذي يشبه السلم. [ابن كثير: البداية (٣/ ١٢٢)]، فصعد عليه بصحبة جبريل عليه السلام، الذي كان يطلب له فتح كل سماء، فيفتح له.

فرأى في السماء الدنيا آدم، وفي الثانية عيسى ويحى، وفي الثالثة يوسف، والرابعة إدريس، والخامسة هارون، والسادسة موسى، والسابعة إبراهيم، مستنداً إلى البيت المعمور، ووصل سدرة المنتهى.

وفرض الله عليه وعلى أمته خمسين صلاة في اليوم والليلة، وعندما التقى بموسى في طريق العودة، سأله عما فرض على أمته، فأخبره، فطلب منه أن يرجع إلى ربه ليطلب التخفيف، ففعل، وخففت إلى خمس بعد عدة رجعات، وبأجر الخمسين [بخ (٣٢٠٧)؛ م (١٦٣)، أحمد: الرباني (٢٠/ ٢٢٤٧، بسند صحيح؛ النسائي (١/ ٢١٧)].

(د) العودة:

كانت من السماوات العلا إلى بيت المقدس، ثم إلى مكة.

موقف قريش من الإسراء والمعراج:

عندما أخبر ﷺ قريشاً بقصة الإسراء والمعراج، كذبوه، لأنها رحلة شهرين وطلب منه من رأى بيت المقدس أن يصفه لهم، فرفعه الله له، فوصفه، فقالوا: (أما النعت فقد والله أصاب). [بخ (٤٧١٠)، م (١٧٠)؛ وغيرهما]. وارتد ناس ممن كانوا أسلموا. [أحمد (٣٥٤٦)، صحيح؛ الحاكم (٣/ ٦٢ -

٦٣)، صحيح] وصدقه أبوبكر دون تردد، لأنه يصدقه في خبر الوحي الذي هو أعجب من خبر الإسراء والمعراج، ويومئذ سماه ﷺ الصديق. [الحاكم (٣/ ٦٢ - ٦٣)، صحيح].

ألأدلة على أن الإسراء والمعراج كان بالروح والجسد معاً :

١- افتتاح سورة الإسراء بالتقديس : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] لا يقال إلا في الأمور المستبعدة عادة لتعاظمها، ولا تألفها مدارك العقول في متعارف الحياة [عرجون : محمد ﷺ رسول الله (٢/ ٣٤٢ - ٣٥٠)].

٢- إن كلمة " عبد " التي في الآية لا تطلق في لغة العرب ومفهومهم إلا على الروح والجسد معاً . [نفسه].

٣- وإن آية : ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النّجم: ١٧]، تفيد كذلك الروح والجسد معاً [نفسه].

٤- ولو كان مناماً لما استنكرته قريش، ولما ارتد من ارتد، ولم يكن فيه شيء من الإعجاز [الشامي : من معين السيرة، ص : ١١٢].

٥- مر في طريق العودة بعير [قافلة] لقريش، قد أضلوا بعيراً لهم، فجمعه [وجده] فلان، فسلم عليهم، فقال بعضهم : هذا صوت محمد. [البيهقي : الدلائل (٢/ ٣٥٥ - ٣٥٧)، صحيح].

وقد ضعف العلماء الآثار والأحاديث التي ذكرت أن الإسراء والمعراج كان مناماً كله. [عرجون : (٢/ ٣٤٢ - ٣٥٠)].

ومن عبر الإسراء والمعراج :

١- أن لبيت المقدس مكانة وقدسية عند الله تعالى ونبيه محمد ﷺ. ولذا فمن واجب المسلمين المحافظة عليه وعلى أرضه من المعتدين.

٢- إن إمامة النبي ﷺ من سبقه من الأنبياء، بها دلالة على العلاقة الوثيقة بين ما بعثوا به جميعاً، وختم الرسالات به، وفضله عليهم.

٣- إن في مرور هذه الرحلة المعجزة ببيت المقدس، لدلالة على تحويل

النبوة من ولد إسحاق إلى ولد إسماعيل، لأن اليهود أهدروا كرامة الوحي وأسقطوا أحكام الله، [الغزالي : فقه السيرة، ص : ١٣٧].

٤- إن اختياره ﷺ اللبن بدل الخمر، لدليل على أن الإسلام دين الفطرة. فاللبن على طبيعته، لا يذهب بالعقل مثل الخمر المصنوع من مواد غيرت طبيعتها التي خلقت لفائدة الإنسان والحيوان.

٥- دلت الحادثة وتأخر وقوعها أن المعجزات تأتي في طريق الدعوة للإيناس والتكريم، وليس فقط لقهر الناس على الاقتناع بصدق النبوة.

٦- دل فرض الصلاة في المعراج على عظيم مكانتها في الإسلام، ولذا يجب أن تكون معراجاً يرقى به الناس إلى الله كلما تدلت بهم شهوات النفوس وأغراض الدنيا. [الغزالي : فقه السيرة، ص : ١٣٧-١٣٨].

❑ المبحث الحادي والعشرون: عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل ❑

وكان هدفه من هذا إيجاد مكان مناسب يعبد الله فيه مع أتباعه آمنين.

وكانت مواسم الحج والعمرة وأسواق العرب مناسبات هامةللالتقاء بذوي الشأن وغيرهم لتحقيق هدفه. ومما كان يقول لهم : «هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي ؟» [د. ح (٤٧٣٤) ؛ ابن ماجه : المقدمة (ح ٢٠١) ؛ أحمد : الرباني (٢٠/ ٢٦٧) ؛ الذهبي السيرة، ص : ٢٨٢، صحيح]. و : «يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً . . . وأن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به . . .» [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٧٤)، أحمد (٣/ ٤٩٢)، (٤/ ٣٤١)، وسنده جيد].

وكان عمه أبو لهب يسير خلفه ويخذل عنه ويكذبه [نفسه] ؛ ويرميه بالحجارة، حتى أدمى قدميه [ابن إسحاق : السير، : ص٢٣٢، بسند صحيح].

وتفاوتت وتباينت ردود فعل المدعوين، فممن أبوا : كندة، الذين فيهم سيدهم مُلَيح، أو فُليح، وبنو عبد الله الكلبيين [ابن إسحاق : السير، ص : ٢٣٢، و ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٧٥)]، وبنو حنيفة، وكان ردهم قبيحاً [ابن إسحاق - ابن

هشام (٢/ ٧٥-٧٦)]، وبنو عامر بن صعصعة، وقال أحدهم، يدعى بَيْحَرة بن فِراس : (والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، أرأيت أن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟) قال ﷺ : «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء»، فقال : (أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لاحاجة لنا بأمرِك). وعندما عادوا إلى ديارهم وحكوا أحاديث الموسم، التي منها قصتهم مع محمد ﷺ، لامهم شيخهم الذي أقعدته السن، فراس بن عبد الله بن سلمة، على هذا الموقف، وقال لهم : (إن دعوة محمد حق). [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٧٦)].

وكان رد بني شيبان على لسان المثنى بن حارثة - أحد رؤسهم - : (... وإنما نزلناعلى عهد أخذه علينا كسرى، لا نحدث حدثاً ونؤوي محدثاً، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعو إليه مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤيدك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا) ؛ فقال ﷺ : «ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من أحاطه الله من جميع جوانبه ...». وقد سر ﷺ من أخلاقهم. [ابن حبان : السيرة، ص : ٩٣-١٠١؛ البيهقي : الدلائل (٢/ ٤٢٢-٤٢٧)، حسن، والحاكم وأبو نعيم، بسند حسن كما قال ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٢٠)].

وكان أهل المدينة أكثر تجاوباً عملياً مع دعوة الرسول ﷺ. فعندما عرض الإسلام على نفر من الخزرج عند العقبة في السنة الحادية عشر من البعثة، أسلموا، قيل كانوا ستة. [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٨٢)]، وقيل كانوا ثمانية [من حديث ابن عقبة في البداية (٣/ ١٦٤)، والأول أثبت كما قال الواقدي [ابن سعد (١/ ٢١٩)]. وقالوا : (إنا تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر مابينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك. ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك). فأوفوا بما قالوا، وفشا الإسلام في المدينة [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٨١-٨٣)، حسن] .

ومما مهد أفئدتهم لقبول الإسلام ما كان يذكره اليهود من أن نبياً قد أَظَلَّ زمانه، والأمر الآخر: يوم بعاث. قالت عائشة رضي الله عنها: (كان يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسوله، فقدم رسول الله ﷺ وقد افترق ملؤهم وقتلت سرواتهم، وجرحوا، فقدمه الله لرسوله في دخولهم الإسلام). [بخ (٣٧٧٧) - والسروات: الأخيار، أو الزعماء. وبعاث: مكان أو حصن أو مزرعة عند بني قريظة، دارت بها معركة بين الأوس والخزرج قبل الهجرة بخمس أو أربع سنين أو أكثر، والراجح الأول. قتل فيها أكابرهم من كان لا يؤمر، أي يتكبر ويأنف أن يدخل في الإسلام حتى لا يكون تحت حكم غيره، وكان منهم من هذا النحو - ولكنه لم يقتل فيها - عبد الله بن سلول - قاله ابن حجر في الفتح].

❑ المبحث الثاني والعشرون: بيعتا العقبة الأولى والثانية ❑

● المطلب الأول: بيعة العقبة الأولى:

جاء إلى الحج اثنا عشر مسلماً مدنياً في العام الثاني عشر من البعثة، فبايعوه على الإسلام عند العقبة، وكانت صيغة البيعة: " تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئاً، فستره الله فأمره إلى الله، إن شاء الله عاقبه وإن شاء عفا عنه"، فبايعوه على ذلك. [بخ (٣٨٩٢)، م (١٧٠٩)، وغيرهما، من حديث ابن الصامت].

قال عبادة بن الصامت: (فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفرض الحرب). [ابن إسحاق ابن هشام (٢/ ٨٦)، حسن]. ولهذا عرفت ببيعة النساء، لأنها على غرار بيعته ﷺ للنساء في ثاني أيام فتح مكة، وليس فيها الجهاد بالسيف.

وطلب مسلمو المدينة أن يرسل إليهم من يدعو إلى الإسلام، فأرسل مصعب بن عمير، فنزل على أسعد بن زرارة، ودعا سراً، فأسلم خلق كثير من العامة والخاصة على يديه، وبمعونة أسعد. [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٨٦)؛ البيهقي: الدلائل (٢/ ٤٣١، ٤٣٨؛ مرسلاً حسناً)؛ الذهبي: السيرة، ص: ٢٩٤؛ أبو نعيم، ص٣٠٦، والأسانيد تعتضد إلى درجة الحسن لغيره].

وكان أول من أقام جمعة بالمدينة أسعد، عندما بلغوا الأربعين، وأمهم مصعب رضي الله عنه بأمر الرسول ﷺ. [د (ح ١٠٦٩) ؛ ابن إسحاق : أبن هشام (٢/ ٨٧)، حسن].

وقدم مصعب رضي الله عنه مكة ليبلغ الرسول ﷺ نجاح مهمته، قبل حلول موسم الحج التالي. [بخ (٣٨٩٢) م (١٧٠٩)].

● **المطلب الثاني: بيعة العقبة الثانية :**

قدم مكة في موسم حج العام الثالث عشر من البعثة - مجموعة كبيرة من مسلمي المدينة، بزعامة البراء بن معرور، وقد تساءلوا إلى متى يتركون رسول الله ﷺ يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف. [أحمد : الرباني (٢٠/ ٢٧٠)، صحيح].

وجرت بينهم وبين الرسول ﷺ اتصالات سرية أدت إلى تحديد زمان ومكان اللقاء - العقبة من أواسط أيام التشريف - لإبرام اتفاق من أعظم وأهم وأخطر الاتفاقات في تاريخ الإسلام.

وكان عددهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان : نسيبة بنت كعب المازنية - أم عمارة - وأسماء بنت عمرو بن عدي - أم منيع.

وجاء معه عمه العباس إلى مكان اللقاء، وكان أول من تحدث، قائلاً لهم : (. . .إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن رأيهم مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وأنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، وما نعوه مما خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك . . .). فقالوا : (قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت).

فتكلم رسول الله ﷺ، ومما قاله : «أبايعكم على أن تمنعوني ماتمنعون منه نساءكم وأبناءكم». وتكلم البراء بن معرور وأبو الهيثم بن التَّيِّهان والعباس بن نضلة وابن زرارة الذي ختم كلامه ببدأ المبايعة، وتابعه الباقون مصافحة والمرأتان إشارة.

وكان نص البيعة من حديث جابر عند أحمد، أن تكون على الآتي :

١- على السمع والطاعة في النشاط والكسل.

٢- وعلى النفقة في العسر واليسر.

٣- وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- وعلى أن تقولوا في الله، ولا تاخذكم في الله لومة لائم.

٥- وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم وتمنعوني على ما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة " [باختصار من رواية : ابن إسحاق، بأسانيد فيها الحسن : ابن هشام (٢/ ٩٢، ٩٤، ٩٧، ١٠٠، ١٠٨، ١٢٠، ؛ أحمد الرباني (٢٠/ ٢٧٠) صحيح ؛ الحاكم (٢/ ٦٢٤) صحيح ؛ البيهقي : الدلائل (٢/ ٤٤٣) جيد ؛ بخ (٧٠٥٦)، ٧٢٩٩، ٧١٢٠٠؛ م (١٧٠٩) ؛ د. مهدي : السيرة (١/ ٢٩٢ـ٢٩٧)].

وقبل أن ينفض اللقاء صرخ شيطان العقبة كاشفاً عن مكان اللقاء وهدفه؛ فأمر الرسول ﷺ أن يتفرق الناس. [حق - هش (٢/ ١٠١ـ١٠٢)، بسند حسن].

وقال حينها العباس بن نضلة للنبي ﷺ : (والذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا)، فقال ﷺ : «لم نؤمر بذلك...». [المصدر نفسه].

ولم يدرك الكفار غير سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو، فأفلت منهم المنذر، وأطلق سراح سعد عندما أجاره جبير بن المطعم والحارث بن حرب، لأنه كان يجير لهما قوافلهم المارة من المدينة إلى الشام. [نفسه].

وكان من أهم نتائج هذه البيعة، أنها كانت الأساس الذي هاجر عليه الرسول ﷺ وأصحابه من مكة إلى المدينة، وإقامة الدولة الإسلامية. [التفاصيل عند : د. مهدي : السيرة (١/ ٢٩٩ - ٣٠٢)].

❑ ❑ ❑

الفَصْلُ الثَّانِي

هجرة الصحابة رضي الله عنهم إلى المدينة، ثم هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

❑ المبحث الأول: الهجرة إلى المدينة ❑

كان من أسبابها وجود الأمة التي تحمي الدعوة بالمدينة ليقوم رجالها بواجبهم بدون فتنة واضطهاد وابتلاء وتكذيب وتشريد. [بخ (١٨٨٩، ٤٠٩٣، ٣٩٠٥)].

وهاجروا سراً، ولاقى بعضهم الأذى عندما كشف أمرهم، منهم أبا سلمة بن عبد الأسد، الذي لحق به أهل زوجته، فأخذوها منه، وغضب رهطه، فنزعوا منها ابنها بالقوة حتى خلعوا يده، وتركوها تهاجر مع ابنها بعد نحو سنة، تخرج يومياً إلى الأبطح وتبكي، فرقوا لحالها، فصحبت عثمان بن أبي طلحة، وهو على شركه. [ابن إسحاق - ابن هشام: (٢/ ١٢٣ - ١٢٤)، حسن].

ولحقوا بصهيب، وقالوا له: (أتيتنا صعلوكاً حقيراً، فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لايكون ذلك). فخلوا سبيله عندما تخلى لهم عن ماله، لذا قال صلى الله عليه وسلم عندما بلغه موقفه: «ربح صهيب ...» [الحاكم (٣/ ٣٨٩)، صححه الألباني في حاشية فقه السيرة للغزالي، ص: ١٦٦، وهو معلق عند ابن هشام (٢/ ١٣٣)].

وقال في رواية: «يا أبا يحيى ربح البيع»، وتلا الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٧]، [الحاكم (٣/ ٤٠٠) وصححها].

هجرة عمر رضي الله عنه وعياش وهشام بن العاص رضي الله عنهم:

قال عمر رضي الله عنه عن هجرته: (اتعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص بن وائل السهمي التناضب من أضاة

بني غفار [الأضاة : أرض تمسك الماء، فيكون فيها الطين. والتناضب : شجيرات في هذه الأضاة]، فوق سرف [عندها قبر أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها]، وقلنا أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه، فأصبحت أنا وعياش عند التناضب، وحبس عنا هشام، وفتن فافتتن). [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ١٢٩ - ١٣١)، بسند حسن].

وجاء في رواية ضعيفة عند ابن الأثير في أسد الغابة [٤/ ٥٨]، أنه هاجر جهراً، وقال : (من أراد أن تثكله أمه وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي)، [ضعفها الألباني في : دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، ص : ٤٣].

وجاء إلى المدينة أبو جهل والحارث ابنا هشام، أخوا عياش لأمه، فاحتالا على عياش بأن أمهم نذرت أن لا يمس مشط رأسها حتى تراه، فرق لها ولم يسمع نصيحة عمر رضي الله عنه له : (... والله إن يريدك القوم إلا عن دينك، فاحذرهم، فو الله لو قد آذى أمك القمل لا متشطت)، وعندما قال بأن له مالاً بمكة يريده، التزم له عمر بنصف ماله ؛ وعندما أبى منحه ناقة له، سهلة الانقياد، لينج بها إذا رابه منهما شيء، وأخيراً اتضح صدق ما قاله له عمر رضي الله عنه، فقد احتالا عليه ببعض الطريق وكتفاه، ودخلا به مكة، يقولان: (هكذا افعلوا بسفهائكم). وعندما نزل قوله تعالى : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزُّمَر: ٥٣]، كتب عمر رضي الله عنه الآيتين، وأرسلهما له، ففهمهما بصعوبة، بأنهما نزلتا في أمثاله، فهاجر، ولحق بالنبي ﷺ بالمدينة. [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ١٢٩ - ١٣١)، بسند حسن].

وتتابعت مواكب المهاجرين قبل هجرة النبي ﷺ، ولم يبق في دار حرب إلا مغلوب على أمره أو صاحب عذر، أو من استبقاه الرسول ﷺ للقيام بدور معين لمصلحة الدعوة، مثل علي وأبي بكر رضي الله عنهما. وكان الرسول يقنت بعد ركوعه الأخير داعياً : «اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة ...». [بخ (٤٥٦٠)]، وفي رواية بزيادة : «اللهم انج المستضعفين من المسلمين . . .» [بخ٢٩٣٢].

❏ المبحث الثاني: هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة ❏

عندما علم المشركون بما تم بين الرسول ﷺ والأنصار في بيعة العقبة الثانية، ورأوا المهاجرين يتسللون إلى المدينة، خشوا من تجمع المسلمين بالمدينة وخروج الرسول ﷺ إليهم، والقضاء على الوثنية ونفوذهم ومصالحهم الدنيوية. لذا قرروا التخلص من رأس هذا الكيان، عندما اجتمعوا لهذا في دار الندوة، فيما حكاه القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠]. وجاءت الأحاديث والآثار مفصلة لما أجملته هذه الآية. [الطبري: التاريخ (٢/ ٣٧٠)، من حديث ابن إسحاق بسند حسن]. [ليثبتوك: ليسجنوك؛ يخرجوك: يطردوك].

وفي ظل هذه الظروف أذن الله لنبيه بالهجرة بعد أن مكث في مكة ثلاثة عشر سنة، فأخذ في وضع خطة سرية للهجرة إلى المدينة، أخذاً بالأسباب، ليعلم الناس أن اتخاذ الأسباب لايتنافى مع التوكل والشجاعة. وكانت كالأتي:

١- استبقى من يصحبه في الهجرة، وهو أبا بكر. [ابن هشام (٢/ ١٣٢)؛ المستدرك (٣/ ٥)، وصححه ووافقه الذهبي]، الذي ظل يستعد لذلك اليوم، فاشترى راحلتين، وأخذ يعلفهما لمدة أربعة أشهر [ابن هشام (٢/ ١٣٢)، بخ (ح ٣٨٠٥)].

٢- استئجار دليل ماهر عارف بطرق الصحراء غير المطروقة كثيراً، وهو عبد الله بن أرقد الدَّيلي، وكان مشركاً، واستُكْتِمَ الخبر، على أن يلحق بهم قريباً في غار ثور بعد ثلاثة أيام من خروجهما من دار أبي بكر. [بخ(٣٩٠٥)].

٣- أمر أبو بكر رضي الله عنه عامر بن فهيرة - مولاه - أن يصحبهما في هجرته للخدمة. [بخ (٣٩٠٥)].

٤- أمر ﷺ علياً لينام في فراشه تلك الليلة ليوهم قريشاً لوجوده بالدار، في حين أنه كان قد وصل إلى غار ثور، ويتسجى ببرده الحضرمي الأخضر، وطمأنه بأنه لن يصل إليه من المشركين مايكره. [أحمد: المسند (٥/ ٨٧)، حسن؛ الحاكم (٣/ ٤)، حسن].

٥- وكان دور علي الثاني، أن يؤدي الودائع والأمانات التي كانت عنده للناس، لما يعلمون من صدقه، حتى سموه الصادق الأمين. [الطبري: التاريخ (٢/ ١٤٢)، بسند حسن من حديث ابن إسحاق]. لأنه ﷺ لو رد الأمانات بنفسه لعلم بقرار هجرته.

٦- جاء ﷺ إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه ليعلمه بإذن الهجرة والصحبة في وقت غير معتاد، في نحر الظهر. [بخ (٣/ ١٤١٨ - ١٤١٩)؛ أحمد: الرباني (٢٠/ ٢٧٩ - ٢٨١)؛ وغيرهما].

٧- جاء إلى بيت أبي بكر متقنعاً حتى لايعرفه من يراه. [بخ (٣٩٠٥)].

٨- وطلب منه أن يخرج من عنده، حتى لايُسمع مايدور بينه وأبي بكر في أمر الهجرة والخطةَ للإفلات من الكفار. [بخ (٣٩٠٥)].

٩- أن تصنع أسماء رضي الله عنها لهما طعاماً فترة البقاء في غار ثور، [بخ (٣٩٠٥)]. وقطعت من نطاقها ما ربط به فم جراب الطعام، فبذلك سميت بذات النطاقين. [بخ (٣٩٠٧)]، أو ذات النطاق [بخ (٣٩٠٥)].

١٠- أن يخرجا ليلاً إلى غار ثور، [بخ (٣٩٠٥)] في الجهة الجنوبية الغربية من مكة، للتمويه، لأن أنظار الكفار ستتجه إلى المدينة، الجهة الشمالية لمكة.

١١- أن يمكثا في الغار ثلاثة أيام، [بخ (٣٩٠٥)] حتى يخف الطلب عنهما.

١٢- أمر أبو بكر رضي الله عنه ابنه عبد الله رضي الله عنه أن يتسمع ما يقوله الناس عنهما في النهار، فيأتيهما به في الغار ليلاً ثم يرجع إلى الدار عند السحر ليصبح عند قريش، [بخ (٣٩٠٥)].

١٣- وأمر مولاه عامر بن فهيرة رضي الله عنه ليرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما في

الغار إذا أمسى، ليطعما من ألبانها، [بخ (٣٩٠٥)] ويذبح منها للأكل [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ١٤٤)]، ويزيل بها آثار أقدام عبد الله. [نفسه]، ويعود بغلس - مع ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح. [بخ (٣٩٠٥)].

١٤- طلب ﷺ من سراقة بن مالك عندما لحق بهما في الطريق، وعصمه الله منه، أن يعمي عنهم الخبر [بخ (٣٩٠٦)]. م (٢٠٠٩)].

١٥- دفعا الراحلتين إلى ابن أرقد. [بخ (٣٩٠٥)]. إبعاداً للشبهة إذا كانت معهما من أول يوم.

١٦- خرجا إلى الغار ليلاً [البيهقي: الدلائل (٢/ ٤٦٦)].

١٧- وخرجا من خَوخَة في ظهر بيت أبي بكر رضي الله عنه [البخاري (٣٩٠٥) ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ١٤٣) الواقدي: المغازي]. قال ﷺ: «لقد خرجت من الخوخة متنكراً، فكان أول من لقيني أبو جهل، فأعمى الله عز وجل بصره عني وعن أبي بكر حتى مضينا» [الشامي: السبل (٣/ ٣٣٨)]، وعزاه إلى أبي نعيم عن عائشة بنت قدامة.

١٨- وكان إذا سال أحد أبا بكر رضي الله عنه في الطريق عن الرسول ﷺ يقول: (هذا الرجل يهديني السبل)، فيحسب السائل أنه يعني الطريق، وإنما كان يعني سبل الخير [بخ ٣٩١١].

١٩- كان أبو بكر رضي الله عنه يحمل معه كل ثروته - خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم - لتكون تحت تصرف الرسول ﷺ. [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ١٥٢)، بسند حسن].

وماذا فعلت المعارضة الكفرية؟

كانت نتيجة اجتماع شورى الكفار بدار الندوة، ومعهم إبليس في صورة شيخ من نجد، أن يقتلوه؛ واختاروا للتنفيذ عشرة من الشبان، كل واحد منهم يمثل قبيلة، ليتفرق دمه بين القبائل كلها، فلا تقوى بنو هاشم والمطلب [بنو عبد مناف] على حرب قومهم جميعاً، فيرضوا بالدية. وأيد إبليس هذا القرار، الذي أخبر الله به نبيه محمداً ﷺ. جاء الفتية إلى باب النبي ﷺ

للتنفيذ، ومعهم أبو جهل، يقول لهم مستهزئاً : « إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم الأرض جنانًا كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح » [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ١٣٩ - ١٤٠) مرسلاً حسناً ؛ الطبري : التاريخ (٢/ ٣٦٩ - ٣٧٢)، من طريق مجاهد، بسند صحيح].

وخرج عليهم الرسول ﷺ، فأخذ حفنة تراب، ثم قال لأبي جهل : « أنا أقول ذلك، أنت أحدهم » وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه، فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم، ويتلو الآيات من صدر سورة يس إلى قوله تعالى : ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]، ثم انصرف. فجاء رجل وأخبرهم بالتراب الذي عليهم، واكتشفوا بعدها أن الذي على الفراش هو علي رضي الله عنه . . [نفسه]. وعندها أخذوا في وضع الخطط للعثور عليه، من ذلك :

١- إلقاء القبض على علي فوراً، وضربه، وسحبه إلى الكعبة، وحققوا معه، ولم يصلوا إلى مرادهم، [المنصوري : رحمة للعالمين (١/ ٩٦)].

٢- حققوا مع أسماء عن مكان والدها، فقالت أنها لا تدري، فغضب أبو جهل فلطمها لطمة طرح منها قُرْطَهَا. [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٢٤٥)].

٣- وضعوا جميع الطرق النافذة من مكة تحت المراقبة الدقيقة.

٤- قرروا منح جائزة مقدارها دية كل من الرسول ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه لمن يعثر عليهما حيين أو ميتين. [بخ (٣٩٠٦) ؛ ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ١٥٢) بسند حسن].

٥- استأجروا قصاص الآثار، منهم كرز بن علقمة، ليتبينوا آثارهما، فوصلوا حتى فم الغار. [الإصابة (٣/ ٢٩٣)، وعزاه لأبي سعيد في شرف المصطفى].

٦- أرسلوا إلى البوادي يأمروهم بالقبض عليه. [بخ (٤٦٦٣)، م (٢٣٨١)].

الطريق إلى الغار:

وقبل اختفاء مكة عن الأنظار، نظر إليهما ﷺ بعاطفة مشحونة بالذكريات، وقال: «والله إنك لخير أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت». [تر (٣٠٨٣) وصححه الألباني ؛ ابن ماجه (٢/ ١٩٦)، وصححه الألباني].

وجعل أبو بكر يمشي ساعة بين يدي الرسول ﷺ وساعة خلفه، فسأله ﷺ عن سبب هذا، فقال: (يا رسول الله، أذكر الطلب، فأمشي خلفك، ثم أذكر الرَّصَدَ فأمشي بين يديك)، فقال له ﷺ: «يا أبا بكر، لو كان شيء أحببت أن تكون لك دوني؟» قال: (نعم، والذي بعثك بالحق ما كان لتكون من ملمة إلا أحببت أن تكون لي دونك). [بهد (٢/ ٤٧٦) ؛ حك (٣/ ٦)، مرسلاً صحيحاً ؛ ابن حجر: الفتح (١٥/ ٩١)، مرسلاً ؛ ابن هشام (٢/ ١٤٣) ؛ ابن كثير: البداية (٣/ ١٩٧)، بتقوى بشواهده].

في الغار:

طلب أبو بكر من الرسول ﷺ ألا يدخل الغار قبل أن يستبرئه له - أي يطمئن إلى خلوه من الآفات - فأجاب. [بهد (٢/ ٤٧٦)، مرسلاً ؛ الحاكم (٣/ ٦) مرسلاً صحيحاً].

وأشفق وحزن أبو بكر رضي الله عنه على النبي ﷺ عندما طلع الكفار فوق الغار وهما بداخله، وسمعا أصواتهم، وقال: (يارسول الله ! لو أن أحداً نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه)، فقال ﷺ: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما». [بخ (٤٦٦٣) ؛ م (٢٣٨١)]. ونزل في هذا بعد سنين قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. [نفسه ؛ الطبري: التفسير (٤/ ٢٥٧ـ ٢٦٠)].

وحمى الله تعالى نبيه ﷺ في الغار بنسج العنكبوت على فم الغار.

[أحمد : المسند (٥/ ٨٧) - حسن ؛ ابن حجر : الفتح (١٥/ ٩٠)، حسن ؛ ابن كثير : التاريخ (٣/ ١٩٩)، حسن].

وقال ﷺ عندما أصابه حجر أدمى أصبعه :

هـل أنـت إلا أصبـع دميـت ... وفي سبيل الله ما لقيت [م (١٧٩٦)].

التوجه إلى المدينة :

انطلق ﷺ وأبو بكر وابن فهيرة رضي الله عنهما بعد فترة الغار، سالكين طريق الساحل. [بخ (٣٩٠٥) ؛ ابن هشام (٢/ ١٥٠)].

كان ﷺ مطمئناً، ولسانه رطب بذكر الله والدعاء، وأبو بكر يكثر الالتفات، حرصاً على سلامة الرسول ﷺ. [بخ (٣٩٠٦)].

ورفع الله لهم صخرة ليقيلوا في ظلها، وكفاهم شر كشف الراعي المكي لهويتهم. [بخ (٣٩١٧ - ٣٩١٨)].

وعندما مروا بديار بني مُدْلِج - قرب رابغ - عرف أمرهم سراقة بن مالك المدلجي، فطمع في جائزة قريش، فلحق بهم، ولكن الله حبس فرسه حين غاصت قوائمها في الأرض الصلبة، فأيقن أن محمداً قد منع عنه، فطلب الأمان، فانطلقت فرسه، ووصل ركب الهجرة، وعرض عليهم الزاد والمتاع، فلم يطلبوا شيئاً، سوى أن الرسول ﷺ طلب منه أن يخفي خبرهم. وطلب سراقة كتاب أمان، فأجيب طلبه. [بخ (٣٩٠٦) ؛ م (٢٠٠٩)].

وحزن أبو بكر رضي الله عنه عندما أدركهم سراقة، فقال له ﷺ : «لا تحزن إن الله معنا». [بخ (٣٦٥٢)].

ووفى سراقة بعهد الإخفاء - أو التعمية - عنهم [بخ (٣٩١١)]، ووفى ﷺ له بهذا الأمان يوم حنين [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ١٥٤)، حسن].

وقال ﷺ لسراقة يوم الهجرة : «كيف بك إذا لبست سواري كسرى ؟»، وقد لبسهما على يد عمر رضي الله عنه إثر فتح المدائن [ابن حجر : الإصابة (٢/ ١٩)،

منقطعاً ؛ الاستيعاب (٢/ ١٢٠) - بهامش الإصابة - منقطعاً].

ومر بخيمتي أم معبد الخزاعية، ولم يجدوا عندها طعاماً، فأذنت للرسول ﷺ في حلب شاة لها خلفها الجهد عن الغنم، وليست بحلوب، فأكرمه الله بمعجزة إدرار الحليب منها، فحلب فسقاها منه أولاً ثم رفقائه، فشرب ﷺ آخرهم، وترك الإناء مملوءاً لها.

وعندما حضر زوجها الذي كان غائباً مع غنمه، وسمع من أم معبد قصة الحليب، ووصفها الرسول ﷺ، عرف أنه النبي ﷺ. [الحاكم (٣/ ٩ ت١٠)، بسند يتقوى، والتفاصيل المحققة عند د. مهدي : السيرة (١/ ٣٣١ - ٣٣٢)].

ومروا بمملوك راعي غنم، لم يجدوا معه ما يطعم، إلا شاة أو عناقاً جف لبنها قريباً، فأذن للرسول ﷺ بحلبها، فمس ضرعها فحلبت ماروا منه، فأسلم الراعي. [الحاكم (٣/ ٨) ؛ البداية (٣/ ٢١٢)].

ومروا بعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، راعي غنم عقبة بن أبي معيط، فأذن للرسول بحلب جزعة من الأغنام، خالية من الحليب لحداثة سنها، فحلبت له، فسقى رفقته، وعاد الضرع إلى حالته [أحمد (١/ ٤٦٢)، حسن ؛ الطيالسي : منحة المعبود (٢٤٥٦)، صحيح].

ولقوا عند " حدوات " - بين الجحفة وهرشى - أوس بن عبد الله ابن حجر الأسلمي، فأعطاهم فحل إبله " ابن الرداء "، ليركبه، وبعث معهم غلامه مسعود ليعين على ما يعلم من الطرق إلى المدينة. [ابن عبد البر : الدرر، ص : ٩١، وحسنه].

الوصول إلى المدينة :

وصل الركب يوم الإثنين، ١٢ / ٣ / سنة ١هـ، الموافق له ٢٣ / ٩ / ٦٢٢، [رحمة للعالمين (١/ ١٠٢)]. واستقبله أهل المدينة استقبالاً حاراً. وصاح النساء والخدام والغلمان : جاء محمد، جاء رسول الله، الله أكبر، جاء محمد. [الحاكم (٣/ ١٣)، صحيح]. وأنشدوا :

طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا   ما دعا لله داع

[البيهقي : الدلائل (٢/ ٥٠٦ _ ٥٠٧، مشهور].

ثم سار حتى نزل قباء في بني عمرو بن عوف، من الأوس، على كلثوم بن الهدم، لمدة أربع عشرة ليلة، أسس فيها مسجد قباء [ابن سعد (١/ ٢٣٦ - ٢٣٧)].

وأدركته الجمعة وهو في طريقه إلى داخل المدينة، في بني سالم بن عوف، فجمع بهم بالمسجد الذي ببطن الوادي [ابن سعد (١/ ٢٣٦ - ٢٣٧)، بسند صحيح ؛ ابن إسحاق : السيرة - ابن هشام (٢/ ١٥٩)، معلقاً)]. وكانت أول جمعة أقيمت داخل المدينة. [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ١٥٩)، حسن].

ونزل داخل المدينة بدار أبي أيوب الأنصاري ﷺ، في أخواله بني النجار.[نفسه].

وكان نزوله بالطابق الأسفل من دار أبي أيوب، فتحرج أبو أيوب من المشي فوق رأس النبي ﷺ، فطلب من النبي أن ينتقل إلى الطابق العلوي، فقال ﷺ «السفل أرفق»، فقال أبو أيوب : (لا أعلو سقيفة أنت تحتها)، فتحول ﷺ إلى الدور العلوي [م ٢٠٥٣].

ويذكر سبب آخر في إصرار أبي أيوب على تحول النبي ﷺ إلى العلوي، وهو أن جرة ماء انكسرت يومًا، نشفها مع أم أيوب بلحافهما الوحيد، خشية وصول الماء إلى النبي ﷺ فيؤذيه [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ١٦٤)، حسن].

❑ ❑ ❑

الفَصْلُ الثَّالِثُ

أحداث السيرة النبوية في المدينة المنورة

❑ المبحث الأول: أسس بناء الدولة الإسلامية ❑

● المطلب الأول: بناء المسجد:

كان أول عمل قام به عند مقدمه إلى داخل المدينة هو بناء المسجد، وبناء بيوت أزواجه رضي الله عنهن حوله، من المواد المحلية، [بخ (٤٤٦)] ومورست فيه جميع أنشطة الدولة والمجتمع - مع دوره الأول: الصلاة والتعليم، مثل: -

(أ) إيواء عُذَّاب المهاجرين الفقراء، عرفوا بأهل الصُّفة، [بخ: الفتح (٣/ ١٠٢)] حتى النساء [بخ (٤٣٩)].

(ب) إنشاد الشعر فيه. [بخ (٤٥٣)].

(ج) ربط أسير الحرب المشرك فيه. [بخ (٤٦٩)].

(د) علاج المرضى - كما في حالة علاج سعد بن معاذ حين أصيب يوم الخندق و كانت رفيدة الأسلمية ممرضته. [بخ (٤٦٣)].

(هـ) استقبال الوفود فيه. [بخ (٤٣٦٥، ٤٠٩١، ٢٧١٤، ٢٧٩٥؛ م (٥٦)؛ حق (٤/ ٢٩١ - ٢٩٣)؛ وانظر خبر الوفود].

● المطلب الثاني: المؤاخاة:

ثم آخى ﷺ بين المهاجرين - الذين تركوا بلادهم ومهنهم - والأنصار، ليرتفق [ليستعين مادياً] الأدنى بالأعلى. [ابن حجر: الفتح (١٥/ ١٢٩)]. فبذل الأنصار ما يستطيعونه لإخوانهم المهاجرين، وشهد الله لهم بذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:

٩]. ومن الأدلة على الحب والإيثار المذكور في الآية :

١- عندما دعا النبي ﷺ الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين، قالوا : (لا، إلا أن يقطع لإخواننا المهاجرين من مثلها . . .). [بخ (٣٧٩٤)].

٢- جعلوا لإخوانهم المهاجرين نصيباً في الورثة، [بخ (٤٥٨٠)] إلى أن أبطل الله توارث غير الأرحام، كما في قوله تعالى : ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ﴾ [الأنفال: ٧٥]. [بخ (٤٥٨٠)]. ولكن بقي النصر والرفادة، والوصية ببعض الميراث] [بخ (٤٥٨٠)]. وذهب النووي - شارح صحيح مسلم - إلى هذا المعنى [مسلم (٤/ ١٩٦٠/ الحاشية] .

٣- قال سعد بن ربيع الأنصاري لأخيه عبد الرحمن بن عوف المهاجري رضي الله عنهم : (إني أكثر الأنصار مالاً فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زَوْجَتَيَّ هَوَيْتَ نزلتُ لك عنها، فإذا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَها)، فقال ابن عوف : (لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة ؟)، فدله سعد رضي الله عنه على سوق يهود بني قينقاع. وكان ذلك بداية مشوار ثرائه الكبير [بخ (٢٠٤٨ - ٢٠٤٩)].

٤- استضاف أنصاري ضيفاً لرسول الله ﷺ على الرغم من أنه لايملك إلا عشاء أولاده، لذا أنامهم، وقدم طعامهم إلى الضيف، وأطفات المرأة السراج بعد أن تظاهرت بإصلاحه، وجعل الزوجان يريانه كأنهما يأكلان معه، وهم في الظلام، وفيهما نزل قوله تعالى : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ﴾ [الحَشر: ٩]. [بخ(٣٧٩٧)].

- **المطلب الثالث: كتابة صحيفة بين المسلمين وغيرهم :**

هدفها تنظيم العلاقة بين المسلمين أنفسهم، وبين اليهود والمشركين .

وتعد أقدم دستور مكتوب في العالم، تضمنت مبادئ دستورية عديدة ومن، أبرزها :-

(أ) تشكيل الأمة من حيث العقيدة والدين.

(ب) تشكيل الأمة من حيث المواطنة، إذ شمل حق المواطنة لكل أهل المدينة.

(ج) المساواة في المعاملات العامة.

(د) منع إيواء المجرمين.

(هـ) منع الصلح المنفرد مع العدو.

(و) الإسهام في نفقة الدفاع عن الدولة والوطن.

(ز) الإبقاء على الأعراف الصالحة.

(ح) حرية العقيدة والتدين. [التفاصيل عند: د.مهدي: السيرة (١/ ٣٦٠ -٣٧٤)].

- **المطلب الرابع: إنشاء السوق الإسلامية:**

عندما استقر الرسول ﷺ بالمدينة بعد الهجرة مباشرة كان من أولويات مشاريعه لأسلمة الحياة في جميع جوانبها بعد بناء المسجد النبوي والمؤاخاة بين الصحابة رضي الله عنهم وكتابة صحيفة المدينة إنشاء سوق خاصة بالمسلمين، ليتحرروا من سيطرة اليهود على الأسواق التجارية بالمدينة، التي كانوا يفرضون فيها قيمهم في المعاملات التجارية القائمة على الربا والتدليس والغش وبيع الغرر والاحتكار وفرض الأتاوات وغير ذلك من البيوع الفاسدة، خاصة فرضها على غير أهل ملتهم، الذين يسمونهم الأميين، كما حكى القرآن الكريم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥].

روى عمر بن شبة في كتابه: "أخبار المدينة" بإسناد مرسل لا بأس به، ورواه الطبراني في الكبير من وجه آخر متصلًا، عن عطاء بن يسار، أن الرسول ﷺ عندما أراد أن يقيم سوقاً تجارياً إسلامياً، أتى سوق بني قينقاع [يهود]، ثم جاء إلى مكان اختاره لسوقه قريباً من سوقهم هذا، وضرب المكان برجله وقال: «هذا سوقكم، فلا يضيق ولا يؤخذ فيه خراج». وفي رواية له عن صالح بن كيسان أنه ﷺ ضرب قبة [خيمة] في موضع بقيع الزبير، وقال: «هذا سوقكم»، فجاء كعب بن الأشرف، الزعيم اليهودي النضيري مغتاظاً، فقطع أطناب [حبال] القبة. فقال رسول الله ﷺ: «لا جرم، لأنقلنها إلى موضع هو أغيظ له من هذا»، فنقلها باقتراح من أحد

الصحابة إلى موضع سوق المدينة الذي عرف بسوق المناخة [نسبة إلى مكان مناخ [مبرك] جمال الحجاج والعمار والقوافل، وقال: «هذا سوقكم، لا تتحجروا [أي لا يضيق بعضكم على بعض، ولا حيازات للأماكن في السوق، أي لا تقام فيه مبانٍ ثابتة]، ولا يضرب عليه الخراج».

وموقعه غربي المسجد النبوي، وتبدأ حدوده من مسجد مصلى العيد (الغمامة) جنوباً وحتى قلعة باب الشامي سابقاً، والتي كانت تقع على جبل سُليع، خلف مكتبة الملك عبدالعزيز حاليًا، ودخلت أخيرًا ضمن مشاريع تحسين المناطق المحيطة بالمسجد النبوي الشريف.

وكان من الأسماء الأخرى لهذا السوق: سوق المدينة، بقيع الخيل، سوق المصلى، سوق البقيع، سوق البطحاء، سوق الزوراء.

وهي أول سوق في التاريخ يضع حجر أساسها ويؤسسها نبي.

وقامت السوق قوية منظمة، فكان للخيل مكان، وللإبل مكان، وللتمر مكان، وللقمح مكان، وهكذا كل سلعة لها مكانها المعروف المنظم. [انظر في أخبار سوق المدينة: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى للسمهودي (٢/ ٧٤٧، ٧٤٨)].

❏ المبحث الثاني: أحداث السيرة قبل غزوة بدر الكبرى ❏

● المطلب الأول: أسلمة الاسم يثرب:

سمى الرسول ﷺ يثرب بـ «طابة» [مسلم (١٣٨٥)؛ ابن شيبة: تاريخ المدينة (١/ ١٦٤)]، وطيبة [الطيالسي: المسند (٢/ ٢٠٤)]. وذكرها القرآن الكريم والرسول ﷺ باسم المدينة [بخ (٧١٣٣)]. ونهى أن تسمى بيثرب، بدليل قوله ﷺ: «من سمى المدينة بيثرب فليستغفر الله عز وجل، هي طابة، هي طابة» [أحمد (٤/ ٢٨٥)، بسند يعتضد].

وسبب كراهة الاسم يثرب، لأنه إما من التثريب الذي هو التوبيخ والملامة، أو من الثرب، وهو الفساد، وكلاهما مستقبح، وكان ﷺ يحب الاسم الحسن. [ابن حجر: الفتح (٨/ ٢١٦)].

وقال ﷺ داعياً عندما أصابت الحمى المهاجرين: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة، أو أشد، وصححها، وبارك في صاعها ومدها، وانقل حماها فاجعلها في الجحفة». [بخ (٣٩٢٦)].

● **المطلب الثاني: قريش تهدد المهاجرين والأنصار الذين آووهم**

وجدت قريش ضالتها في ابن سلول، زعيم المنافقين، الذي فاتته زعامة المدينة بمجيء الرسول ﷺ. وكان الرسول ﷺ يعفو عنه بعد كل موقف نفاقي له، مراعاة لعاطفة قرابته مع الأنصار؛ قال سعد بن عبادة رضي الله عنه: (يا رسول الله، اعف عنه، واصفح عنه، فو الذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق الذي أُنزلَ عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البُحَيْرَة على أن يتوجوه فَيُعَصِّبُوهُ بالعِصَابَة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله، شَرِق [أي غَصَّ] بذلك، فلذلك فعل به ما رأيت ...) [بخ: (٤٥٦٦)؛ م (١٧٩٨)، أحمد: الرباني (٢١/ ١٩) حسن].

وقال سعد رضي الله عنه في رواية: (يا رسول الله، ارفق به، والله لقد جاءنا الله بك، وإنا لننظم له الخرز لنتوجه، فو الله إنه ليرى أنه قد سلبته ملكاً). [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٢٧٠)، حسن، طريق الشيخين وأحمد نفسهما]. وكان أول ما فعلوه أن كتبوا لابن سلول قائلين: (إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لتقاتلنه أو لتخرجنه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم) [د(٣٠٠٤)، صحيح]. فامتثل لأمرهم وأخذ في جمع كفار المدينة لتنفيذ المطلوب، فقال لهم ﷺ: «لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم»، فلما سمعوا ذلك تفرقوا. [نفسه].

وأرسل كفار مكة إلى مسلمي المدينة، يقولون لهم: (لا يغرنكم أنكم أفلتمونا إلى يثرب، سنأتيكم فنستأصلكم، ونبيد خضراءكم في عقر داركم). [رحمة للعالمين (١/ ١٠٩) ولم يذكر مصدره].

وكان ﷺ يُحرس إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المَائدة: ٦٧]. [الترمذي (٣٢٥٠)، وحسنه الألباني]. وكان الصحابة لا يبيتون

ويصبحون إلا بالسلاح [حك (٣٥٦٤)، وسكت عنه هو والذهبي، وقال محققه - علوش -: رواه الطبراني في الأوسط باختصار، كما في المجمع (٧/ ٨٣)، ووثق رجاله؛ بهد (٣/ ٦-٧)، موقوفًا على أبي بن كعب رضي الله عنه].

● المطلب الثالث: الإذن بالقتال والغزوات والسرايا، والأحداث الهامة:

١- الإذن بالقتال:

إن أول آية نزلت بهذا الشأن لرفع الظلم: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [الحج: ٣٩] [أحمد (٣/ ٢٦٢)، صحيح؛ الترمذي (٢٥٣٥)، حسنه الألباني].

ثم نزلت آية الأمر بقتال من يبدأ بالاعتداء: في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]. وبعدها نزلت آيات الأمر بقتال من يقف في طريق الدعوة. [ابن القيم: الزاد (٣/ ٧١)].

وجاءت آيات وأحاديث كثيرة في الحث على الجهاد وفضله وفضل الشهداء والمجاهدين [د. مهدي: السيرة (١/ ٣٨٤ - ٣٩٣)، حيث ذكر ٤٦ حديثاً صحيحاً].

٢/ الغزوات والسرايا والأحداث الهامة: [التفاصيل عند: د. مهدي: السيرة].

أ- **سرية سيف البحر**: بقيادة حمزة رضي الله عنه لاعتراض عير لقريش قادمة من الشام، في رمضان، السنة الأولى الهجرية، حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني. [الطبقات (٢/ ٦)، ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٢٨١)].

ب- سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخَرَّار: لاعتراض عير لقريش، فأفلتت. [الطبقات (٢/ ٧)؛ الواقدي (١/ ١١)].

ج- **غزوة الأبواء (ودان)**: لاعتراض عير قريش، ويريد بني ضمرة، فلم يلق حرباً، ووادع بني ضمرة، وهي أول غزواته صلى الله عليه وسلم. [موسى ابن عقبة: المغازي - كما في فتح الباري (١٥/ ١٤١)؛ الطبراني - كما في مجمع الزوائد (٦/ ٨٦)، حسن].

(د) **سرية عبيدة بن الحارث رضي الله عنه إلى رابغ**: التي التقت بجمع من

قريش، فتناوشوا، ورمى سعد يومئذ بسهم فكان أول سهم رمي به في الإسلام، وفر من المشركين لينضم إلى المسلمين المقداد ابن عمرو، وعتبة بن غزوان المازني. كانا أصلاً مُسْلِمَين، ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار. [الطبقات (٢/ ٧)، ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٢٧٦) ؛ الواقدي (١/ ١٠)].

(هـ) **غزوة بواط من ناحية رضوى** : لاعتراض عير لقريش [ابن سعد (٢/ ٩٠٨) ؛ ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٢٨٤)].

(و) **غزوة سفوان (بدر الأولى = بدر الصغرى)** : لمطاردة كرز بن جابر الفهري الذي أغار على سرح المدينة، فلم يدركه [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٢٨٨)؛ ابن سعد (٢/ ٩)].

(ز) **غزوة العُشَيرة** : لاعتراض عير لقريش، فأفلتته، وهي التي أفلتت حين عودتهم من الشام، فكانت سبباً لغزوة بدر. وادع فيها بني مدلج - قوم سراقة - وحلفاءهم بني ضمرة. [البخاري (٣٩٤٩) ؛ ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٢٨٤) ؛ ابن سعد (٢/ ٩ - ١٠)].

(ح) **سرية نخلة** : بقيادة عبد الله بن جحش ﵁، ومعه رسالة من النبي ﷺ، لا تفتح إلا عند نخلة، ويرصد قريشاً، ولا يكره أحداً من أصحابه للمضي معه بعد نخلة. فلقوا عيراً لقريش عليها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان - مولى هشام بن المغيرة. فقتلوا ابن الحضرمي، وأسروا عثمان والحكم، وهرب نوفل. وبكتت قريش على هذا الموقف، بحجة إشعال حرب في الشهر الحرام (رجب)، فنزلت الآيتان : **٢١٧ - ٢١٨** من البقرة، فقبض الرسول ﷺ العير والأسيرين. [الهيثمي في المجمع (٦/ ٦٦ - ٦٧)].

(ط) **تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام** : [بخ (٢٧٨) ؛ م (٥٢٦)].

(ي) **فرض صيام رمضان في السنة الثانية الهجرية - قيل في شعبان** : [الطبري : التاريخ (٢/ ٤١٧)]، وسن صيام عاشوراء - العاشر من محرم. [بخ (٤٥٠٣- ٤٥٠٤) ؛ م (١١٢٥ - ١١٢٩)].

❑ المبحث الثالث : غزوة بدر الكبرى ❑

كان مبتدأ غزوة بدر الكبرى هو خروج رسول الله ﷺ في عدد قليل من أصحابه - ٣١٣ - ٣١٩ - ليقطعوا الطريق على قافلة لمشركي مكة بقيادة أبي سفيان، ولكن أفلتت منهم. وأرسل أبو سفيان ضمضم بن عمرو الغفاري يستنجد بقريش، عندما علم بنية المسلمين. وبعد نجاة القافلة أرسل رسالة أخرى إلى قريش، وهم بالجحفة، يخبرهم بنجاته، ويطلب منهم الرجوع إلى مكة. وَهَمَّ جيش مكة بالرجوع، ولكن أبا جهل رفض ذلك، قائلاً : (لا نرجع حتى نرد بدراً، فنقيم فيها ثلاثاً، فننحر الجزور ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العربُ وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالوا يهابوننا أبداً، فامضوا). [الطبري : التفسير (١٣/ ٥٧٩)، حسن ؛ ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٣١٠)، حسن].

واستشار ﷺ أصحابه في لقاء عدوهم أو الرجوع إلى المدينة، فعبر المهاجرون والأنصار عن مواقفهم من الحرب، بعد أن كرهها بعضهم، كما حكى القرآن حالهم في آيتي ٥ و ٦ من الأنفال ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ [الأنفَال: ٧]. ومما قال المقداد بن عمرو المهاجري رضي الله عنه : (يارسول الله، أمض لما أراك الله فنحن معك، والله لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه). [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٣٠٥)، حسن]. [وبَرْك الغُماد: بفتح الباء وكسرها، وبضم الغين وكسرها : وهو اسم موضع باليمن، وقيل هو موضع وراء مكة: بخمس ليال. انظر النهاية لابن كثير (١/ ١٢١)].

وقال في رواية : (لا نقول كما قال قوم موسى : اذهب أنت وربك فقاتلا، ولكنا نقاتل عن يمينك و شمالك وبين يديك وخلفك)، وسر النبي ﷺ من قوله. [بخ (٣٩٥٢) ؛ أحمد (٥/ ٢٥٩)، صحيح].

وقال زعيم الأنصار، سعد بن معاذ ﷺ : (... فامض يا رسول الله لما أردت، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف عنا رجل وأحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لَصُبُر في الحرب صدقٌ في اللقاء، ولعل الله يريك ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله).

سر النبي ﷺ من قوله، فقال: «سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكاني الآن أنظر مصارع القوم». [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٣٠٥ - ٣٠٦)، حسن لغيره بشواهده].

كان عدد المسلمين في رواية مسلم **٣١٩** مجاهداً، والمشركون نحو الألف، مع المسلمين سبعون بعيراً وفرسان، يتعاقب الثلاثة والأربعة والخمسة على البعير الواحد، وعندما قال زميلا الرسول ﷺ له: (نمشي عنك يا رسول الله)، فقال: «ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما» [أحمد: (٣/٦)، صحيح].

واستخدم العيون لمعرفة قوة عدوه ومكان معسكره. وعندما وصل مكان المعركة في يوم الخميس /**١٦** من رمضان رتب جنده، وبشر الصابرين بالجنة، حتى أن عمير بن الحمام رمى تمرات كن في يده، قائلاً: (لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة [م (١٩٠١)].

حدث أثناء تسوية الصفوف أن كان سَوَاد بن غَزِيَّةَ متقدماً الصف عمداً، فطعنه الرسول ﷺ بقدح كان في يده، قائلاً: «استو يا سواد»، فقال سواد: (يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق، فأقدني [أي أعطني حق القصاص منك]، فكشف ﷺ عن بطنه وقال: «استقد»، فاعتنقه سواد، وقبل بطنه، فقال النبي ﷺ: «ما حملك على هذا يا سواد؟»، قال: (يارسول الله:، قد حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدك جلدي)، فدعا له ﷺ بالخير. [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٣٢٠ - ٣٢١)؛ الإصابة (٢/ ٩٥)، من رواية عبد الرزاق والبغوي، تعتضد].

وسيطر ﷺ على ميدان المعركة ببدر. ثم بات في ليلتها في عريشه - خيمة القيادة - داعياً الله بأن ينصره، قائلا: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض ...»، فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، (يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك)، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال: ٩]. فأمده الله بالملائكة والمطر: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝١١﴾ [الأنفال: ١١]، الذي طهرهم وثبت أقدامهم، والنعاس الذي أمنهم، ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الأنفال: ١١]؛ ودارت معركة في صباح الجمعة السابع عشر من رمضان، السنة الثانية الهجرية. [ابن حجر: التلخيص الحبير (٤/ ١٠٠)، ومتفق عليه عند أئمة المغازي]. وأهلك الله فيها طغاة قريش، كأبي جهل، وأمية بن خلف، والعاص بن هشام بن المغيرة، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، وطعيمة بن عدي، وغيرهم. [بخ (٣١٤١)، وغيره كما فَصَّلَ د. مهدي: السيرة (١/ ١٤٢٨ - ٤٣١)]. وقتل الثلاثة الأخيرين في الأسر، لأنهم كانوا مجرمو حرب.

وأسر سبعين من المشركين، وقتل سبعين [م (١٧٦٣)؛ أحمد (٩٤٩)، صحيح]. وأستشهد أربعة عشر صحابياً. [البداية (٣/ ٣٣٠) من حديث ابن عقبة].

ونزل في زعماء الكفار قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۝٢٨ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ۝٢٩﴾ [إبراهيم: ٢٨-٢٩]. [بخ (٤٧٠٠)].

وعندما أوصى ﷺ بالأسرى خيراً، آثر الصحابة أسراهم بالخبز وأكلوا التمر، وكان ذلك مما فتح قلوبهم للإسلام. [روى ذلك الطبراني في الصغير والكبير كما في المجمع (٦/ ٨٦)، وقال الهيثمي: «إسناده حسن»].

وأعطى الأسرى حق الفداء، ففدوا أنفسهم كل حسب طاقته، وكان فداء من لا فداء له أن يعلم عشرة من أبناء الأنصار الكتابة والقراءة. [أحمد (٢٢١٦)، صحيح]، وأطلق بلا أي نوع من الفداء من كان جاهلاً بالكتابة والقراءة، ومعدماً. [ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٣٦٨ ـ٣٦٩)]. ورفض ﷺ اقتراح وطلب عمر أن ينزع ثنيتي الأسير سهيل بن عمرو السفليين، فيدلع لسانه [أي يخرج عند الكلام، لأنه مشقوق الشفة السفلى]، فلا يقوم على النبي ﷺ خطيباً بموطن أبداً، فقال ﷺ: «لا أمثل فيمثل الله بي» [ابن أبي شيبة: المغازي، ص: ٢١٧، رقم (٢٠٦)، مرسلاً صحيحاً]. وزاد ابن إسحاق: حق (٢/ ٣٥٥)]: «... وإن كنت نبياً ... عسى أن يقوم مقاماً لا تَذُمُّهُ». وفي رواية: «... دعه، فلعله أن يَسُرُّكَ يوماً». [الشامي: السبل (١٠/ ٤٠٥)، من رواية الحاكم والبيهقي]. وكان الموقف تثبيته المسلمين بمكة أيام الردة [الخصائص (٢/ ١٢٨)؛ وحك (٣/ ٩٢)، حق (٣/ ٥٦) - أسانيد يستأنس بها].

وكانت موقعة بدر ذات أثر كبير في إعلاء شأن الإسلام، ولذا سميت في القرآن الكريم بيوم الفرقان [الأنفال: ٤١]. وبينت الأحاديث والآثار فضل البدريين، وعلو مكانتهم في الجنة. [د. مهدي: السيرة].

❑ المبحث الرابع: أبرز الغزوات والسرايا، وبعض الأحداث، مابين غزوتي بدر وأحد ❑

● المطلب الأول: سرية قتل عصماء بنت مروان:

على يد عمير بن عدي الخَطْمِي الكفيف، لأنها كانت تسب الرسول ﷺ وتعيب الإسلام وتحرض على المسلمين حتى شعراً، فقال ﷺ: «ألا آخذ لي من ابنة مروان؟»، فأخذ عمير حق الله ورسوله منها، فقال له ﷺ: «نصرت الله ورسوله يا عمير». [ابن إسحاق - ابن هشام (٤/ ٣٧٧ - ٣٧٩)، ابن سعد (٢/ ٢٧)، الواقدي (١/ ١٧٧)] فقال عمير: (هل عليَّ في ذلك شيء؟) قال ﷺ: «لاينتطح فيها عنزان».[نفسه؛ د (٤/ ٥٢٨)،وصححه ابن حجر في بلوغ المرام (٢/ ٢٤١)؛ ن (٧/ ١٠٧)؛ طبك: (١١/ ٣٥١)].

● **المطلب الثاني: مؤامرة لاغتيال الرسول ﷺ:**

تذاكر عمير بن وهب وصفوان بن أمية مصابهم في بدر - حين أسر وهب، ابن الأول، وأمية بن خلف والد الثاني - فأبديا الرغبة في قتله ثأراً. فاتفقا على التزام صفوان الغني لعمير الفقير بكفالة أبنائه إذا قتل عمير في المحاولة. وكشف الله تعالى لرسوله المؤامرة عندما جاء عمير االمدينة مظهراً فداء ابنه الأسير ومضمراً قتل النبي ﷺ. وأسلم عندما حكى له الرسول ﷺ ما دار بينه وبين صفوان. [ابن إسحاق مرسلاٍ : ابن هشام (٢/ ٣٧١ - ٣٧٤) ؛ ابن عقبة مرسلاً، والأسودعن عروة مرسلاً، كما في الإصابة (٣/ ٣٧) ؛ بهق : الدلائل (٣/ ١٤٧) ؛ تعتضد].

● **المطلب الثالث: غزوة بني قينقاع:**

كان من أسبابها : أن يهود بني قينقاع لم تستطع إخفاء غضبهم وحسدهم لنصر بدر. ونزل في هذا قوله تعالى : ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٢ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ [آل عِمرَان: ١٢-١٣]. [د(٣٠٠١)، حسن.].

وحاول زعيمهم شأس بن قيس إيقاع الفتنة بين الأوس والخزرج، بتذكيرهم حروبهم في الجاهلية. وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ۝١٠٠﴾ [آل عِمرَان: ٩٨-١٠٥]. [ابن إسحاق - ابن هشام (٢٣٢)، يعتضد].

وعقد أحدهم طرف ثوب امرأة مسلمة في سوقهم، فانكشفت عورتها،

فاستصرخت المسلمين، فقتل مسلم اليهودي المعتدي، وقتل يهود المسلم، فوقع الشر بين الفريقين، وكاد حبل الأمن أن ينفرط [ابن هشام (٣ ٧٠)، برواية يستأنس بها كما ذكر الألباني في : دفاع، ص: ٢٦].

ولذا كان قرار الحصار والإجلاء عن المدينة إلى أذرعات بدون القتل لتدخل حليفهم المنافق ابن سلول. وتبرأ ابن الصامت من حلفهم. وفي هذا نزل قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المَائدة: ٥١-٥٢] [حق (٧٠ - ٧١) ؛ طس 2/ ٩٢) ؛ طبق (٦/ ٢٧٥) ؛ السيوطي : الدر المنثور (٢/ ٢٩١)، ولذا تعتضد رواية حق].

● **المطلب الرابع : غزوة السَّويق :**

[الحنطة أو الشعير المحمصة، أو غيرها، تطحن وقد تمزج بالسمن واللبن والعسل أو الماء لتتخذ زاداً للمسافر].

جاء أبو سفيان إلى أطراف المدينة سراً على رأس مائتي فارس، ولجأ إلى بني النضير، ثم قام بمهاجمة ناحية العريض، وقتل رجلين، وأحرق نخلاً، وفر طارحاً سويقاً من زاده، وأفلت من المسلمين. [حق (٣/ ٦٥) مرسلاً صحيحاً ؛ طس(٢/ ٣٠)]. ولذا عرفت بغزوة السويق [نفسها]. [والسويق: الحنطة أو الشعير المحمصة أو غير ذلك، ثم تطحن، وقد تمزج بالسمن والحليب والعسل أو الماء، وتتخذ زارًا للمسافر؛ والعريض: وادٍ بالمدينة في طرف حرة واقم].

● **المطلب الخامس : سرية قتل كعب بن الأشرف اليهودي :**

كان كعب شاعراً، من أب عربي نبهاني طائي. غاظه انتصار بدر، فجاء مكة يواسي ويحرض على الثأر، غير مكترث بميثاق المدينة. وهجا الرسول ﷺ، وتشبب بنساء المسلمين. وعندما ناشده أبو سفيان، قائلاً له : (أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه ؟ وأينا أهدى إلى ربك وأقرب إلى الحق ؟) قال (: أنتم أهدى منهم سبيلا) ؛ فنزل قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النِّساء: ٥١]. لهذا كله

وغيره أهدر ﷺ دمه، فتولى المهمة محمد بن مَسْلَمَة، وأبو نائلة سَلْكان بن سَلَامة بن وَقْش - أخو كعب من الرضاع -، وعَبَّاد بن بِشْر، والحارث بن بشر، وأبو عبس بن جبر، من الأوس، فوضعوا خطة لقتله. [بخ (٤٠٣٧) ؛ م (١٨٠١) ؛ حق (٣/ ٧٩)، حسن]. وكان عظة لغيره حتى لا يتمادوا في نقض العهد.

❑ المبحث الخامس: غزوة أحد ❑

وقعت يوم السبت - على الأرجح، النصف من شوال، عام ٣هـ [طس(٢/ ٣٦)، البلاذري: الأنساب (١/ ٣١٠)؛ طبق(٧/ ٣٩٩)؛ حسن، ص: (٣٢٤) تعتضد].

وكان من أسبابها إرادة قريش أن تنتقم لقتلاها في بدر، وتستعيد مكانتها التي زعزعت بين العرب بعد هزيمتها في بدر، فجمعت ثلاثة آلاف مقاتل، ومائتي فرس وسبعمائة دارع، لتغزوا بهم المدينة.

على الميمنة ابن الوليد وعلى الميسرة عكرمة، معهم مجموعة من النساء للتحريض، منهن هند بنت عتبة [طس (٢/ ٣٧)؛ هش (٣/ ٨٧)، طبت (٣/ ٥٠٤)].

تشاور المسلمون في تحديد مكان المعركة. وأخيراً اختاروا أن تكون خارج المدينة، عند أحد [بخ (٤٠٥٠)؛ وغيره].

وانسحب في الطريق ابن سلول بالمنافقين الذين كانوا ثلث الجيش المكون من ألف مقاتل، وتعلل بعدم أخذ رأيه في الخروج [نفسه]، ومعتذرين بعدم توقع قتال، قالوا: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٦٧] [هش: مرسلاً (٣/ ٩٣)].

ورأى بعض الصحابة قتالهم، ورأى آخرون عدم ذلك، ونزل في الفريقين قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾ [النِّسَاء: ٨٨] [بخ (٤٠٥٠)]. [وأركسهم: بددهم].

وكادت بنو سَلَمَة - من الخزرج - وبنو حارثة - من الأوس - أن تنخذل مع المنافقين، لولا ولاية الله لهم، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عِمرَان: ١٢٢]. [بخ (٤٠٥١)؛ م (٥٠٥)].

وعندما التقى الجمعان كانت الدائرة في الجولة الأولى على المشركين، ولكن عندما خالف أربعون من الرماة أوامر الرسول ﷺ وقائدهم عبد الله بن جبير، بالبقاء على تل عينين، وعدم مغادرته تحت أي سبب أو ظرف، التف

ابن الوليد خلف الجبل، فقضى على العشرة الباقين مع قائدهم، فانكشف ظهر المسلمين، فباغتهم ابن الوليد من الخلف، ولذا أصبحت الدائرة في هذه الجولة الثانية على المسلمين، وأوذي ﷺ، وقتل من المسلمين سبعين، على رأسهم عمه حمزة، الذي قتله وحشي بن حرب، وفاء لوعد من سيده جبير بن مطعم بالحرية، لأن حمزة قتل عمه طعيمة بن عدي يوم بدر. وكافأته هند بنت عتبة - زوجة أبي سفيان - ثأراً لمصابها يوم بدر : قتل والدها وعمها وابنها حنظلة وأخوها الوليد، وأسر ابنها عمرو.

وقد أبلى المسلمون بلاء حسناً، نساء ورجالاً، في هذه الغزوة، وتمنوا الشهادة، ومن الأمثلة :، قال ابن جحش رضي الله عنه : (إني أقسم أن نلق العدو، فإذا لقينا العدو، أن يقتلوني، ثم يبقروا بطني، ثم يمثلوا بي، فإذا لقيتك سألتني : فيم هذا؟ فأقول : فيك)، وعندما لقي العدو، وفعل بهم ما فعل، وجدوه بالحالة التي وصفها. [حك (٣/ ١٩٩)، من مرسل ا بن المسيب، ومراسيله صحيحة].

وأصر عمرو بن الجموح رضي الله عنه شهودها مع أبنائه الأربعة، على الرغم من عذره بعرجه الشديد ؛ ومما قاله للرسول ﷺ : (أرأيت إن قتلت اليوم، أأطأ بعرجتي هذه الجنة ؟) قال : «نعم»، قال (فوالله الذي بعثك بالحق لأطأن بها الجنة اليوم إن شاء الله)، ثم قاتل حتى نال الشهادة. [حم(٥/ ٢٩٩)، صحيح ؛ ابن المبارك : الجهاد، ص : ٦٩، من مرسل عكرمة].

وكان أُصَيْرِم بن عبد الأشهل - عمرو بن أقيش - كارهاً للأسلام حتى كان يوم أحد أسلم ولحق بالمسلمين في المعركة، واستشهد، وما صلى لله صلاة واحدة. [حق (٣/ ١٣١)، حسن، حك (٣/ ٢٨)، وصححه، ووافقه الذهبي ؛ (٢٥٣٧)، وحسنه الألباني].

وعندما أراد ﷺ زيادة رفع الروح المعنوية للمجاهدين أخذ سيفاً، وقال : «من يأخذ مني هذا السيف ؟»، فبسطوا أيديهم، كل يقول : أنا أنا، فقال ﷺ : «من يأخذه بحقه ؟»، فأحجم القوم، فقال أبو دجانة - سماك بن

خرشة -: (وما حقه يا رسول الله ؟)، قال ﷺ : «أن تضرب به العدو حتى ينحني»، قال: (أنا آخذه بحقه)، فأخذه، ففلق به هام المشركين. [م (٢٤٧٠)].

وكان لحمزة رضي الله عنه القِدْح المعلى في رفع المعنويات عندما تصدى لمبارزة سِبَاع بن عبد العزى - أحد فرسان المشركين الشجعان - فقتله. [بخ (٤٠٧٢)]، وقتل غيره من العتاة، أمثال : عثمان بن أبي طلحة وأبي شيبة - أحد حملة اللواء. [الواقدي (١/ ٣٠٧)].

وعندما أشيع مقتل الرسول ﷺ، وقعد بعض الصحابة عن القتال حيرة، قال أنس بن النضر : (اللهم إني اعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني الصحابة - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين -)، وقال لسعد بن معاذ :(يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد). وعندما انجلت الغمة، وجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة ورمية وطعنة، ولم يعرفه أحد إلا أخته الرُّبيعَّ، عرفته ببنانه، ونزلت فيه وأمثاله الآية في قوله تعالى : ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣]. [بخ (٢٨٠٥)، م (١٩٠٣) ؛ حك (٣/ ٢٠٠) صحيح ؛ حق(٣/ ١٢٠)].

وقال رجل للنبي ﷺ : (أرأيت إن قتلت فأين أنا ؟)، قال ﷺ : «في الجنة»، فألقى تمرات كن في يده، ثم قاتل حتى نال الشهادة. [بخ ٤٠٤٦].

وقال سعد بن الربيع لمن أرسله ﷺ من الأنصار لمعرفة خبره : (أبلغ قومك الأنصار السلام، وقل لهم : الله الله ! وما عاهدتم عليه الرسول ﷺ ليلة العقبة ! والله مالكم عذر عند الله إن خَلُصَ إلى نبيكم وفيكم عين تطرف ! فعندما علم ﷺ هذا الكلام قال داعياً : «اللهم القَ سعد بن الربيع وأنت عنه راض" . [الواقدي (١/ ٢٩٢ -٢٩٣)].

وفي رواية أنه أرسل إليه زيد بن ثابت رضي الله عنه، وقال له : «إن رأيته فأقرئه مني السلام، وقل له : يقول لك رسول الله ﷺ : «كيف تجدك ؟» فكان رده : على رسول الله ﷺ السلام وعليك السلام، قل له : يا رسول الله !

أجدني أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم ...». [حك (٤٩٠٦)، صحيح]. وفي رواية بزيادة: «... جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته ...». [حق (٣/ ١٣٧)].

وثبت الرسول ﷺ، وأصيب إصابات كثيرة، حيث كسرت رباعيته، وشج في وجهه، وسال دمه، وكسرت البيضة على رأسه. [بخ (٤٠٧٥)].

وكان ﷺ سبباً في هلاك أبي بن خلف، عندما أصابه بخدش بحربة تناولها من الحارث بن الصِّمَّة رضي الله عنه. [حق (٣/ ١٢٢)].

وسجلت لبعض النساء مواقف إيمانية رائعة في تقبلهن مصابهن في أهليهن وفرحهن بحياة الرسول ﷺ. من أمثلة ذلك أن الرسول ﷺ مر هو وأصحابه بامرأة من بني دينار تدعى السميراء بنت قيس [الواقدي (١/ ٢٩٢)]، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها، فلما نعوا لها قالت: (فما فعل رسول الله ﷺ؟، قالوا: (خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين)، قالت: (أرونيه حتى أنظر إليه)، فأشير إليه حتى إذا رأته قالت: (كل مصيبة بعدك جلل) - أي صغيرة - [البداية (٤/ ٥٣)، من حديث ابن إسحاق - حسن] .

وعندما أقبلت صفية رضي الله عنها لتنظر إلى أخيها حمزة رضي الله عنه، طلب ﷺ من ابنها الزبير أن يرجعها حتى لا ترى ما عليه من مُثْلَة، فقالت: (ولم؟ ولقد بلغني أن قد مُثِّلَ بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله). فخلى ﷺ سبيلها عندما علم بقولها هذا، فأتته، فنظرت إليه، فصلت عليه، واسترجعت، واستغفرت له، ثم أمر به فدفن. [حق (٣/ ١٤١)؛ أحمد (١/ ١٦٥)؛ البزار (٢/ ٣٢٨)؛ أبو يعلى (٢/ ٥٤)، مهد (٣/ ٢٩٠)، وأسانيدهم صحيحة بمجموع طرقها].

وانجلت المعركة عن سبعين شهيداً من المسلمين، [بخ (٤٠٤٣)]، واثنين وعشرين من المشركين، [حق (٣/ ١٨٣)، وعند الواقدي (١/ ٣٠٧) سبعة وعشرون، وعند ابن سعد (٢/ ٤٢) ثلاثة وعشرون].

ووجد حمزة رضي الله عنه قد بقر بطنه، وأخرج كبده، ومثل به، جدع أنفه وأذناه، [حق (٢١٣٨/٣)]، فقال ﷺ حين رآه : «... ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم» ؛ فلما رأى المسلمون حُزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمه ما فعل، قالوا : (والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لَنُمَثِّلَنَّ بهم مُثلَة لم يمثلها أحد من العرب). [حق (١٣٨/٣ - ١٣٩)، يعتضد].

ونزل قوله تعالى : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النّحل: ١٢٦]. فعفا ﷺ وصبر ونهى عن المُثلة. [الحاكم (٣٥٩/٢)، صحيح ؛ تر (٢٩٩/٥) - صحيح ؛ أحمد : الرباني (١٩٢/١٨)، صحيح ؛ حق (١٤٠/٣)].

ووردت عدة روايات عند أهل المغازي : ابن عقبة، وابن إسحاق، والواقدي، في كيفية التمثيل بحمزة رضي الله عنه. [د. مهدي : السيرة (١/ ٤٨٨ - ٤٨٩)] ؛ وفي رواية أحمد [٤٤١٤] الحسنة، وابن أبي شيبة في المغازي [ص : ٢٢٣٨ رقم ٢٥٠] الحسنة، ومن طريق أحمد نفسها : «... فنظروا، فإذا حمزة قد بُقر بطنه، وأخذت هند كبده، فلاكتها، فلم تستطع أن تأكلها ...».

ودفن الشهداء في مكانهم بدمائهم، ولم يصل عليهم، ولم يغسلوا [بخ (٤٠٧٩) ؛ د (٢/ ١٧٤)، تر (١٧٨٢)، صحيح) ؛ أحمد : الرباني (٨/ ١٤٩)].

وصَفَّ ﷺ أصحابه بعد الدفن، وأثنى على ربه، ثم دعا الله لهم الجنة، وأن يقتل الكافرين المكذبين. [حك (٢٣/٣)، صحيح].

ونزلت فيهم وفي أحداث الغزوة نحو ستين آية من سورة آل عمران [د. مهدي : السيرة (١/ ٤٩٢ - ٤٩٤)].

والدروس والعظات والعبر في هذه الغزوة كثيرة.[انظر : د. مهدي رزق الله : السيرة : (١/ ٤٩٤ - ٥٠٠)].

❑ المبحث السادس: أبرز الغزوات والسرايا والأحداث التي وقعت بين غزوتي أحد والمُرَيسِيع ❑

● المطلب الأول: غزوة حمراء الأسد:

كانت في اليوم التالي لأحد، عندما قيل إن الكفار يجمعون لمعاودة القتال لاستئصال المسلمين، فأمر ﷺ بالخروج إليهم، وقال: " لا يخرج معنا إلا من شهد القتال" - أي قتال غزوة أحد - فاستجابوا على الرغم مما أصابهم من الجروح - القرح - وقد أثنى المولى عز وجل على هذه الاستجابة في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٧٢-١٧٤].

وعندما سمع المشركون بخروج المسلمين على الرغم من جراحاتهم، خشوا الهزيمة، فاكتفوا بما نالوا، وعادوا إلى مكة، وتعقبهم المسلمون، وأسروا منهم معاوية بن المغيرة وأبا عزة الشاعر الجمحي، فقتل لنقضه عهده مع الرسول ﷺ عندما فك أسره إثر بدر بلا فداء. وعندما قال للرسول ﷺ: (أقلني) - أي أعف عني -، قال ﷺ: «والله لاتمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول: خدعت محمداً مرتين». [حق (٣/ ١٥٢)]. وروي أن النبي ﷺ قال له: " إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ". [هش (٣/ ١٥٢)]، وأصل الحديث في الصحيحين. انظر: [بخ (٦١٣٣)].

● المطلب الثاني: سرية الرَّجيع:

أرسل ﷺ سرية - من عشرة صحابة - عيناً بقيادة عاصم بن ثابت، فقتل ثمانية منهم جماعة من هذيل يقال لهم بنو لحيان، كانوا في مائة رام، عند عسفان، وأسروا اثنين هما: خبيب بن عدي وزيد بن الدَّثِنَّةِ، فباعوا خبيب لبني الحارث بن عامر بن نوفل بمكة، فقتلوه ثأراً لأبيهم المقتول على يد

خبيب يوم بدر.

وكان من كرامات خبيب رضي الله عنه في الأسر أن أطعمه الله عنباً في غير موسمه.

وكان من سمو خلقه ترفعه عن قتل صبي لبعض بنات الحارث، غفلت عنه، فمشى إليه، وفي يده موسى كان قد طلبها ليستحد بها - أي يحلق شعر جسمه - وقال لها عندما فزعت وابنها بين يديه : (أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى).

وعندما خرجوا به من الحرم ليقتلوه، أجيب إلى طلبه في صلاة ركعتين، وقال بعدها : لولا أن تظنوا أن ما بي جزع من الموت لزدت - أي طولتها - فكان أول من سن الركعتين عند القتل، ثم قال داعياً : «اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً» ؛ ثم أنشد قائلاً :

فلست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله عقبة بن الحارث [بخ (٤٠٨٦)] بحربة وضعت في يده، لصغره [البداية (٣/ ١٣١)، صحيح، وانظر بقية الأبيات عند د. مهدي في السيرة].

وأما زيد رضي الله عنه، فقد ابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف. وعندما اجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان ليشهدوا مقتله، قال أبو سفيان (: أنشدك الله يازيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك تضرب عنقه وأنك في أهلك ؟). قال : (والله ما أحب أن محمداً في مكانه الذي هو فيه نصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي)، فقال أبو سفيان : (ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً). [ابن سعد (٢/ ٥٦)، مرسلاً ؛ حق (٣/ ٢٤٥)].

● **المطلب الثالث : سرية بئر مَعُونة :**

أرسل صلى الله عليه وسلم إلى نجد سبعين من القراء [حفظة القرآن]، من أهل الصُّفَّة، بناء

على طلب أناس، ليعلمونهم القرآن والسنة. [م (٦٧٧)]، وبناء على طلب بطون من بني سُليم، هم : رِعْل وذكوان وعصية وبني لحيان ليكونوا لهم مدداً على عدو لهم [بخ (٤٠٩٠) ؛ طس(٢/٥٣)، صحيح]. فوافق ﷺ على الطلب، فخرجوا حتى وصلوا بئر معونة، بين أرض عامر وحرة بني سُليم، فغدر بهم عامر بن الطفيل، بمساعدة عصية ورعل وذكوان، فاستشهد منهم ٦٨ صحابياً ونجاة عمرو بن أمية الضمري وكعب بن زيد بن النجار.

ومن البطولات الإيمانية لأفراد هذه السرية : أن حرام بن ملحان، عندما طعن بأمرعامر بن الطفيل، بمساعدة عصية ورعل وذكوان، وسال دمه، نضحه على وجهه ورأسه، فكأنه يريد أن يلقى الله تعالى وكل جسمه ملطخ بدم الشهادة، فيزداد أجره. وهو القائل عندما طعن : (الله أكبر، فزت ورب الكعبة). [بخ (٤٠٩٢)].

وقنت الرسول ﷺ داعياً على قاتليهم وقاتلي أصحاب الرجيع ثلاثين صباحاً. [بخ (٤٠٨٠) إلى (٤٠٩٦) ؛ م (٦٧٧)]. ومن هنا كانت مشروعية القنوت في الصلوات الخمس للدعاء على الظلمة، ولرفع البلاء على المسلمين.

● **المطلب الرابع : غزوة بني النضير :**

من أسبابها : قام يهود بني النضير بحض قريش على حرب الرسول ﷺ، وحاولوا قتل الرسول ﷺ عندما جاءهم لدفع نصيبهم في دية كلابيين قتلهما عمرو بن أمية الضمري حين عودته من الأسر بعد أحداث بئر معونة، لظنه أنهما ممن قتل أصحابه. ودلوا المشركين على عورة المسلمين.

لذا حاصرهم الرسول ﷺ حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح. [عبد الرزاق : المصنف (٥/٣٥٩ - ٣٦٠)، صحيح ؛ حق (٣/ ٢٦٧)، يعتضد؛ ابن حجر : الفتح (١٥/ ٢٠٣)، من حديث ابن عقبة ؛ د. مهدي: السيرة (١/ ٥١٥)].

وتشير الأحداث أنهم خرجوا إلى الشام وخيبر [د. مهدي : السيرة (١/ ٥١٨)].

● **المطلب الخامس: غزوة ذات الرِّقاع:**

كانت وجهتها إلى قبيلة غطفان التي كانت تكيد للمسلمين، وذلك بعد النضير [هش (٣/ ٢٨٥)، معلقاً]؛ وقيل بعد خيبر، [ابن حجر: الفتح (١٥/ ٣٠٥)، معلقاً]. وثمة أقوال أخرى.

والراجح في سبب التسمية، ما جاء في صحيح البخاري [(٤١٢٨)] من حديث أبي موسى الأشعري: لأنهم لفوا في أرجلهم رقاعاً - خرقاً - عندما تقرحت خفافهم، إذ كان لكل ستة منهم بعيراً يتعاقبون على ركوبه.

ومن أحداثها ذات الدلالات والمغاذي الكبيرة:

(أ) قصة الأعرابي:

(غَوْرَث بن الحارث)، الذي حاول قتل الرسول ﷺ في طريق العودة، وهو نائم بالقيلولة، ولكن الله عصمه منه. قال ﷺ لأصحابه:

«إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، واستيقظت وهو في يده صلتاً»، فقال لي: (من يمنعك مني؟)، فقلت: «الله، فها هو ذا جالس ...»، وفيه نزل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [المائدة: ١١].

فكانت النتيجة معاهدته ﷺ أن لا يقاتله أو يعين من يقاتله، فخلى ﷺ سبيله، فجاء إلى أصحابه، فقال: (جئتكم من عند خير الناس) [ابن حجر: الفتح (١٥/ ٣١٧)].

(ب) قصة الحراسة:

جعل ﷺ حراسة على الجيش حين المبيت في طريق العودة، من عباد ابن بشر وعمار بن ياسر. وأثناء النوم وجد مشرك كان يتبعهم الفرصة في ضرب عباد بسهم وهو يصلي أثناء نوبته، فنزعه، ولم يقطع صلاته، إلا بعد أن أصابه للمرة الثالثة، فأيقظ صاحبه عماراً، الذي لامه لعدم إيقاظه من

أول رمية، فقال: (كنت في سورة اقرؤها فلم أحب أن أقطعها، فلما تابع عليَّ الرمي ركعت فآذنتك، وأيمُ الله، لولا أن أُضَيِّعَ ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أُنفذها) [بخ (١/ ٥٢)، كتاب الوضوء، باب(٣٤)، معلقاً؛ حق (٣/ ٢٩٠)، حسن].

(ج) قصة جمل جابر رضي الله عنه:

عندما أبطأ جمل جابر في السير بسبب الإعياء، وهم عائدون، نزل ﷺ يحجنه بمحجنه، ثم دعاه، فركب، فأصبح جمله يسابق جمل النبي ﷺ، وجابر يكفه.

وسأله ﷺ في حديثه معه عن أمور عائلية، اجتماعية، وتمخضت المحادثة عن مساعدة مالية له رضي الله عنه [بخ (٢٠٩٧)؛ م (١٤٦٦)؛ حق (٣/ ٢٨٨ - ٢٩٠)، حسن].

❏ المبحث السابع: غزوة بني المصطلق = المُرَيسيع (الاثنين ٢/ شعبان / ٥هـ) ❏

بنو المصطلق بطن من بطون خزاعة، التي وقفت مع قريش في أحد. وكان السبب الرئيس للغزوة أن بني المصطلق، الذين بلغتهم الدعوة، أخذوا في الحشد لحرب المسلمين، فباغتهم ﷺ قبل التحرك، فشتت شملهم وسبى ذراريهم وغنم أنعامهم، وأصاب يومئذ جويرية ابنة زعيمهم الحارث بن أبي ضرار. [بخ (٢٥٤١)؛ م (١٧٣٠)].

وسجل التاريخ مواقف مخزية للمنافقين الذين خرجوا في هذه الغزوة؛ منها:

(١) **حكى زيد بن أرقم** رضي الله عنه **ما قاله ابن سلول**: (لا تنفقوا على من عند رسول ﷺ حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن أعز منها الأذل)، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فأنكر ابن سلول، فأنزل الله تعالى:

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنَافِقون: ١]، ولهذا قال ﷺ لزيد: «إن الله قد صدقك يا زيد» [بخ (٤٩٠٠)؛ م (٢٧٧٢)]؛ وفي رواية: «وَفَّتْ أُذُنُك يا غلام» [ابن حجر: الفتح (١٨/ ٢٨٦)، من مرسل البصري]، وفي رواية «أوفي الله بِأُذُنِهِ» [بخ (٤٩٠٦)]. وفي رواية: «هذا الذي أوفى الله بأذنه» [بخ (٤٩٠٦)].

وجاءت رواية جابر بتفصيل أكثر في الصحيحين [بخ (٣٥١٨ - ٤٩٠٥)؛ م (٢٥٨٤)] وعند ابن إسحاق [حق (٣/ ٤٠٢) - مرسلاً صحيحاً].

وعندما بلغ عمر ما قاله ابن سلول، قال: (يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق)، فقال ﷺ: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه». [نفسها].

وعندما بلغ عبد الله بن عبد الله بن سلول ما قاله والده، جاء إلى النبي ﷺ وقال: (يارسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت لابد فاعلاً فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه)، فقال ﷺ: «نترفق به، ونحسن صحبته ما بقي معنا» [حق (٣/ ٤٠٥)]. ومنع عبد الله رضي الله عنه والده عبد الله من دخول المدينة حتى يأذن له رسول الله ﷺ بدخولها [تر(٥/ ٩٠)، حسن صحيح].

(٢) حديث الإفك:

كان قدر عائشة رضي الله عنها أن تصحب النبي ﷺ في هذه الغزوة [المجمع (٩/ ٢٣٠)، حسن]. ونزلت من هودجها لحاجة في طريق العودة، فحمل الهودج بدونها ظناً بأنها فيه لخفتها آنذاك، فوجدها صفوان بن المعطل رضي الله عنه، فاوصلها المدينة، فنسج المنافقون رواية الإفك، التي اتهموها فيها بعلاقة محرمة مع صفوان، وتناقل الناس الخبر حتى وصل الرسول ﷺ وأخيراً إلى عائشة رضي الله عنها، فعاش المجتمع كله شهراً عصيباً إلى أن برأ الله عائشة وصفوان رضي الله عنهما: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النُّور: ١١].

وتمايزت مواقف المؤمنين من المنافقين والسذج، كما سجلها القرآن

الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النُّور: ١٢].

وهذا عتاب للنفر الذين وقعوا في حبائل المنافقين: حِمَنَّة بنت جحش، ومسطح ابن أُثَاثَة، وحسان بن ثابت، الذين أقيم عليهم حد القذف. وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النُّور: ١٦]. وهذا تسجيل لمواقف المؤمنين من الإفك، مثل أبي أيوب وأم أيوب. [بخ (٧٣٧٠)؛ الواحدي، ص: ٢١٨؛ ابن الجوزي: الزاد (٦/ ٢٤)].

ودلت هذه الحادثة على صدق نبوة محمد ﷺ. فلو كان الوحي أمراً ذاتياً من الرسول ﷺ لما انتظر هذه المدة، ولما عادت المياه إلى مجاريها بعد هذه الإشاعة المغرضة. [التفاصيل عند: د. مهدي: السيرة (١/ ٥٣٩ - ٥٤٥)].

ولأن البرءة من الله تعالى، رفضت عائشة رضي الله عنها أن تشكر الرسول ﷺ. وكان من نتائج هذه الغزوة إسلام بني المصطلق، عندما أعتق الصحابة ما بأيديهم من السبي، وتزوج ﷺ ابنة زعيمهم - جويرية بنت الحارث. [حق (٣/ ٩٠٨)، حسن؛ احمد (٤/ ٢٧٩)، حسن؛ ابن خياط: التاريخ، ص: ٨٠].

❑ المبحث الثامن: غزوتا الخندق وبني قريظة: (شوال / ٥هـ) ❑

● المطلب الأول غزوة الخندق سببها:

أرادت قريش هذه المرة أن تحسم هذا الصراع مع المسلمين لصالحها، فحشدت له أكبر قوة ممكنة، حيث لجأت إلى التحالف مع كل من له مصلحة في القضاء على المسلمين، ووجدوا أكبر ضالة لهم في يهود بني النضير الذين أجلوا عن المدينة، ووجد اليهود ضالتهم في قريش، فخرج وفد من اليهود حتى دعوا قريشاً إلى حرب الرسول ﷺ، ثم اتجهوا إلى قبيلة غطفان النجدية الكبيرة، وأغروها بالتحالف معهم ومع قريش ضد المسلمين. وكتب المشركون إلى حلفائهم من بني أسد، وسارت مع قريش الأحابيش ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، فصاروا جمعاً عظيماً، سماهم الله:

الأحزاب، بلغوا عشرة آلاف. [حق(٣/٣٠٦)]، بينما المسلمون ثلاثة آلاف.

حفر المسلمون خندقاً في المكان الذي يحمي المدينة من الاختراق بالخيل، بمشورة من سلمان الفارسي رضي الله عنه، ومن خلفهم قريظة، التي نقضت صحيفة المدينة في هذا الوقت العصيب [بخ (٤١١٣)].

وشارك الرسول صلى الله عليه وسلم في حفر الخندق، بل استعانوا به في تفتيت صخرة اعترضتهم عجزوا عن تفتيتها. [بخ (٤٠٩٨ - ٤١٠١)؛ م (١٨٠٣)]، ففتتها في ثلاث ضربات، قال إثر الأولى: " الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمراء الساعة "، وقال إثر الضربة الثانية: " الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض "، وقال إثر الضربة الثالثة: " الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة ". [أحمد (١٨٦٩٤)، حسنه ابن حجر في الفتح (١٥/ ٢٨٠)؛ النسائي: الكبرى (٥/ ٢٦٩ - ٢٧٠)؛ وأصله في الصحيحين كمارأيت].

قال تعالى عن موقف المؤمنين من هذه البشارة: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وصورت الآيات من **١٣** إلى **٢٠** من سورة الأحزاب نفسية وحال المنافقين بدقة، حيث حكت أقوالهم في الإرجاف والتخذيل وأساليبهم في التهرب من أعمال الحفر. ومن أقوالهم: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط. [حق (٣/ ٣٠٩)؛ طبت (٢/ ٥٧٠ - ٥٧٢)؛ بهد (٣/ ٤٢٠)].

وعندما راى صلى الله عليه وسلم ضعف المسلمين [ألف] وقوة المشركين [عشرة آلاف]، استشار سعد بن عبادة وسعد بن معاذ - زعيمي الأنصار - في الصلح الذي عرضته عليه غطفان، وهو منحهم ثلث ثمار المدينة لعام فينصرفوا عن القتال ضده، فرفضا مادام ليس بوحي، وما أرادوا منحهم ما لم يمنحوه لهم حتى في الجاهلية، فكيف بهم وقد أسلموا. [البزار (١/ ٣٣١ - ٣٣٢)، بإسنادين حسنين].

وكان لِنُعَيم بن مسعود الغطفاني - الذي لم يعلم قومه بإسلامه حينها - الدور الفعال في التخذيل بين الأحزاب بموافقة الرسول ﷺ. [ابن أبي شيبة : المصنف (٥/ ٣٦٨) مرسلاً قوياً ؛ حق (٣/ ٣١٩) ؛ بهد (٣/ ٤٠٤) من حديث ابن عقبة والزهري].

وكان من البطولات أنه عندما حاول بعض صناديد قريش اقتحام الخندق، أمثال : عمرو بن عبد ود، وعكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله، تصدى لهم صناديد المسلمين، فبارزعلي عمرو بن عبد ود وقتله، وقتل الزبير نوفلاً المخزومي. [حق (٣/ ٣١١ - ٣١٣) - معلقاً].

حاصرت الأحزاب المسلمين لمدة أربع وعشرين ليلة، وأخيراً سخر الله تعالى عليهم الرياح والبرد، وأخلفت قريظة عهدها لهم، فاضطروا إلى رفع الحصار والمغادرة. [بهد (٣/ ٤٠٦) ؛ طس (٢/ ٧١)].

وكانت هذه الخاتمة استجابة لدعاء النبي ﷺ الذي نصه : «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم» [م (١٧٤٢). وانظر الحكم والعبر في أحداث هذه الغزوة عند د. مهدي : السيرة (١/ ٥٦٣ - ٥٦٥)].

● **المطلب الثاني : غزوة بني قريظة : (بعد الأحزاب مباشرة) :**

كان من أسبابها نقض بني قريظة صحيفة المدينة، بتحريض من حيي بن أخطب النضيري، في وقت عصيب، لذا أمر ﷺ أصحابه قتالهم بعد عودته من الخندق ووضعه السلاح، امتثالاً لأمر الله تعالى. وتوكيداً لطلب السرعة أوصاهم قائلاً : " لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة ". [بخ (٤١١٩)]. فحاصرهم ﷺ خمسة وعشرين ليلة على الأرجح، [أحمد (٢٥٠٩٧) بأسانيد بعضها صحيح والبعض حسن]، أذعنوا بعدها للاستسلام. وحكم فيهم سعد ابن معاذ. الذي حكم فيهم بحكم الله تعالى، كما قال النبي ﷺ : «تقتل المقاتلة، وتُسبى الذرية، وتقسم الأموال» ؛ وقوله تعالى : ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب: ٢٦-٢٧] [بخ (٤١٠١) ؛ م (١٧٦٨)].

ومن التزم منهم بالعهد أثناء الحصار، أو حصل على أمان من بعض الصحابة، فقد نجوا بأموالهم. [بخ (٤٠٢٨)؛ م (١٧٦٦)؛ حق (١/ ٢٧٢) و (٣/ ٣٢٩ - ٣٣٠)، يعتضد].

واصطفى ﷺ لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خُنافة، وأسلمت. [حق (٣/ ٣٣٩)، مرسلاً يتقوى بغيره].

نشرت دراسة حديثة عام ٢٠٠٢م، بعنوان " النبي ﷺ ويهود المدينة "، ألفها البروفسير محمد بن فارس الجميل، رجح فيها أن الذين قتلوا أربعين فقط، وليس أربعمائة كما جاء في المصادر، وهم القادة، مستنداً في هذا على رواية للزهري عند ابن زنجويه في كتابه " الأموال ". فانظر هذه الدراسة لأهميتها ومنطقيتها.

❑ المبحث التاسع : أبرز الغزوات والسرايا والبعوث والأحداث الثابتة أو المشهورة التي وقعت بين غزوتي قريظة وهدنة الحديبية ❑

● المطلب الأول : سرية عبد الله بن عَتِيْك :

بعد غزوة بني قريظة، لقتل سلام بن أبي الحُقَيق - أبي رافع - وكان من أسبابها أنه كان يؤلب على رسول الله ﷺ ويؤذيه. [بخ (٤٠٣٩)].

ورغبت الخزرج في قتل أبي رافع منافسة للأوس الذين قتلوا ابن الأشرف [حق (٣/ ٣٨٠)، مرسلاً].

● المطلب الثاني : سرية محمد بن مسلمة إلى القُرَطاء :

كان من أهم أحداثها : أنه لقيهم في طريق العودة ثمامة بن أثال السحيمي الحنفي، فأسروه، لأنه كان يريد قتل النبي ﷺ، فأهدر ﷺ دمه. [الكلاعي : الاكتفاء، ص : ٦٩ - ٧٠].

وحبس بالمسجد لعدة أيام، وعرض عليه الإسلام، فأبى، فأطلق ﷺ سراحه. فأسلم، وحجته في هذا أنه لايريد أن يقال أسلم خوفاً من القتل. ومنع الميرة - القمح - عن قريش، ثم سمح لهم بها بطلب من الرسول ﷺ،

عندما ناشدته قريش الرحم في ذلك. [هش (٢/ ٣٨١)، معلقاً].

وكان له دور إيجابي في حركة الردة حين ثبت على الإسلام مع قومه بني سُحيم، وبلغ عددهم ثلاثة آلاف مجاهد [السهيلي : الروض (٤/ ٢٥٣)].

● المطلب الثالث : سرية كُرز بن جابر الفهري إلى عُكَلَ وعُرَيْنَة (شوال /٦هـ) :

قدم على النبي ﷺ جماعة من عُكَل وعُرَينة [عند مسلم (١٦٧١) ثمانية]،

وأعلنوا إسلامهم، ولم يطب لهم جو المدينة، وسقمت أجسامهم، واجتووا، أي أصابهم داء في بطونهم، وهو مرض الاستسقاء، وهو مشتق من الجوى، داء في الجوف. قال الشامي. [السبل (٦/ ١٨١)] : (وعند أبي عوانة أنه كان بهم هزال شديد وصفرة، وعظمت بطونهم)، وهذه أعراض مرض الاستسقاء؛ فأمر لهم رسول الله ﷺ بذَوْد [نوق] وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه،فيشربوا من ألبانها وأبوالها، ففعلوا ذلك حتى إذا صحت أبدانهم كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا الراعي، واستاقوا الذَّود، فكشف الوحي أمرهم، فدعا ﷺ أن تعمى أبصارهم عن الطريق، حتى لحقهم كرز بن جابر رضي الله عنه على رأس سرية، فجاءت بهم، فسمرت أعينهم، وقطعت أيديهم وأرجلهم. [بخ (٤١٩٢)؛ م (١٦٧١)].

قال جمهور المفسرين إن آية الحرابة : ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [المائدة: ٣٣]، قد نزلت في هؤلاء العكليين والعرنيين [انظر : سيد سابق : فقه السنة (٢/ ٤٧١)]. وقيلت أسباب أخرى في نزولها [انظر طبق (١٠/ ٢٤٢)].

وقد أثبت الطب الحديث القيمة العلاجية لأبوال وألبان الإبل، خاصة لعلاج مرض الاستسقاء والسرطان، ودل فعل النبي ﷺ هاهنا على الإعجاز الطبي في السيرة النبوية. وانظر التفاصيل عند د. مهدي السيرة.

● **المطلب الرابع : سرية الخَبَط (سِيف البحر) : بقيادة أبي عبيدة لرصد عير قريش :**

كانت على الأرجح قبل هدنة وصلح الحديبية.

كادت هذه السرية أن تهلك من الجوع لولا أن الله أكرمهم بإخراج حوت من البحر عظيم يسمى العنبر، مثل الجبل الصغير، أكلوا منه وادهنوا لنصف شهر، فصحت أجسامهم، ولم يلقوا كيداً أو عيراً فعادوا، وحكوا قصة الحوت، وسألوا إن كان في هذا إثم، فقال ﷺ : «كلوا رزقاً أخرجه الله، أطعمونا إن كان معكم»، فأتاه بعضهم بعضو منه، فأكله ﷺ. [بخ (٤٣٦٠ - ٤٣٦٢) ؛ م (١٩٣٥) ؛ حق (٤/ ٣٧١). حسن ؛ أحمد (١٤٣٣٨)، صحيح].

❑ المبحث العاشر : صلح هدنة الحديبية ❑

[والحديبية : اسم بئر تقع على بعد **٢٢** كيلاً شمالي غربي مكة، تعرف اليوم بالشميسي؛ بها حدائق الحديبية ومسجد الرضوان].

خرج ﷺ بأصحابه لأداء العمرة في يوم الاثنين، هلال ذي القعدة من السنة السادسة الهجرية [بخ (١٧٧٨)]، يحملون أسلحة دفاعية.

واستنفر ﷺ من حوله من مسلمي البادية، فأبطأوا عليه، وكشف القرآن عن أسباب ذلك وأعذارهم، كما في قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح: ١١-١٢].

وساق معه الهدي، وأحرم بالعمرة، ليأمن الناس من حربه، وليعلموا أنما جاء زائراً للبيت ومعظماً له.

وعندما وصلوا إلى عُسْفان، جاءهم بُسر بن سفيان الكعبي بخبر قريش، وأنها تعزم على صدهم عن البيت الحرام، وكان مما قاله : (يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العُوذُ المطافيل، قد لبسوا

جلود النمور) [كناية عن إظهار العداوة والحرب] [بخ (٢٧٨٠)].

وعندما اقترب ﷺ من الحديبية بركت ناقته القصواء، فقالوا : (خلأت - أي حرنت - القصواء)، فقال ﷺ : «ماخلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»، ثم قال : «والذي نفسي بيده، لا يسألونني خُطةً يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها». [بخ (٢٧٣١ - ٢٧٣٢)]. وفي رواية: «لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها». [أحمد (١٨٩١٠) - حسن ؛ حق (٣/ ٤٣٠)، حسن].

وقال ﷺ متحسراً على إصرار قريش على حربه وصده عن البيت الحرام : «يا ويح قريش، أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس، فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وهم وافرون، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فماذا تظن قريش، والله إني لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة [- أي صفحة العنق -] . . .». [حم (١٨٩١٠)، حسن ؛ حق (٣/ ٤٢٨) - حسن].

وأرسل ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى قريش ليبين لهم مقصده. وعندما أبطأ عثمان في العودة، ظن المسلمون أن قريشاً أصابته بسوء، لذا بايعوا الرسول ﷺ بيعة الرضوان، على الحرب والثبات. ثم ما لبثوا قليلاً حتى جاء عثمان بُعَيد البيعة مباشرة. [م (١٨٥٦)]. وسجلت هذه البيعة في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفَتْح: ١٨]. [طبق (٢٦/ ٨٦) ؛ تر (١٥٩١) ؛ م (١٨٥٦)].

وأخيراً أخذت قريش في إرسال السفراء للتفاوض مع المسلمين للتهدئة والمهادنة أرسلوا بُدَيل بن وَرْقَاء، ثم عروة بن مسعود الثقفي، ثم الحُلَيس ابن علقمة الكناني - سيد الأحابيش[1] - ثم مِكْرَز بن حفص، ثم سهيل بن

---

(١) الأحابيش: حلفاء قريش من بني كنانة، تحالفوا تحت جبل يقال له حُبشي، فسموا بالأحابيش، وهم أحياء من القارة.

عمرو، الذي قال فيه ﷺ متفائلاً عندما رآه : " سَهُلَ أمركم" . [حم (١٨٩١٠) - حسن ؛ وانظر خبرهم عند : بخ (٢٧٣١ - ٢٧٣٢)].

كانت توجيهات قريش لسفيرها سهيل : (ائت محمداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تتحدث العرب عنا أنه دخلها - أي مكة - علينا عنوة أبداً).

وتم الصلح على هدنة بعد كلام فيه دلالات كبيرة. من ذلك أنه : عندما بدأ ﷺ في إملاء شروط الصلح على الكاتب علي. [بخ (٢٦٩٨) ؛ م (١٧٨٣)]، اعترض سهيل على كتابة كلمة "الرحمن" في البسملة، فأجيب إلى طلبه بأن تكتب عبارة : "باسمك اللهم" ، لأنها عبارة الجاهليين، على الرغم من اعتراض بعض المسلمين. واعترض سهيل على عبارة : "محمد رسول الله" ، قائلاً : (والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا ناتلناك [أي ما تقدمنا إلى خصومتك] . . .). فأجيب إلى طلبه بأن يكتب محمد بن عبد الله" .

وأخيراً جرى الصلح على الشروط الآتية : -

١- أن يرجع المسلمون هذا العام، وأن يعتمروا العام القادم، حتى لا يتحدث العرب أن المسلمين دخلوا مكة قهراً.

٢- يرد من جاء من المسلمين من مكة إلى المدينة، باستثناء النساء فيما بعد [بخ (٢٧١١ - ٢٧١٢)] . .

٣- أن تضع الحرب أوزارها بينهم لمدة عشر سنين، لا خيانة فيها .

٤- من أراد أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عقد قريش وعهدها دخل فيه ؛ فدخلت خزاعة في عهد وعقد محمد ﷺ وبنو بكر في عهد وعقد قريش، [بخ (٢٧٣١ - ٢٧٣٢) ؛ م (١٧٨٣ - ١٧٨٥) ؛ حم (١٨٩١٠) ؛ حق (٣/ ٤٤٠ - ٤٤٢)].

تبرم بعض الصحابة ﷺ من معظم هذه الشروط، ومن أدلة ذلك :

أن عمر رضي الله عنه جاء غاضباً إلى النبي ﷺ عند كتابة الصلح، قائلاً :

(ألست نبي الله حقاً ؟، قال ﷺ : «بلى»، قال عمر : (ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟)، قال ﷺ "بلى" ، قال عمر : (فلم نعط الدَّنِيَّة في ديننا إذاً ؟)، قال ﷺ : «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري»، قال عمر : (أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟) قال ﷺ : «بلى. أفأخبرتك أنك تأتيه العام ؟»، فقال عمر : (لا)، قال ﷺ : «فإنك آتيه ومطوف به».

وأتى عمر أبا بكر، وقال له مثل ما قال للنبي ﷺ، فقال له أبو بكر : (إنه لرسول الله، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بِغَرْزِهِ [والغرز للرحل : بمنزلة الركاب للسرج، وعنى به : الزم أمره ولا تفارقه]، فوالله إنه على حق). [بخ (٢٧٣١ - ٢٧٣٢ - ٣١٨٢)].

وفي رواية ابن إسحاق [حق (٣/ ٤٤٠)، حسن]، قال له أبوبكر : (ياعمر، الزم غرزه، فإني أشهد أنه رسول الله)، فقال عمر : (وأنا أشهد أنه رسول الله).

وقال عمر : (ما زلت أصوم وأتصدق وأعتق، من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ، حتى رجوت أن يكون خيراً). [حق (٣/ ٤٤٠)، حسن].

ولم تطب نفس عمر إلا عندما نزل القرآن مبشراً بالفتح [م (١٧٨٥)].

وبينما المسلمون يتعجبون من شرط رد من يأتيهم من مكة مسلماً، دخل عليهم أبو جَنْدَل بن سهيل بن عمرو، يرسف في أغلاله، فقال سهيل : (هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إليَّ)، فقال ﷺ : «إنا لم نقض الكتاب بعد» فقال سهيل : (والله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً). وألح النبي ﷺ على استثناء سهيل من هذا الشرط، فأبى، على الرغم من موافقة السفير مكرز، الذي كان معه [بخ (٢٧٣١ - ٢٧٣٢)].

وعندما كان أبو جندل يستنجد بالمسلمين قائلاً : (يا معشر المسلمين،

أتردونني إلى أهل الشرك فيفتنوني في ديني ؟). والنبيُّ ﷺ يقول : «يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً». [حم (٤/ ٣٢٥)، حسن ؛ حق (٣/ ٤٤٢)، حسن]، وكان عمر رضي الله عنه يمشي بجنب أبي جندل، يغريه بأبيه ويقرب إليه سيفه، لكن أبا جندل لم يفعل ما يريده عمر، فأعيد إلى المشركين. [نفسه].

كل ذلك لحكمة تجلت فيما بعد، يوم كان أبو جندل وأبو بصير سبباً في إلغاء هذا الشرط بطلب من قريش، ويوم موقف سهيل في تثبيت أهل مكة على الإسلام أيام فتنة الردة. [انظر ترجمته في الإصابة].

ولا شك أن هذا التصرف من عمر رضي الله عنه وغيره اجتهاد منهم ورغبة في إذلال المشركين [حم (٤/ ٣٢٥)، حسن].

وضبط الرسول ﷺ نفسه حين تحرش بهم ثمانون من الكفار، وهاجموا معسكرهم على حين غرة، فعفا عنهم بعد الأسر [م (١٨٠٨)]. وعفا عن ثلاثين آخرين كرروا المحاولة [حم (٤/ ٨٦)، صحيح ؛ حك (٢/ ٤٦٠)، صحيح]. وعفا عن أربعة قبض عليهم سلمة بن الأكوع، عندما أساءوا إلى النبي ﷺ بعد الصلح. ونزل في هؤلاء قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفَتْح: ٢٤] [الفتح : ٢٤] [م (١٧٠٧)].

ونزلت سورة الفتح في طريق العودة إلى المدينة : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفَتْح: ١]،

وقال ﷺ عنها : «لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة لهي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس». [بخ (٤١٧٧)].

وقال عمر رضي الله عنه متعجباً : (أو فتح هو ؟)، فقال ﷺ : «نعم» ؛ فطابت نفس عمر ورجع. [م (١٧٨٥)]، وفي رواية : «نعم، والذي نفسه بيده إنه لفتح». [بخ (٤١٧٢ - ٤٨٣٤) ؛ حك (٢/ ٤٥٩) - صحيح].

وكان من حكم هذا الصلح على الهدنة:

١- اعتراف قريش بكيان المسلمين الديني والسياسي لأول مرة.

٢- ذهاب هيبة قريش، بدليل مبادرة خزاعة للدخول في عهد المسلمين.

٣- تفرغ المسلمين للعدو الخطير الآخر - يهود خيبر خاصة، وجيوبهم الأخرى.

٤- مضاعفة جهود نشر الإسلام في سنتي سريان الهدنة. قال الزهري: (...ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر). [حق (٣/٤٤٧) - حسن]. قال ابن هشام: (والدليل على قول الزهري: إن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر، ثم خرج بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف). [نفسه].

٥- جاءت نتائج بعض الشروط في صالح المسلمين، من ذلك: أن أبا بصير - عتبة بن أسد بن جارية - عندما فر من مكة إلى المدينة، رده ﷺ إلى المشركين عندما أرسلوا اثنين منهم في طلبه، فعدا على حارسيه، وقتل أحدهما، وفر الآخر إلى المدينة طالباً الحماية. وقال أبو بصير للرسول ﷺ: (قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم نجاني الله منهم)، فقال ﷺ: «وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حرب لو كان له أحد». ففهم نية الرسول ﷺ في رده إلى المشركين، فلجأ إلى سِيف البحر ... [بخ (٢٧٣١ - ٢٧٣٢)]. وقال ﷺ في رواية: «يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن اتبعك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك ...».

وفهم أصحابه المستضعفون في مكة إشارته ﷺ، ففروا ولحقوا بأبي بصير - بلغوا نحو الستين -، على رأسهم أبو جندل، وشكلوا فرقة لقطع طريق تجارة قريش إلى الشام، مما اضطر المشركين إلى مناشدة محمد ﷺ أن يضمهم إليه، ففعل. [حق(٣/٤٤٩)، حسن].

❏ المبحث الحادي عشر : غزوة ذي قَرَد : [قبل خيبر بثلاث ليال] ❏

كان سببها : إغارة عبد الرحمن بن عيينة بن حصن الفزاري، في جماعة من قومه غطفان، على لقاح النبي ﷺ التي كانت ترعى بذي قرد.

كان أول من شعر بهم سلمة بن الأكوع، وكان فارساً قوياً، صاح منذراً الناس، ثم لحق بالمغيرين، ورماهم بنبله، حتى استنقذ منهم ما أخذوه قبل وصول الرسول ﷺ على رأس جماعة. [بخ (٤١٩٤) ؛ م (١٨٠٦)].

❏ المبحث الثاني عشر : غزوة خيبر : (محرم -٧ هـ) ❏

لم يُبْدِ يهود خيبر عداء سافراً للمسلمين، إلا حين لحق بهم زعماء بني النضير عندما أُجْلوا عن المدينة، أبرزهم : سلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، الذين دان لهم أهل خيبر. [حق (٣/ ٢٦٩)].

لذا كانوا كلما وجدوا فرصة للانتقام من المسلمين انتهزوها لتنفيس أحقادهم، ووجدوا في قوة قريش الموتورة، وبعض قبائل العرب، ضالتهم كوسيلة يدخلون بها المدينة مرة أخرى، فألبوهم ضد المسلمين، ثم جروهم إلى غزوة الخندق. [حق (٣/ ٢٩٨ - ٢٩٩)، مرسلاً].

ولذا كانت العقوبة الإلهية لبني قريظة، وسلام بن أبي الحقيق، الذي قضت عليه سرية عبد الله بن عتيك - كما سبق ذكره.

كانت هدنة الحديبية فرصة أمام المسلمين لتصفية هذا الجيب الذي يشكل خطورة على أمن المسلمين، وقد وعد الله المؤمنين بمغانم خيبر بعد الحديبية كما في قوله تعالى : ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا

مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الفتح: ١٨-٢١]. [كتف (٧/ ٣٢٢)؛ حف (١٦/ ٤٠ - ٤١)].

فوجيء اليهود بنزول الجيش الإسلامي في ساحتهم، فقالوا: (محمد والخميس!!)، فقال ﷺ: «الله أكبر! خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة القوم فساء صباح المنذرين». وفتحت حصون خيبر وأحداً تلو الآخر؛ وواجهوا صعوبات في بعضها، منها حصن ناعم، الذي ألقى فيه مَرْحب رحىً من أعلى الحصن على محمود بن مسلمة فقتله. [حق (٣/ ٤٦٤)، حسن]. وحمل لواء المسلمين عند حصاره أبو بكر ثم عمر رضي الله عنه، ولم يفتح الله لهما.

وعندما جهد الناس لمدة عشرة أيام، قال ﷺ: «إنه سيدفع الراية غداً إن شاء الله إلى رجل يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، لا يرجع حتى يُفتح له»؛ فطابت نفوس المسلمين. فدفع اللواء في الغد - بعد صلاة الصبح - إلى علي رضي الله عنه، فكان أرمداً، فتفل ﷺ في عينيه فبرأ.[م (٢٤٠٦)]، ففتح الله على يديه. [حم (٢٢٩٩٣) - صحيح؛ حك (٣/ ٣٧) - صحيح، وأصلها عند مسلم (٢٤٠٥ - ٢٤٠٧)].

وأوصاه بدعوتهم للإسلام قبل المداهمة. [م (٢٤٠٤ - ٢٤٠٥)].

وبارز علي مرحب، وقتله [م (١٨٠٧)] مما أثر سلباً في معنويات اليهود وهزيمتهم. وسقطت حصونهم، ثم كان الصلح بعد الفتح عنوة. [بخ (٣٧١)، م (١٣٦٥)]، ومن شروطه:

١- أن يعملوا على أراضيهم ونخيلهم بشطر ثمارها. [بخ (٤٢٤٨)، م (١٥٥١)؛ حم (٤٦٦٣)، صحيح].

٢- أن ينفقوا من أموالهم على خدمة الأرض. [م (١٥٥١)].

٣- بقاؤهم بخيبر مرهون بمشيئة المسلمين، وقد أخرجوا على عهد عمر رضي الله عنه عندما أخلوا بالشروط، فأخرجهم عمر رضي الله عنه إلى تيماء وأريحا [م (١٥٥١)؛ بخ: الفتح (١٢/ ٢٣٩)، ح (٣١٥٢)].

ومن أدلة نقضهم العهد : قتلهم عبد الله بن سهل في حياة الرسول ﷺ، وأنكروا، فوداه [أي دفع ديته] ﷺ من بيت مال المسلمين. [بخ (٦١٤٢) - (٦١٤٣) ؛ مسلم].

وفدعوا [خلعوا] يد عبد الله بن عمر رضي الله عنه - على عهد عمر رضي الله عنه - [حم (٩٠) - صحيح ؛ حق (٣/ ٤٩٩٥)، حسن].

٤- إيفاد مبعوث من قبله ﷺ إلى خيبر ليَخْرُص [يقدر] ويقبض حصة المسلمين [حم (٤٧٦٨) - (٤٩٧٨) - (٥٠٩٥) - (٥٩٥١) - (٥٩٥٢) - (٤٧١٣) - صحيح بمجموع هذه الطرق].

٥- للمسلمين الأموال المنقولة : الذهب والفضة والسلاح.

وبعد الفراغ من الفتح أهدت زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم، وابنة أخ مرحب، شاة مشوية مسمومة للنبي ﷺ، أكثرت السم في الذراع، لعلمها أنه يحبها، فأخبرته الذراع بالمؤامرة، فلفظ اللقمة، فلم يعاقبها على الراجح، لأنها أسلمت لهذه المعجزة. [بخ (٣١٦٩)، م (٢١٩٠)]. ومات بشر بن البراء بن معرور من أثر السم الذي ابتلعه حين أكل مع الرسول ﷺ. [حك (٣/ ٢٢٠)].

وبعد الفراغ من خيبر حاصر وادي القرى حتى صالحوه بمثل صلح خيبر. [البلاذري : فتوح البلدان، ص : ٤٧ - ٤٨].

ولما بلغ يهود تيماء ماحدث ليهود وادي القرى وخيبر، صالحوه على الجزية. [الواقدي : (٢/ ٧٠٩ - ٧١١)].

وهكذا أمنت الدولة من مكائد اليهود بالداخل والخارج، فتفرغ ﷺ للدعوة الخارجية بلا عقبات تذكر.

❑ المبحث الثالث عشر: عالمية الإسلام ودعوته ووسائل تحقيقها ❑

● المطلب الأول: أدلة عالمية الإسلام ودعوته.

إن معنى عالمية الدعوة الإسلامية أنها موجهة لكل البشر في كل زمان ومكان من الكرة الأرضية، وحتى إلى الجن، ومن الأدلة على ذلك من القرآن الكريم:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٢- وقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبإ: ٢٨].

٣- وقوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

٤- وقوله: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢﴾ [الجن: ١-٢].

٥- وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ [الفرقان: ١].

٦- وقوله: ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٣﴾ [القصص: ٤٣].

ومن الأدلة على ذلك من الحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية:

أقواله ﷺ الآتية:

١- «كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود . . » [مسلم (٢/ ٦٣/ كتاب المساجد)؛ وغيره. وقال ابن حجر في شرح الحديث: «قيل المراد بالأحمر العجم وبالأسود العرب، وقيل الأحمر الإنس والأسود الجن، كما في الفتح (١/ ٤٣٩)]

٢- «. . وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» [البخاري (٣٣٩)]

٣- «. . . وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون» [مسلم (٢/ ٦٤)].

٤- «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر

ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام، وذلاً يُذلُّ الله به الكفر» [أحمد (١٦٩٥٧) - قال محققو الموسوعة الحديثية: صحيح على شرط مسلم؛ البخاري: التاريخ (٢/ ١٥٠)؛ الحاكم (٤/ ٤٣٠)، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . . .].

ومن الأدلة على ذلك ما سبق ذكره في المقدمة في المباحث والمطالب الخاصة بـ: بشارات الكتب المقدسة غير السماوية: الهندية القديمة، والزرادتشيّة.

ومن الأدلة على ذلك أقوال مستشرقين وعلماء منصفين كبار، مثال ذلك:

١- المستشرقة الألمانية آن ماري شيمل التي ألفت كتابًا بعنوان: «الإسلام دين الإنسانية»، وقالت فيه: (. . . أن الإسلام لم ينشر بحد السيف، إنما جاء بقيم روحية ومبادئ سامية تؤكد أنه دين عالمي . . .».

٢- برنارد شو [المستشرق البريطاني الأشهر، والفيلسوف والروائي الساخر، والكاتب المسرحي، ويعد الأعظم بعد شكسبير] الذي قال عن الرسول محمد ﷺ - في مجرى حديثه الناقد له -: «. . . وكان الأولى أن يوصف بأنه مخلص الإنسانية». [نقلًا عن: علي الجرجاوي: حكمة التشريع (١/ ٦٦)].

٣- ثيودور نولدكه [شيخ المستشرقين الألمان] الذي قال في كتابه: «تاريخ القرآن»: «نزل القرآن على محمد نبي المسلمين، بل نبي العالم، لأنه جاء بدين عظيم، وشريعة كلها آداب وتعاليم . . .».

٤- محمد اسكندر راسيل [السياسي والصحفي والمؤلف الأمريكي] الذي قال في مجرى كلامه عن أساب إسلامه: «وجدته خير الأديان، وأنه هو الوحيد بينها الذي يلبي الاحتياجات الروحية للجنس البشري، والإسلام دعوة إلى الأخوة العالمية والمحبة بين العالمين جميعاً، وإلى الخير للناس كافة . . وأنه أيسر الأديان وأقدرها على السمو

بالبشرية». [باواني: سبق ذكره، ص ٦٦-٦٨، بتصرف].

٥- هنري سيرويا: [المستشرق الفرنسي]، الذي أشار في كتابه «تاريخ العرب العام» بعالمية الإسلام وعظمة محمد ﷺ. [انظر: فلسفة الفكر الإسلامي، نقلا عن معدي، ص١٣٦].

٦- إيفلين كوبولد [الشاعرة البريطانية] التي قالت في كتابها: «الأخلاق»، [ص٦٦] عن محمد ﷺ ورسالته: «... وكان يعمل في سبيل الله والإنسانية»، وقالت في الأفئدة، فما بالك بالعظمة إذا انتظمت مع النبوة، وما بالك بها وقد راحت تضحي بكل شيء في الحياة في سبيل الإنسانية وخير البشرية».

٧- جان ليك [المستشرق الأسباني] الذي قال في كتابه: «العرب»، [ص٤٣]، «حياة محمد التاريخية، لا يمكن أن توصف بأحسن مما وصفها الله عزَّ وجلَّ بألفاظ قليلة، بين بها سبب بعث النبي ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٨- الفونس دي لامارتين [من أشهر الشعراء الفرنسيين] الذي يقول في كتابه: «تاريخ الأتراك» - بالفرنسية (ص (٤٧) عن الإسلام: «.. هو أعلى ما رسمه الخالق لبني البشر ..»، ويقول عن محمد ﷺ: «... أي رجل أدرك من العظمة الإنسانية مثلما أدرك محمد، وأي إنسان بلغ من مراتب الكمال مثلما بلغ ...».

٩- جول لابوم [العالم الفرنسي]، الذي قال عن محمد ﷺ في «الفهرس، المترجم إلى اللغة العربية، الذي وضعه للقرآن الكريم، [ص٦٣]: «... وإذا بالعالم يتسع لأضواء هداه، فكأن بالعالم وقد خلق من جديد، وفتح عينيه على مبادئ عالية سامية». [وانظر النت].

١٠- لايتنر [الباحث الإنجليزي، الحاصل على أكثر من شهادة دكتوراه في الشريعة والفلسفة واللاهوت] الذي قال في كتابه: «دين الإسلام»:

«.. بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي محمد ﷺ».

١١- لورافيشيا فاغليري [الباحثة الإيطالية]، التي وصفت الإسلام بأنه دين عالمي. [انظر كتابها: «دفاع عن الإسلام» - ترجمة منير البعلبكي، بيروت، ١٩٦٠م، ص٧٣].

١٢- إدورد مونته [المستشرق الفرنسي، وأستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف] الذي قال في كتابه: «محمد والقرآن» [ص٢٢]: «لقد منع محمد الذبائح البشرية ووأد البنات والخمر والميسر، وكان لهذه الإصلاحات تأثير غير متناه في الخلق، بحيث يجب أن يعد محمد في صف أعاظم المحسنين للبشرية، وأن الإنقياد الإرادة الله تتجلى في محمد والقرآن بقوة لا تعرفها النصرانية»، وقال: «... وإن ما قام به من إصلاح أخلاق وتطهير المجتمع، يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للإنسانية» [نفسه].

١٣- لوازن [القس والمستشرق الفرنسي] الغي قال: «جاء محمد إلى العالم بدين جمع فيه كل ما يصلح للحياة» [انظر: النت].

١٤- جوهان، دافير ميخائيلس [اللاهوتي والمستشرق الألماني الشهير] الذي أشاد في كتابه: «العرب في آسيا» بمحمد ﷺ ورسالته: «ولم نعرف عن دينه إلا ما يتلاءم من العصور مهما تطورت ... وحري بكل الشعوب أن تأخذ بتعاليمه» [انظر: محمد ﷺ عند علماء الغرب، سبق ذكره، ص(٣٥٢)، والنت].

١٥- مايكل هارت [المستشرق الأمريكي، صاحب الكتاب المشهور: «المائة الخالدون»] الذي اختار فيه محمدًا ﷺ على رأس القائمة، وقال في تبريره لهذا الاختيار: «إن اختياري لمحمد ليكون رأس القائمة التي تضم الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، ربما أدهش كثيرًا من القراء ... ولكن في

اعتقادي أن محمدًا كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي» [نفسه].

١٦- كارل هينرش بكر [المستشرق الألماني الذي يقول في كتابه: «الشرقيون»: «. . . وأن محمدًا خير رجل جاء إلى العالم بدين الهدى والكمال . . .» [نفسه].

١٧- هربرت جورج ولز [الكاتب والأديب البريطاني]، الذي قال في كتابه: «معالم تاريخ الإنسانية [٣/ ٦٤٠-٦٤١] عن رسالة محمد ﷺ: «إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتنفخ في الناس روح الكرم والسماحة، كما أنها إنسانية السمة، ممكنة التنفيذ، فإنها خلقت جماعة إنسانية . . .».

● **المطلب الثاني: وسائل تحقيق عالمية رسالة الإسلام:**

أولاً: الجهاد الحربي لرد العدوان في حالة القدرة المادية. وهذا ما وقفت عليه وستقف عليه في هذا الكتاب؛ مثل أسباب محاربة الروم كما في أحداث سرية مؤتة، وغزوة تبوك.

ثانياً: والجهاد الفكري بالتربية الإسلامية من مصادر الإسلام:

القرآن الكريم والسنة والسيرة النبوية، وهذا ما تضمنه هذا الكتاب من خلال الدروس والعظات والعبر المستنبطة من أحداث السيرة النبوية.

ثالثاً: بالمراسلة : أي بعث الرسل السفراء أو البعوث إلى حكام أو زعماء، أو ملوك الدول يحملون رسائل من الرسول ﷺ تدعوهم إلى الإسلام. وكان ذلك عندما أتيحت للرسول ﷺ بعد هدنة الحديبية وغزوة خيبر فرصة توسيع نطاق الدعوة الإسلامية، لأنها رسالة عالمية كما في قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سَبَإ: ٢٨]. وكان من وسائل الدعوة مكاتبة الزعماء، ومن أبرز الكتب :

(١) كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي أصحمة الحبشي. [م (١٧٧٤)].

(٢) كتابه إلى كسرى الفارسي. حمله إليه عبد الله بن حذاقة السهمي.فلما

قرأه مزقه، فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق [بخ (٤٤٢٤)]. وكتب كسرى إلى باذان، عامله على اليمين أن ابعث من عندك رجلين جلدين إلى هذا الرجل فليأتياني بخبره، فأرسل إليه قهرمانه - كاتبه الحاسب - وخرخُسْرَة، فقال لهما ﷺ: «أبلغا صاحبكما أن ربي قتل رب كسرى في هذه الليلة ...» وقد حدث أن الله سلط عليه ابنه شيرويه، فقتله؛ فكانت هذه المعجزة سبباً في إسلام باذان ومن معه من الفرس المولدين باليمن. [طبت (٢/ ٦٥٥ - ٦٥٧) من حديث ابن إسحاق، مرسلاً حسناً؛ طس (١/ ٢٦٠)].

(٣) كتابه إلى قيصر الرومي بالشام [بخ (٢٩٤٠) - (٢٩٤١)، م (١٧٧٣)]، في فترة سريان صلح هدنة الحديبية. وعندما قرأه سأل تجار قريش عن أقربهم به نسباً ليسأله عن صفات النبي ﷺ التي يعرفها. فوقع اختيارهم على أبي سفيان ' الذي أصدقه القول فيه، فاستنتج من أجوبته عن أسئلته أنه ﷺ هو النبي الخاتم المنتظر، ولكنه ضَنَّ بملكه. [المصدران نفسهما].

(٤) كتابه إلى الحارث بن شَمِر الغساني. [طس (١/ ٢٦١)؛ حق (٤/ ٣٣٩)].

(٥) كتابه إلى هوذة بن علي الحنفي، صاحب اليمامة. [طس (١/ ٢٦٢)].

(٦) كتابه إلى المقوقس - جريج بن ميناء - ملك الإسكندرية وعظيم القبط، مع حاطب رضي الله عنه، وقارب الأمر ولم يسلم، وأهدى النبي ﷺ مارية القبطية، وأختها سيرين، فولدت له مارية رضي الله عنها ابنه إبراهيم، وأهدى النبي ﷺ سيرين إلى حسان بن ثابت رضي الله عنه، فولدت له ابنه عبد الرحمن .. [طس (١/ ٢٦٠ - ٢٦١)].

(٧) كتابه إلى المنذر بن ساوى العبدي - أمير البحرين - [ابن سيد الناس: عيون الأثر (٢/ ٢٦٦)].

(٨) كتابه إلى جَيْفَر وعبد ابني الجُلَنْدَى، الأزديين، بعُمَان، فأسلما. [عيون الأثر (٢/ ٢٦٧)؛ الزيلعي: نصب الراية (٤/ ٤٢٣)؛ ابن طولون: إعلام السائلين بكتب سيد المرسلين، ص: ٩٢].

(٩) كتبه الأخرى مثل: إلى رَعِيَّة السُّحَيمي اليمامي الحنفي، الذي رقع دلوه بكتاب النبي ﷺ. [ابن أبي شيبة: المغازي، ص: ١٦٣، من مرسل الشعبي].

(١٠) ورسالته إلى مسيلمة الكذاب، الذي كان من ردها أنه أُشْرِكَ مع النبي ﷺ في أمر الرسالة.. [حم (١٥٩٨٩) صحيح بطرقه؛ د (٢٧٦١) صحيح].

(١١) ورسالته إلى ذي الكُلاع بن ناكُور، وذي عمرو، فأسلما، ومعهما زوجة الأول. [بخ (٤٣٥٩)].

(١٢) وكتب إلى بكر بن وائل [ابن حبان في صحيحه - الموارد (١٦٢٦)، بسنده إلى أنس رضي الله عنه].

(١٣) وكتب إلى بني عمرو من حمير [ابن سعد (١/ ٢٦٥)، من رواية الواقدي].

(١٤) وكتب إلى جَبَلَة بن الأيهم، ملك غسان [نفسه، ص٢٦٥-٢٨٤].

(١٥) وإلى معدي كرب ابن أبرهة، [نفسه، ص٢٦٥-٢٦٦، وأصل الرواية في صحيح البخاري (٤٣٥٩)].

(١٦) وإلى أسقف بني الحارث بن كعب وأساقفة نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم [نفسه].

(١٧) وإلى أبي ظبيان الأزدي من غامد، فأجابه في نفر من قومه بمكة [نفسه].

(١٨) وإلى عظيم بُصْرى، وأرسله مع الحارث بن عُمير الأزدي. فعرض له شُرَحْبيل بن عمرو الغساني بمؤتة، فأوثقه رباطًا، ثم قتله [الواقدي (٢/ ٧٥٥-٧٥٦)].

(١٩) وإلى الحارث ومسروح ونعيم بن عبد كُلال من حمير. وبعث الكتاب مع عياش بن أبي ربيعة المخزومي رضي الله عنه [نفسه، ٢٦٥-٢٦٦، وأصل الرواية في صحيح البخاري (٤٣٥٩)].

(٢٠) وإلى نُفاثَة بن فروة الدئلي ملك السَّمَاوَة. [نفسه]. وكتب إلى غير ما ذكرنا [انظر ابن سعد والواقدي].

❏ المبحث الرابع عشر: عمرة القضاء: (ذو القعدة /٧هـ) ❏

خرج ﷺ مع أصحابه لأداء العمرة حسب شروط الحديبية، بسلاح الراكب ـ السيوف ـ، وتركوا الأسلحة الأخرى بيأجِجَ خارج الحرم. [بهد (٤/ ٣١٤)، حسن؛ طس (٢/ ١٢١)].

وأنشد ابن رواحة رضي الله عنه بين يدي الرسول ﷺ عندما دخلوا مكة، قائلاً:

خلو بني الكفار عن سبيله ... اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ... ويذهلُ الخِلَّ عن خليله

وعندما استنكر عمر رضي الله عنه قول الشعر بين يدي رسول الله ﷺ، قال له ﷺ: «خل عنه ياعمر، فلهي أسرع فيهم من نضح النبل». [تر (٢٨٥١)، صحيح، و حسن غريب كما قال ابن حجر في الفتح (١٦/ ٨٦)].

وأرملوا - أسرعوا - في طواف الأشواط الثلاثة الأولى ليردوا على إشاعة قريش بأن المسلمين أهلكتهم حمى يثرب، فعجب المشركون من قوتهم. [بخ (٤٢٥٦) - ٤٢٥٧)؛ م (١٢٦٦)].

وخرج من مكة بعد ثلاثة أيام من دخولها، ونزل بِسَرِف، فأقام بها إلى أن تتام، ثم انصرف إلى المدينة في ذي الحجة. [حق (٤/ ٢٢)؛ طس(٢/ ١٢٢)].

❏ المبحث الخامس عشر: سرية مؤتة: (قرية شرقي الأردن) ❏

كان من أسبابها مقتل رسول رسول الله ﷺ - الحارث بن عمير - على يد شرحبيل بن عمرو الغساني، وكانت الرسل لاتُقْتَلُ، فأراد ﷺ الانتصار لهذه القيمة الحضارية الإنسانية [حق (٤/ ٢٣)، مرسلاً حسناً؛ طس (٢/ ١٢٨)، ابن عقبة وأبو الأسود، كما في الفتح (١٦/ ٩٧)].

كان عدتها ثلاثة آلاف [حق (٤/ ٢٤)، مرسلاً حسناً]. وعين على قيادتها زيد ابن حارثة، ثم قال ﷺ: «إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن

رواحة». [بخ (٤٢٦١)]، وقال: «... فإن أصيب ابن رواحة فليرتض المسلمون رجلاً يجعلونه عليهم».

بكى ابن رواحة ﵁ حين ودعهم الناس، فسألوه عن السبب، فقال:

(أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١]، فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود)، فقال المسلمون: (صحبكم الله ودفع عنكم، وردكم صالحين)، فقال ابن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنة بيدي حران مجهزة ... بضربة تنفذ الأحشاء والكبدا

ثم تردد قليلاً، ثم قال مرتجزاً:

أقسمت يا نفسي لتنزلنه ... لتنزلن أو لتكرهنه

إن أجلب الناس وشدوا الرنة ... مالي أراك تكرهين الجنة

قد طال ماقد كنت مطمئنة ... هل أنت إلا نطفة في شنة

[حق (٤/٢٨)].

[أجلب: صاحوا واجتمعوا، والرنة: صوت فيه ترجيع شبه البكاء؛ والنطفة: الماء القليل الصافي، وشنة: القربة القديمة].

وعندما وصلوا معان من أرض الشام علموا أن عدد جيش العدو مائتا ألف من الروم ومئتا ألف من حلفائهم نصارى العرب: قضاعة ولخم وجذام وبلقين وبهراء وبلي، فقالوا: (نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا فنمضي له). فشجع ابن رواحة الناس قائلاً: (ياقوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا بقوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة). فقال

الناس : (صدق و الله ابن رواحة ؛ فمضى الناس حتى كانوا بتخوم البلقاء لقيهم جموع هرقل والعرب بقرية مَشَارِف، ثم دنا العدو، ، وانحاز المسلمون إلى قرية مؤتة، ثم التحم الجيشان، فاستشهد زيد، فأخذ الراية جعفر، فاقتحم على فرس له شقراء، ثم عقرها، ثم قاتل حتى أكرمه الله بالشهادة، وهو ينشد :

يا حبذا الجنة وُاقترابها طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرةً بعيدةً أنسابها
عليَّ إذ لاقيتها ضرابها [حق (٤/ ٢٦ ـ٣٠)، حسن].

وقد وجد في جسده بضع وتسعون جرحاً، مابين طعنة أو رمية. [بخ (٤٢٦١)].

وعندما قطعت يده اليمنى التي كان يمسك بها اللواء، أخذه بشماله، فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل، فأثابه الله بذلك جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء، كما قال النبي ﷺ. [الهيثمي : المجتمع، من حديث الطبراني بإسنادين أحدهما حسن ؛ بخ (٤٢٦٤)]. وقال ﷺ : «مر بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة وهو مخضب الجناحين بالدم أبيض الفؤاد». [حك (٣/ ٢١٢) صحيح]. وكان ابن عمر إذا سلم على ابن جعفر، قال : (السلام عليك يا ابن ذي الجناحين). [بخ (٣٧٠٩)، (٤٢٦٤)].

ثم أخذ الراية ابن رواحة رضي الله عنه وقاتل حتى استشهد، فأخذ الراية ثابت ابن أقرم إلى حين اصطلاحهم على ابن الوليد رضي الله عنه، الذي تمكن من الانسحاب بجيشه. [نفسه]. وكان قد انكسر يومئذ في يده تسعة أسياف، وما بقي في يده إلا صفيحة يمانية. [بخ (٤٢٦٥)، (٤٢٦٦)]، وهذا مما يدل على شدة القتال وبسالة المجاهدين.

وكان لشهداء مؤتة مكانة عظيمة عند الله تعالى ؛ لذا قال ﷺ : «مايسرني، أو قال : مايسرهم أنهم عندنا». [بخ (٣٠٦٣)].

وعذر الرسول ﷺ الذين انسحبوا من المعركة قبل قرار ابن الوليد

بالانسحاب، واعترفوا بذلك، وقال لهم المسلمون إنكم الفارون من الزحف، فقال لهم ﷺ: «لا بل أنتم العكارون، أنا فِئَتُكم، وأنا فِئَةُ المسلمين» وفي رواية: «لا، بل أنتم الكرارون». [حم (٥٣٨٤)، صحيح]. [فئة: الجماعة تكون وراء الجيش يلتجئ إليها الجيش إذا انهزم. والعكارون: العائدون إلى القتال].

وزار ﷺ أبناء جعفر رضي الله عنه اليتامى، فداعبهم، ودعا لهم، وقال لأمهم عندما ذكرت يتمهم: «العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟». [حم (١٧٥٠) - صحيح].

وزار أسرة زيد رضي الله عنه، وبكى. [حم: الفضائل (١٥٣٠) - حسن]. وقد وردت عدة روايات في المصادر تحدثت عن العواطف الإنسانية التي أبداها الرسول ﷺ تجاه أبناء الشهداء.

❑ المبحث السادس عشر: من أبرز الأحداث بين سرية مؤتة وغزوة فتح مكة: سرية ذات السلاسل: (في جمادى الثانية / ٨هـ) ❑

بلغ الرسول ﷺ أن قُضاعة بدإت تتجمع، تريد المدينة، فأرسل ﷺ إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه، فلما جاءه قال له ﷺ: «... إني أريد أن أبعثك على جيش سيسلمُك الله ويُغْنِمُكَ، وأرغبُ لك من المال رغبة صالحة»، فقال عمرو: (يارسول الله، ما أسلمت من أجل المال، ولكن أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ). فقال ﷺ: «ياعمرو، نعم المال الصالح للمرء الصالح». [حم (١٧٧٦٣)، صحيح، بخ: الأدب المفرد (١/ ١٥٥/ ح ٢٩٩، صحيح].

ثم بعثه في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار ليقضي عليهم في ديارهم، لأن أم عمرو كانت من بني قضاعة. وعندما وصل ماء السَّلسل بأرض جذام - وبه سميت السرية - بلغه كبر جمعهم، فأمده الرسول ﷺ بمائتي مجاهد عليهم ابن الجراح، وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. [طس (٢/ ١٣١)، حق (٤/ ٣٥٩)، عروة: المغازي، ص ٢٠٧؛ الواقدي (٢/ ٧٦٩)].

وثبت اشتراك أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في هذا الجيش. [حم (٦/ ٢٤)؛ بهق : الكبرى (٦/ ١٢٠)، والدلائل (٤/ ٤٠٤)، والإسناد قوي]. وتمكن جيش عمرو رضي الله عنه من تشتيت شمل العدو، ثم عاد. [طس (٢/ ١٣١)، الواقدي (٢/ ٧٦٩)].

وفي طريق العودة رفض عمرو رضي الله عنه لأصحابه إيقاد النار للتدفئة حتى مع وساطة أبي بكر رضي الله عنه، خشية أن يقف العدو على قلة عددهم، وقال لأبي بكر رضي الله عنه : (زَمَلُوك إليَّ، لا يوقد منهم ناراً إلا ألقيته فيها). [الآحاد والمثاني (٢/ ١٠٣)، صحيح]. ونهاهم عن تتبع العدو، مخافة أن يكون لهم كمين، فأعجب ﷺ بتدابيره العسكرية.[الآحاد والمثاني (٢/ ١٠٣)، صحيح؛ تاريخ دمشق (١٣/ ٢٥٤/ ب؛ ابن حبان كما في الفتح (١٦/ ١٩٥)].

❑ المبحث السابع عشر : غزوة فتح مكة : (١٩/ رمضان / ٨هـ) ❑

لم يمض على صلح الحديبية نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً، حتى نقضت قريش الصلح، حين أعانت بني بكر على خزاعة حليفة المسلمين بالكُرَاع والسلاح والرجال، فأغارت معهم عليهم ليلاً بمكان يدعى " الوتير ". فاستنجدت خزاعة بالمسلمين. وقدم عمرو بن سالم الخزاعي إلى المدينة. وأنشد شعراً أمام النبي ﷺ، لخص فيه غدر قريش وبني بكر، منه :

هم بيوتنا بالوتير هجداً ... وقتلونا ركعاً وسجداً
وزعموا أن لستُ أدعو أحداً ... وهم أذلُّ وأقل عدداً

[حق(٤/ ٣٠٩)، حسن].

فقال ﷺ : «نصرت يا عمرو بن سالم»، فما برح حتى مرت بهم سحابة، فقال ﷺ: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب». [نفسها].

وعندما خافت قريش من فعلتها أرسلت زعيمها أبا سفيان ليجدد العهد ويمد في المدة. ولما وصل المدينة سعى للحصول على شفاعة من يقنع الرسول ﷺ بطلبه، كان منهم أبو بكر وفاطمة بنت محمد وعلي وعمر رضي الله عنهم، فرفضوا جميعاً، وكان أشدهم عليه في الرد عمر رضي الله عنه، بدليل قوله له : (أأنا

أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ، فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به). [حق (٤٦/٤)، صحيح. والذر : صغار النمل].

وحين دخل على ابنته أم حبيبة طوت عنه فراش زوجها النبي ﷺ فقال لها : (يا بنية، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني ؟)، قالت : (بل هو فراش رسول الله ﷺ، وانت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ، فقال : (والله لقد أصابك يابنية بعدي شر). [حق (٥٥/٤)، حسن].

وأمر رسول الله ﷺ المسلمين بالتجهز، ولم يسم لهم الجهة التي يقصدها، ثم أعلمهم بعد ذلك أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتهيؤ، وقال ﷺ : «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها». فتجهز الناس، وقال حسان رضي الله عنه في ذلك شعراً يحرض الناس، ويذكر مصاب خزاعة. [حق (٥٦/٤)، حسن] واستنفر القبائل التي حول المدينة، فبلغ جيشه عشرة آلاف مجاهد. [بخ (٤٢٧٦) ؛ حق (٦٠/٤)، حسن].

ولما تهيأ ﷺ إلى الخروج، أرسل حاطب بن أبي بلتعة كتاباً مع امرأة إلى ناس بمكة مشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ. فأرسل ﷺ علياً والزبير والمقداد رضي الله عنهم في أثرها، قائلاً : «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها». وعندما أدركوها أنكرت الكتاب، فقالوا لها : (لتخرجن الكتاب أو لنلقين بالثياب)، فأخرجته من ضفائر شعرها. وعند استجواب حاطب، برر فعلته أنه يريد أن تكون له يد على من كاتبهم، عندما يدخل مكة، وأنه ليس له قرابة يحمونه، وأنه لم يفعل هذا ردة، فصدقه الرسول ﷺ، وقال لعمر رضي الله عنه عندما طلب قتله بحجة أنه ارتد : «إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً، وقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». فأنزل الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ...﴾ [المُمتحنَة : ١] [بخ (٤٢٧٤) ؛ م (٢٤٩٤)]. وفي رواية : فدمعت عينا عمر رضي الله عنه، وقال : الله ورسوله أعلم [بخ (٣٩٨٣)].

سار الجيش حتى وصل مَرَّ الظهران. وحينها أسلم أبو سفيان، وجُعل له ما يحقق رغبته في الفخر، ولذا كان قوله ﷺ في إعلان إبداء عدم الرغبة في الدماء: «... ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن ...» فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد. [بخ (٤٢٨٠)؛ حق (٤/ ٦٢ - ٦٧)، حسن].

واستثنى الرسول ﷺ من هذا الإعلان جماعة لجرائم ارتكبوها، فأمر بقتلهم ولو وجدوا متعلقين بأستار الكعبة، منهم عكرمة بن أبي جهل، وعبدالله بن خطل، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح. ومن أسباب هذا الاستثناء:

فابن خطل قتل مولى له، وارتد. [حق (٤/ ٧٤)]، وقتل مقيس صحابياً قتل أخاً له خطأً في غزوة المريسيع بعد أن دفعت ديته، وارتد [حق (٤/ ٧٥)]. وارتد ابن أبي سرح بعد أن كان كاتباً للوحي، وافترى على الله ورسوله. [طس (٢/ ١٤١)؛ حق (٤/ ٧٣)؛ م (٣/ ١٣٣)؛ ن (٧/ ١٠٥)]. وممن قتل منهم ابن خطل [بخ (٤٢٨٦)؛ م (١٣٥٧)]. وعفا عن الباقين. وذكرت المصادر آخرين أهدر ﷺ دماءهم، وقتل من قتل وعُفي عن من عُفي. [د. مهدي: السيرة (٢/ ١٣٠ -١٣٣)].

وعندما مرت كتيبة الأنصار بأبي سفيان، قال سعد بن عبادة - حامل راية الأنصار -: (اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة)، فاحتج أبو سفيان على هذا القول، وشكا إلى رسول الله ﷺ ماقاله سعد، فقال رسول الله ﷺ: " كذب سعد [أي أخطأ]، ولكن هذا يوم يُعَظِّمُ فيه الله الكعبة، ويوم تُكسى فيه الكعبة "، وأخذ الراية منه ودفعها إلى ابنه قيس. [ابن حجر: مختصر زوائد البزار، ص: ٢٤٨، وصححه هنا وفي الفتح (١٦/ ١٧٧)].

وأمر ﷺ بقتل من يعرض للجيش، وسار حتى انتهى إلى الصفا، ما يعرض لهم أحد إلا قتلوه. [م (١٧٨٠)]. واختار المكيون الخَنْدَمة - جبل بمكة - ليقاتلوا منها. [حق (٤/ ٦٩) - مرسلاً].

ودخل ﷺ مكة من أعلاها، من جهة كَدَاء، خاشعاً شاكراً لله، يقرأ

سورة الفتح، وَيُرَجِّعُ قراءتها وهو على راحلته، [بخ (٤٢٨١)]، ودخل خالد من أسفلها. [ابن حجر : الفتح (١٦/ ١٢٨)].

وأعلن ﷺ أماناً مشروطاً لأهل مكة، جاء فيه : «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن». [م (١٧٨٠)]، وفي رواية بزيادة : «ومن دخل المسجد فهو آمن». [حق (٤/ ٦٢) ؛ ابن راهويه : المطالب العالية (٤/ ٢٤٤)/ ح ٤٣٦٢)، صحيح)].

وعندما فهم بعض الأنصار من هذا الإعلان بأنه رغبة منه في بلده وعشيرته، أخبره الله وحياً، فقال : «كلا، إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم، والممات مماتكم»، فأقبلوا إليه يبكون، ويقولون : (والله ما قلنا الذي قلنا إلا الظن بالله وبرسوله)، فقال لهم ﷺ : «إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم». [م (١٧٨٠)].

وأحل ﷺ لخزاعة أن تثأر من بني بكر في اليوم الأول من الفتح، حتى العصر، وذلك لما كان منهم بـ " الوتير ". وبين حرمة مكة، وأنها لا تغزى بعد الفتح، وأنها أحلت له ساعة من نهار، ثم عادت حرمتها إلى يوم القيامة. [حم (٦٦٨١)، حسن ؛بخ (٤٢٩٥)، م (١٣٥٤)].

وأعلن العفو العام عن أهل مكة، عندما اجتمعوا إليه قرب الكعبة، ينتظرون حكمه فيهم، فقال لهم : «ما تظنون أني فاعل بكم ؟» قالوا (خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم)، فقال : «لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم». [أبو عبيد : الأموال، ص : ١٤٣، مرسلاً حسناً ؛ حق (٤/ ٧٧) ؛ طس (٢/ ١٤٧) ؛ ابن السني : عمل اليوم والليلة، ص : ٩٩، وأسانيدهم تعتضد فتتقوى]. وقال في رواية : «. . .اذهبوا فأنتم الطلقاء». [حق (٤/ ٧٨)]، ولذا عرفوا بـ " الطلقاء ".

ونزل ﷺ بقبة ضربت له بـ " الحَجُون "، في المكان الذي تعاقدت فيه قريش على مقاطعة بني هاشم والمسلمين، وهو " خَيْفُ " بني كنانة ويعرف بـ " المُحَصَّب ". [بخ (٤٢٨٢ - ١٥٨٩ - ١٥٩٠) ؛ م (١٣٥١)].

وأمر ﷺ بتطهير البيت الحرام بإزالة الأصنام التي بلغت ٣٦٠ صنماً. وشارك في تكسيرها طعناً بعود كان في يده، وهو يقرأ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١﴾ [الإسراء: ٨١].

﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝٤٩﴾ [سَبَإ: ٤٩]. [بخ (٤٢٨٧)؛ م (١٧٨١). وذكر البخاري آية سبأ فقط].

وعندما ظهرت الكعبة دخلها الرسول ﷺ وصلى بها ركعتين، ثم خرج فأعطى مفتاح الكعبة عثمان بن طلحة، وأبقى الحجابة في أيدي بني شيبة، كما كانت في الجاهلية. [عبد الرزاق (٣/ ٩٠٧٣ - ٩٠٧٤ - ٩٠٧٦)؛ ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٢٨) - تعتضد].

ثم استلم الحجر الأسود وطاف بالبيت من غير إحرام، وكان على رأسه "المغفر" يوم دخل مكة، ثم لبس عمامة سوداء [بخ (٤٢٨٦)، م (١٣٥٨)]. وكان يستلم الركن بمحجنه [كراهة أن يزاحم الناس في طوافهم، وتعليماً للأمة]. [بخ (١٦٠٢)، م (١٧٢)، وغيرهما].

وأمر بلالاً أن يؤذن من على ظهر الكعبة، فقال بعض بني سعيد بن العاص: (لقد أكرم الله سعيداً إذ قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة). [الذهبي: المغازي، ص: ٥٥٥ - حسن بشواهده؛ بهد (٥/ ٨٧) - صحيح؛ طس (٣/ ٢٣٤) - مرسلاً].

وأرسل ﷺ بعوثاً إلى مناطق مختلفة لإزالة الأصنام التي بها: العزى وسواع ومناة. [حق (٤/ ١١٢)، طس (٢/ ١٤٥ - ١٤٦)؛ الواقدي (٢/ ٨٧٣)].

واجتمع الناس لمبايعته على السمع والطاعة لله ولرسوله. وكانت بيعة الرجال مصافحة، والنساء بالإشارة، لأنه لايمس النساء غير المحارم. [بخ (٥٢٨٨)، م (١٨٦٦)]. ولم تكن بيعتهن على الجهاد، بل على مكارم الأخلاق عامة، وكان لهند بنت عتبة تعليقات على بعض شروط البيعة للنساء.

وبعث في أيام الفتح خالداً إلى بني جُذيمة - من كنانة - يدعوهم

للإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا، فقالوا صبأنا ؛ فأعمل فيهم خالد القتل والأسر. وقال ﷺ عندما بلغه الخبر : «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد» - مرتين. [بخ (٤٣٣٩)].

ومما جاء في أحداث هذا البعث : قصة فتى أسير طلب من أبي حدرد رضي الله عنه أن يسمح له بمخاطبة النساء الأسارى، اللائي فيهن معشوقته، التي خاطبها بشعر إنساني عاطفي قوي، وردت عليه بمثله. وعندما ضُربت عنقه، أكبت عليه تقبله حتى ماتت فوقه. ولما أخبر ﷺ بقصتها قال: «أما كان فيكم رجل رحيم؟» وودى قتلى جذيمة. [ذكر ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٧٥) أنها من رواية النسائي، بسند صحيح ؛ ابن حبان : موارد الظمآن، ص : ١٥٩، ٦٦٩٦، وعزاه إلى الطبراني في الكبير والأوسط، وإسناده حسن، كما قال المحقق : محمد حمزة : المجمع (٦/ ٢١٠)].

وكان من أبرز نتائج هذا الفتح، أن أخذت قبائل العرب وأفرادها يبادرون بإسلامهم، لأنهم كانوا ينتظرون نتيجة الصراع بين المسلمين وقريش، [بخ (٤٣٠٢)]. وقال تعالى في هذا : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النّصر: ١-٣].

وخطب ﷺ أثناء إقامته بمكة خطباً بين فيها أموراً وأحكاماً فقهية مختلفة. [انظر : د. مهدي : السيرة (٢/ ١٤٠ - ١٤١)].

وقد ذكر الدكتور مهدي [السيرة (٢/ ١٤١ - ١٤٦)] الأحكام والدروس والعظات والعبر المستنبطة من أحداث هذه الغزوة - في ٢٢ مسألة.

❑ المبحث الثامن عشر : غزوة حنين وغزوة الطائف ❑

(١) غزوة حنين :

أقام ﷺ بمكة بعد الفتح تسعة عشر يوماً. [بخ (٤٢٩٨ - ٤٢٩٩)]. حتى جاءت هوازن وثقيف، فنزلوا بوادي حنين، يريدون قتال الرسول ﷺ. وكانوا قد جمعوا قبل ذلك حين سمعوا بخروجه من المدينة، وهم يظنون أنه إنما

يريدهم، فلما أتاهم أنه قد أراد مكة، أخذوا في الاستعداد بحشد القوات لمواجهته وقبل أن يهاجمهم. [طبت (٣/ ٧٠) - مرسلاً، يتقوى برواية لابن إسحاق، حسنة، كما ذكر الذهبي في مغازيه، ص: ٥٧١]. وقد أرادوها معركة حاسمة، لذا حشدوا الأموال والنساء والأبناء حتى لايفر أحد ! قال ﷺ عن هذا الحشد مبتسماً : «تلك غنيمة المسلمين غداً - إن شاء الله تعالى». [د (٢٥٠١) - صحيح]. وممن جمعهم مالك بن عوف النصري : بني نصر - قومه - وبني جشم وبني سعد بن بكر، وجماعات متفرقة من بني هلال، وهم قليل، وناس من بني عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، وثقيف كلها في أحلافها، وبني مالك. [ابن إسحاق - حسن، كما ذكر الذهبي في مغازيه، ص : ٥٧١) ؛ حك (٣/ ٤٨) - صحيح]. وتخلف عنهم من هوازن : كعب، [الذهبي نفسه]، وكلاب، [ابن إسحاق - حسن، كما قال الذهبي في مغازيه، ص : (٥٧٣)]. وكان على رأس بني جشم : دُرَيْد ابن الصِّمَّة، الذي شاخ جداً، للتيمن برأيه لتجاربه الحربية، فأنكر على مالك النصري الخروج بالنساء والأطفال والأموال، وتأسف على غياب كعب وكلاب، قائلاً : (غاب الحَدُّ والجد، ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب . . .). [الذهبي : المغازي، ص : (٥٧٣)، من حديث ابن إسحاق بسند حسن].

وكان قائدهم العام مالك بن عوف النصري، الذي استنفر معه غطفان وغيرها. [بخ (٤٣٣٧) ؛ م (١٠٥٩)]. وبلغوا عشرين ألفاً. [الواقدي (٢/ ٨٩٣)].

خرج ﷺ من مكة لملاقاتهم، ومعه الطلقاء، [بخ (٤٣٣٣)] البالغ عددهم الألفين. [الذهبي : المغازي، ص : ٥٧٢ - حسن]، ليصبح عدد جيشه ﷺ اثني عشر ألفاً، ولهذا ساد شعور عند بعض الناس أنهم لن يغلبوا من قلة، وعبر أحدهم عن هذا الشعور جهرة، فشق ذلك على الرسول ﷺ، وعاتبهم القرآن الكريم، ولقنهم درساً بليغاً : ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التّوبَة: ٢٥].

بادرت هوازن إلى حنين، فأدخلوا جيشهم الوادي ليلاً، وفرقوا كمناءهم في الطرق والمداخل والشعاب والمضائق، ليرشقوا المسلمين بالسهام عند دخولهم الوادي المنحدر، ثم يشدوا عليهم شدة رجل واحد. [حق (٤/ ١٢١) - حسن].

وعندما دخل المسلمون وادي حنين، حملوا على هوازن، فانكشفت، فانكبوا على الغنائم، وبينما هم على هذا الحال استقبلتهم هوازن، وأمطرتهم بوابل من السهام [بخ (٤٣١٧)، م (١٧٧٦)]. وكانت مفاجأة لهم، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فولوا مدبرين - كما عبر عن هذا القرآن الكريم، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة: ٢٥] [بخ (٤٣١٥)، م (١٧٧٥ - ١٧٧٦)؛ حق (٤/ ١٢١) - حسن]، إلا القليل. [بخ (٢٩٣٠)، م (١٠٥٩)].

وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، وهو يقول: «أين الناس؟، هلموا إليَّ أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله». [حق ٤/ ١٢١) - حسن].

وأمر عمه العباس رضي الله عنه، وكان قوي الصوت، أن ينادي الناس بالثبات، وخص منهم أصحاب بيعة الرضوان، ثم الأنصار، ثم بني الحارث بن الخزرج، فأجابوه قائلين: لبيك لبيك. [م ١٧٧٥)؛ وغيره].

وكان للطلقاء الدور الكبير في هذه الانتكاسة. [طبت (٣/ ١٢٨) - حسن]، ولذا طلبت أم سليم رضي الله عنه من الرسول ﷺ أن تقتلهم بخنجرها بحجة انهزامهم عنه، فقال ﷺ: «يا أم سليم! إن الله قد كفى وأحسن» [م (١٠٨٩)].

وعندما سئلت عن سبب حملها للخنجر، قالت: (أبقر به بطن من يقرب الرسول ﷺ من المشركين)، فضحك ﷺ من قولها. [نفسه].

ودارت معركة رهيبة ضد هوازن. ونزل ﷺ عن بغلته وهو يدعو الله أن ينصرهم. وكان من دعائه: «إنك إن تشأ لا تعبد بعد اليوم». [حم (١٢٢٢٠)، صحيح]. وقال: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب». [بخ (٤٣١٥)؛ م (١٧٧٦)].

وثبت ﷺ في القتال والصحابة رضي الله عنهم يقاتلون معه، ويتقون به لشجاعته وثباته في مثل هذه المواقف العصيبة. [م (١٧٧٥) ؛ حق (٤/ ١٢٥)، حسن].

وعندما رأى الرسول ﷺ اشتداد المعركة، قال : «الآن حمي الوطيس». [م (١٧٧٥) ؛ حق (٤/ ١٣٥)، حسن].

ورمى قبضة من التراب في وجه الكفار، فولوا مدبرين، وهو يقول : «انهزموا ورب محمد»، وفي رواية : «انهزموا ورب الكعبة - مرتين». [م (١٧٧٥ - ١٧٧٧)].

ولم يثبت العدو طويلاً في هذه الجولة الثانية، ففروا، منهم ابن الصمة، مخلفين وراءهم كثيراً من القتلى والغنائم. وتعقبهم المسلمون إلى وادي أَوْطَاس بديار هوازن، ونخلة، لكسر شوكتهم حتى لا يجتمعوا مرة أخرى، وجالدوهم حتى استشهد قائد هذه السرية : أبو عامر الأشعري. [بخ (٤٣٢٣)، م (٢٤٩٨)].

وعصم الله تعالى نبيه ﷺ من محاولة اغتيال، أفشلتها الملائكة، قائلة : (شاهت الوجوه، فارجعوا)، فهزموا من هذا الكلام. [الذهبي : المغازي، ص : ٥٨٣، بسند جيد].

❑ المبحث التاسع عشر : غزوة الطائف ❑

بعد القضاء على فلول الهاربين من هوازن في أوطاس ونخلة، توجهوا للقضاء على " ثقيف " التي فرت لتتحصن بحصون مدينتهم الطائف. [حق (٤/ ١٧٠) ؛ طس (٢/ ١٥٨)]. فحاصروهم حتى استشهد اثنى عشر مسلماً، وجرح عدد منهم. [حق (٤/ ١٧٥)، طس (٢/ ١٥٨)].

وأعلن تحرير أي عبد ينزل لهم من الحصن، فنزل ثلاثة وعشرون، منهم أبو بَكْرَة - نُفَيْع بن مسروح الثقفي، فأسلموا، فأعتقوا، ورفض ﷺ إعادتهم لسادتهم. [بخ (٤٣٢٦)].

ثقل على المسلمين أمر رسول الله ﷺ بفك الحصار، وعندما كثرت فيهم الجراحات، دعاهم ﷺ لفكه مرة أخرى، فأعجبهم ذلك، فتبسم ﷺ، فارتحلوا. [بخ (٤٣٢٥)، م (١٧٧٨)]، والرسول ﷺ يطمع في هدايتهم، ويرفض طلب بعض المسلمين للدعاء عليهم، ولكنه يقول: «اللهم اهد ثقيفاً». [تر (٣٩٣٧) - حسن؛ طس (٢/ ١٥٩)؛ حق (٤/ ١٨٣)].

واستأنى ﷺ في تقسيم غنائم حنين بضع عشرة ليلة بالجعرانة، آملاً في مجيء هوازن مسلمين. [بخ (٤٣١٨)، (٤٣١٩)]، ثم وزعها بعد ذلك على المهاجرين والطلقاء ولم يعط الأنصار شيئاً، فغضبوا، فبلغه ﷺ قول شبابهم: (إذا كانت الشدة نُدعى، وتعطى الغنائم لغيرنا؟)، أو: (يغفر الله لرسول الله، يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم!). [بخ (٣١٤٧)، م (١٠٥٩)]. فجمعهم وقال لهم: «أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى بيوتكم؟»، قالوا: (بلى يا رسول الله رضينا)، فقال ﷺ: «لو سلك الناس وادياً، وسلكت الأنصار شعباً، لأخذت شعب الأنصار». [بخ (٤٣٣١ - ٤٣٣٤)، م (١٠٥٩)؛ حق (٤/ ٢٠٠)، حسن]، وقال في رواية: «ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟ الأنصار شِعَار والناس دِثَار، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ...». [م (١٠٦١)] - والشعار [الثوب الذي يلي الجسد، والدثار: ثوب فوقه - يعني أنهم الخاصة والبطانة والأصفياء وألصق الناس به من سائرهم].

وقال: «إني أعطي قوماً أخاف ظلعهم وجزعهم، وأكل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغناء، منهم عمرو بن تَغْلِب»، فقال ابن تغلب: (ما أحب لي بكلمة رسول الله ﷺ حُمُرُ النَّعَم) [بخ (٣١٤٥)]. وفي رواية: «إن قريشاً حديثو عهد بجاهلية ومصيبة، وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم». [بخ (٤٣٣٤)، م (١٠٥٩)].

وقال ﷺ: «أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم لُعَاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟، ... اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار». [حق (٤/ ١٩٩) - حسن]. وروى هذا الدعاء البخاري ومسلم وغيرهما. [بخ: الفتح (١٢/ ٢٦١)، م (٢٥٠٦)؛ أحمد: الرباني (٢٢/ ١٧٣)]. وقال: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليَّ منه، خشية أن يكب في النار على وجهه». [م (١٠٥٠)].

وعندما عرف الأنصار حكمة هذا التوزيع بكوا حتى ابتلت لحاهم بدموعهم، وقالوا: (رضينا برسول الله قَسْمَاً وحظاً). [م(١٠٥٩)، حق (٤/ ٢٠٠)، حسن؛ بخ (٤٣٣١)].

وعبر صفوان بن أمية - أحد الطلقاء - عن التحول الذي حدث له نتيجة لسخاء الرسول ﷺ معه، فقال: (والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وأنه لأبغضُ الناس إليَّ، ومابرح يعطيني حتى أنه لأحب الناس إليَّ). [بخ (٢٣١٣)].

وممن أعطوا مائة من الإبل - من الطلقاء الزعماء: عُيَيْنَة بن حِصْن الغطفاني، والأقرع بن حابس التميمي وعَلْقَمَة بن عُلاثة. أوصلهم بعضهم الاثني عشر رجلاً. [بخ (٤٣٣٥)، م (١٠٦٠)؛ حق (٤/ ١٩٠ - ١٩٤)].

واتهم أحد جفاة الأعراب النبي ﷺ بعدم العدل في قسمة الغنائم، فقال له ﷺ: «ويلك! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل». وأراد عمر رضي الله عنه قتله، فقال ﷺ «معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي ...». [مسلم (١٠٦٣)].

وازدحم أمثال هؤلاء عليه ﷺ وهو يقسم الغنائم، حتى علق رداؤه بغصن شجرة، فقال: «أعطوني ردائي، فلو كان عدد هذه العضاه - شجر الشوك - نعماً لقسمته بينكم، ثم لاتجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً». [بخ (٣١٤٨)].

وجذبه أحدهم قائلاً : (مر لي من مال الله الذي عندك)، فالتفت إليه ﷺ، وضحك، ثم أمر له بعطاء. [نفسه].

واستنبطت عدة أحكام وعبر من هاتين الغزوتين، ذكرنا أهمهما في كتابنا : السيرة النبوية [(٢/ ١٧٥ - ١٧٨)].

وكانت قصة الشاب أبي محذورة مع الأذان في طريق العودة من حنين. فقد أخذ يحاكي صوت أذان المسلمين بسخرية، ومعه شباب آخرون فعلوا مثله، فسمعهم ﷺ، فأعجب بصوت أبي محذورة، الذي كان من أبغضهم لرسول الله ﷺ، وأنتهى به الأمر ليكون النبي ﷺ من أحب الناس إليه، لحسن معاملته له، وطلبه أن يؤذن بين يديه، فأثنى عليه، مما شجعه على طلب أن يكون مؤذن مكة، فاستجيب لطلبه رضي الله عنه. [حم (١٥٣٧٦) - ١٥٣٨٠)، صحيح بطرقه].

قدم وفد هوازن يعلن إسلامه، بعد قسمة الغنائم، وطلب من الرسول ﷺ رد الأموال والسبي إليهم، فخيرهم بين السبي والمال، فاختاروا السبي. [حق (٤/ ١٨٥)، حسن].



❏ المبحث العشرون : غزوة تبوك (العسرة) : (رجب/ ٩هـ) ❏

أصل التسمية :

ثبت أصل التسمية : " العسرة " بالآية الكريمة ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧]، وكان الإعسار فيها بسبب ماوقع للمسلمين من نقص في الزاد في السفر، حتى مصوا النوى وشربوا عليه الماء. [م (١٧)]، واستأذنوا الرسول ﷺ في نحر مطاياهم ليأكلوا لحمها ويشربوا ماء فرثها. [م (٢٠٧)]، ولأن منهم من لم يجد مايركب عليه، [بخ (٢٤٤١٥)]، لم يأذن لهم ﷺ في هذا. [البداية (٥/ ٣)، والتفسير (٥/ ٩٥)].

أسبابها :

قيلت عدة أقوال في أسبابها، منها : قول ابن كثير : [البداية (٥/ ٣)، والتفسير (٥/ ٩٥)]، إن الرسول ﷺ عزم على قتال الروم، لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق، مستنداً إلى قوله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة: ١٢٣].

وروي أن هرقل جمع جموعاً من الروم والعرب النصارى لحرب المسلمين، فعلم بهم الرسول ﷺ فخرج إليهم لكف شرهم. [الواقدي (٣/ ٩٨٩) ؛ طس(٢/ ١٦٥)].

وروي أنه خرج لأخذ الثأر لجعفر بن أبي طالب. [اليعقوبي : التاريخ (٢/ ٦٧)].

وروي أن اليهود قالوا : (إن كنت نبياً مرسلاً فالحق بالشام، فإنها أرض المحشر والأنبياء)، ليعرضوه للخطر في مواجهة الروم. وعندما وصل تبوك نزلت عليه الآيتان في قوله عز وجل : ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ [الإسراء: ٧٦]، تفضح نواياهم، وأمره الله تعالى بالرجوع. [ابن عساكر : تاريخ دمشق (١/ ١٦٧)، بسند ضعيف كغيره].

❏ الإنفاق في هذه الغزوة ❏

لقد حث الرسول ﷺ الصحابة على الإنفاق في هذه الغزوة، لبعدها وخطورتها، وقال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة». [بخ (٢٧٧٨)]. وكان عثمان رضي الله عنه أكثر المنفقين، حتى أن النبي ﷺ قال له وهو يقلب الألف دينار التي نثرها في حجر النبي ﷺ: «ماضر عثمان مافعل بعد اليوم». [تر (٢٩٢٠ - ٣٩٦٧)، وحسنه الألباني؛ الحاكم (٣/ ١٠٢)، صحيح]. وقيل إنه تصدق بثلاثمائة بعير بأحلاسها [أي لبدها] وأقتابها [رحالها]. [حك (٣/ ١٠٢)، صحيح].

وتصدق عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بألفي دينار، كانت نصف ماله. فقال له ﷺ: «بارك الله لك فيما أعطيت، وبارك الله لك فيما أمسكت». [طبق (١٤/ ٣٨٢ - ٣٩١) بأسانيد تعتضد]. وفي رواية أنه تصدق بأربعة آلف دينار، وهي أيضاً نصف ماله. [طبق (١٠/ ١٩٤ - ١٩٨)، تعتضد].

وتصدق عمر رضي الله عنه بمائة أوقية. [ابن عساكر: تاريخ دمشق (١/ ٤٠٨ - ٤٠٩)]. وتصدق آخرون؛ وتصدقت النساء بكل ما قدرن عليه من الأسورة والخلاخل والختم والأقراط. [قد(٣/ ٩٩١ - ٩٩٣)].

ولمز المنافقون المطوعين بالقليل من الفقراء. فعندما جاء أبو عقيل بنصف صاع من تمر، وجاء آخر بأكثر منه، قالوا: (إن الله لغني عن صدقة هذا!! وما فعل هذا الآخر إلا رياء)، فنزلت الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ [التوبة: ٧٩]. [بخ (٤٦٦٨)]. وفي رواية أنهم لمزوا أبا خيثمة الأنصاري عندما جاء بصاع من تمر، فقالوا: (أولم يكن الله غنياً عن صاع هذا؟). [طبق (١٧٠١٠) - حسن لغيره].

ولمزوا المكثرين، مثل: ابن عوف، قائلين: (ما أعطى ابن عوف هذا إلا رياء). [نفسه].

وعندما لم يجد علبة بن زيد رضي الله عنه ما يتصدق به، قال: (اللهم إنه ليس

لي ما أتصدق به، اللهم إني أتصدق بعرضي على من ناله من خلقك). وفي اليوم التالي أمر ﷺ منادياً ليقول: «أين المتصدق بعرضه البارحة»، فقام علبة، فقال ﷺ: «قد تقبلت صدقتك». [حص (٢/ ٥٠٠)، صحيح].

وفي رواية أنه خرج من الليل فصلى وبكى، وقال: (اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه، وما عندي ما أتقوى به مع رسولك، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها في جسد أو عرض). [نفسه]. وفي لفظ: (... ولكني أتصدق بعرضي على من آذاني أو شتمني أو لمزني، فهو حل له). [نفسه].

وبكى الأشعريون عندما لم يجدوا ما يركبونه، وعندما جاء الرسول ﷺ ما أرادوا، منحهم ركائب. [بخ (٤٤١٥ - ٤٣٨٥)]. ونزل فيمن بكى لعجزه لمرض أو عن جهاز الحرب، قوله تعالى على أصح الأقوال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة: ٩١-٩٢] [طبت (١٤/ ٤١٩ - ٤٢٣)].

وهم الذين عناهم ﷺ عندما قال: «إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم»، فقال الصحابة رضي الله عنهم: (يا رسول الله، وهم بالمدينة؟!)، قال ﷺ: «وهم بالمدينة، حبسهم العذر». [بخ (٤٤٣٣)].

❑ موقف المنافقين من غزوة تبوك ❑

أخذوا في تثبيت همم الناس، قائلين لهم: (لا تنفروا في الحر)، فقال تعالى بعد أن حكى مقالتهم: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة: ٨١] [حق (٤/ ٢١٧)، السيوطي: الدر (٣/ ٣٦٥)، القرطبي: التفسير (٨/ ٢١٦)؛ الشوكاني: فتح القدير (٢/ ٣١٧)؛ الطبري: التفسير (١٤/ ٣٩٦ - ٤٠٠)، فيها طرق صحيحة].

واعتذروا عن الخروج بأعذار كاذبة، فأذن لهم، فعاتبه الله تعالى: ﴿عَفَا

ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التّوبَة: ٤٣]. [طبت (١٤/ ٢٧٣) من مرسل مجاهد بسند صحيح].

ووصلت بهم الجرأة على بناء مسجد، عرف بمسجد الضرار، زعموا أنه لمنفعة الضعفاء، الذين لايقدرون على الصلاة في مسجد النبي ﷺ، وطلبوا أن يصلي فيه ليدشنه، ففضحهم الله تعالى بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التّوبَة: ١٠٧-١٠٨]، فأمتنع عن الصلاة فيه، وأحرقه بعد عودته من تبوك. [طبت (١٧٨٧)، بسند صحيح].

وخرج بعضهم معه إلى تبوك للتخذيل، ومن ذلك قول أحدهم، وهم في مجلس تبوك: (مارأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء)، فقال له رجل في المجلس: (كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ). فبلغ ذلك النبي ﷺ، فاعتذر الرجل بأنه كان يلعب فقط، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التّوبَة: ٦٥]. [طبق(١٤/ ٣٣)، رقم (١٦٩١٢)، بسند صحيح]. قال ابن عمر رضي الله عنه: (فأنا رأيته متعلقاً بَحقَبِ [- الحبل الذي يشد به الرحل على بطن البعير -] ناقة رسول الله ﷺ تَنْكُبُهُ [- تصيبه -] الحجارة، وهو يقول: (يارسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: «أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون، لا تعتذروا اليوم قد كفرتم بعد إيمانكم» [نفسه].

وحاول جماعة منهم ملثمين أن يطرحوا رسول الله ﷺ عن راحلته من رأس عقبة بالطريق، في عَتَمة من اليل، فشعر بمؤامرتهم، فأمر بإبعادهم عنه. [بهد (٥/ ٢٦٠ - ٢٦١)؛ أحمد (٢٣٣٢١)، بسند قوي، يشهد لرواية بهد؛ مسلم (٢٧٧٩/ ١١)].

❑ موقف المؤمنين من الخروج إلى تبوك ❑

تخلف عن هذه الغزوة كثير من الأعراب وعدد قليل من الصحابة من أهل الأعذار، وثلاثة منهم لم يكن لهم عذر، هم: كعب بن مالك ومُرَارة ابن الربيع العَمْرِي وهِلال بن أمية الواقفي. فقد غلبهم التسويف والميل إلى الراحة في الصيف الغائظ. وروى كعب رضي الله عنه قصته في هذ التخلف. [بخ (٤٤١٨)، م (٢٧٦٩)]، جاء فيها كلامه عن ندمه، ووجود نفسه وسط متخلفين من المنافقين، عدا مرارة وهلال، ومقاطعة الرسول ﷺ وأصحابه لثلاثتهم إثر عودته من تبوك، ولمدة خمسين ليلة، حتى الزوجات، وخبر الرسالة التي وصلت إلى كعب من ملك غسان، يقول فيها: (فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله في دار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك)؛ وقوله عندما قرأها: «وهذا أيضاً من البلاء»، فأحرقها، إلى أن نزل قبول توبتهم: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧] إلى قوله ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩] .. وفيها قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨] - أي أرجئت توبتهم.

وفي الرواية أن عدد الذين تخلفوا بضعة وثمانين رجلاً. [بخ (٤٤١٨)، م (٢٧٦٩)].

كان عدد المسلمين في هذه الغزوة على الراجح المشهور ثلاثين ألفاً [حف (١٦/ ٢٤٢)، من حديث ابن إسحاق].

❑ المسلمون في تبوك ❑

وبعث ﷺ وهو على أرض تبوك، خالداً إلى أُكَيْدِر دُومَة الجندل، فأخذه، فأتى به النبي ﷺ، فحقن دمه وصالحه على الجزية.[حق (٤/ ٢٣٢) - حسن؛ حص (١/ ٤١٣)].

وجاءته ﷺ - بتبوك - هدية ملك " أَيْلَة "، وهي بغلة بيضاء، وكساه بردًا، وصالحه على الجزية. [بخ (٣١٦١) وقال ابن حجر في شرح هذا الحديث إن فاعل كسا هو النبي

ﷺ]. واسم هذا الملك " يُحَنَّة بن رؤبة " . [حق (٤/ ٢٣٠) ؛ الواقدي (٣/ ١٠٣١)].

لم يقع قتال مع الروم في هذه الغزوة، بل انتهى المسلمون إلى تبوك، ولم يلقوا جموع الروم والقبائل العربية المتنصرة، وآثر حكام المدن الصلح على الجزية، فرجع ﷺ إلى المدينة بعد أن أقام بتبوك عشرين ليلة. [ابن حبان : الموارد، ص : ١٤٥، صحيح].

❑ الرجوع إلى المدينة ❑

نهى الرسول ﷺ عن دخول الحجر من ديار ثمود، الذين غضب الله عليهم لذبحهم ناقة صالح، قائلاً : «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين»، ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي. [بخ (٣٣٧٨)، م (٢٩٨١)].

وأمر بطرح العجين الذي عجنوه بماء آبار ثمود للأبل، ويهريقوا ذلك الماء، وأن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة [بخ (٣٣٧٨ - ٣٣٧٩)، م (٢٩٨١)].

وتلقاه الصبيان عند ثنية الوداع. [بخ (٤٤٢٦ - ٤٤٢٧)]، ومعهم النساء والولائد يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

وكان أول مافعله الرسول ﷺ عند دخول المدينة الصلاة في مسجده ركعتين، ثم جلس للناس، فجاء المنافقون والمتخلفون فاعتذروا بشتى الأعذار، فقبل منهم علانيتهم ووكل سرائرهم إلى الله. [بخ (٤٤١٨)، م (٢٧٦٩)]. وجاء الثلاثة الذين خلفوا وكان من خبرهم ما سبق ذكره.

أما الدروس والعبر الأخرى من هذه الغزوة فيمكن الرجوع إليها عند [د. مهدي : السيرة (٢/ ٢١٨ - ٢٢٤)].

❏ المبحث الحادي والعشرون: عام الوفود ❏

عندما افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وهوازن وبايعت، قدمت إليه ﷺ وفود العرب من كل وجه، حتى أن سنة تسع سميت سنة الوفود.

وقد ذكر البخاري وابن إسحاق والواقدي وابن سعد والبيهقي وغيرهم وفوداً تقدم تاريخ قدومهم على سنة تسع، بل وعلى فتح مكة والهجرة.

وبلغ مجموع ماذكره هؤلاء الأئمة قرابة المائة، سردهم الشامي في سيرته، فزادوا عنده على المائة. وسنشير إلى أسماء بعض الوفود التي قدمت على رسول الله ﷺ وثابتة بروايات صحيحة أو مقبولة. وتفاصيلهم في سيرتنا [(٢/ ٢٢٦ - ٢٥٠)].

(١) **وفد مزينة**: قدموا على رسول الله في رجب سنة خمس. [طس (١/ ٢٩١)]. كانوا أربعمائة. جاء خبرهم في مسند الإمام أحمد - يرحمه الله [برقم (٢٣٧٤٦) - صحيح لغيره] وفيه معجزة تكثير التمر، الذي زودهم به ﷺ.

(٢) **وفد بني تميم**: كان قدومهم المدينة في أول السنة التاسعة [الديار بكري: تاريخ الخميس (٢/ ١١٨ - ١١٩)]. حكى القرآن عن بعض تصرفاتهم المجافية لآداب الاستئذان والمخاطبة حين آذوا الرسول ﷺ بصياحهم من وراء حجراته، طالبين منه الخروج إليهم ليفاخروه، ولم يستأذنوا عليه. [بخ (٤٣٦٥)]

(٣) **وفد عبد القيس**: فيه خبر أشج عبد القيس، وثناء الرسول ﷺ على حلمه وأناته، قائلاً: (إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة). [بخ (٤٣٦٨ - ٤٣٦٩)، م (١٨ - ١٨) واللفظ له].

(٤) **وفد بني حنيفة**: كان منهم مسيلمة الكذاب، الذي قال: (إن جعل لي الأمر محمد من بعده لتبعته)، فقال له ﷺ: «لو سألتني هذه القطعة - قطعة جريد كانت بيده ﷺ - ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك،

ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت في ما رأيت، وهذا ثابت بن قيس [الشاعر] يجيبك عني»، ثم انصرف عنه. [بخ (٤٣٧٣ - ٤٣٧٤ - ٤٣٧٥)].

قال أبو هريرة رضي الله عنه في تفسير هذه الرؤيا، إن الرسول ﷺ قال: "بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما، فأوحي إليَّ في المنام، أن أنفخهما فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان بعدي، أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة. [نفسه].

(٥) **وفد نجران**: على رأسه العاقب والسيد صاحبا نجران، وأرادا أن يلاعنا الرسول ﷺ - أي يباهلانه -، فقال أحدهما لصاحبه: (لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لانفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا). وقالا: (إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً)، فقال: «لأبعثن رجلاً أميناً حق أمين»، فكان اختيار أبي عبيدة رضي الله عنه، قائلاً: «هذا أمين هذه الأمة». [بخ (٤٣٨٠ - ٤٣٨١)، م (٢٤٢٠)].

(٦) **وافد بني عامر**: كان من خبره أن عامر بن الطفيل قال للرسول ﷺ: (أخيرك بين خصال ثلاث: يكون لك أهل السهل وليَّ أهل المَدَر، أو أكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بغطفان، بألف أشقر وألف شقراء). فطعن [أي أصابه الطاعون] في بيت امرأة، فقال: «أغدةٌ كغدة البعير، في بيت امرأة من آل بني فلان، ائتوني بفرسي»، فركب فمات على فرسه. [بخ (٤٠٩١)].

(٧) **وافد بني سعد بن بكر**: بعث بنو سعد ضِمَام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ.

فجاء وسأل عن أركان الإسلام، وأسلم وعاد ليخبر قومه فأسلموا، فقال ﷺ: «فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة». [حق (٤/ ٢٩١) - حسن].

(٨) **وافد دوس - الطفيل بن عمرو** رضي الله عنه :

قدم على رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة. كان شاعراً شريفاً لبيباً. أرادت قريش صرفه عن الاستماع من محمد ﷺ، وحاولوا إقناعه بشتى الحجج حتى أجمع ألا يسمع من الرسول ﷺ، فحشا أذنيه قطناً، ثم أتى إلى المسجد، وأقام قريباً من الرسول ﷺ وأبى الله إلا أن يسمع منه بعض قوله، فسمع كلاماً حسناً، ثم قال في نفسه إنه مادام رجلاً لبيباً شاعراً ما يخفى عليه الحسن من القبيح، فلماذا لا يسمع من الرسول ﷺ. فمكث حتى انصرف الرسول ﷺ إلى بيته، فجاءه، فسمع منه، فأعجبه، فأسلم، ورجع إلى قومه، فأسلم أبوه وأمه، وأبطأت عليه دوس، فطلب من الرسول ﷺ الدعاء عليهم، ولكنه ﷺ قال : «اللهم اهد دوساً، ارجع إلي قومك فادعهم وارفق بهم»، ففعل، فأسلموا وجاء بهم والرسول ﷺ بخيبر. [حق (٢/ ٢٥ - ٢٩) ؛ ند (١/ ٢٣٨) وحسنه المحققان، وأصل الحديث عند : بخ (٤٣٩٢)، م (٢٥٢٤)].

(٩) **قدوم وافد ملوك حمير بكتابهم :**

فيه إعلان إسلامهم، وهم : الحارث بن كُلال ونُعيم بن عبد كلال، والنعمان - صاحب ذي رُعين ومعافر وهَمْذان، وغيرهم. [عبد الرزاق (٤/ ١٣٦) ؛ بهس (مختصراً صحيحاً ؛ حق (٤/ ٣١١ - ٣١٣)، طس (١/ ٢٥٦)].

(١٠) **وفد ثقيف** : بقيادة عبد ياليل بن عمرو. وطلبوا تأخير هدم صنمهم اللات، فأبى، وأبى عليهم ﷺ ترك الصلاة، قائلاً : «لا خير في دين لا صلاة فيه». [حق (٤/ ٢٤٩)]. ووافقهم على الإعفاء من الزكاة والجهاد، فوافق، وهو يقول ﷺ : «سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا». [د (٢/ ١٤٦) - حسن].

ورفض إعفاءهم من الوضوء والانتباذ في القرع ورد مولاهم أبي بكرة، وقال ﷺ : «هو طليق الله وطليق رسوله». [حم (١٧٥٣٠) - صحيح].

(١١) **وفد بني أسد** : كانوا عشرة، منهم ضرار بن الأزور وطلحة بن خويلد

الأسدي. وقال رئيسهم - حضرمي بن عامر - : (يا رسول الله ! أتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شَهْبَاء [- أي ذات قحط -] ولم تبعث إلينا بعثاً)، فنزل قوله تعالى : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧] [طس (١/ ٢٩٢)].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (جاءت بنو أسد إلى رسول الله ﷺ) فقالوا : (يا رسول الله، أسلمنا وقاتلنا العرب، ولم نقاتلك)، فقال رسول الله ﷺ : «إن فقههم قليل، وإن الشيطان ينطلق على ألسنتهم»، ونزلت هذه الآية :﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ [الحُجرَات: ١٧] [كتف (٧/ ٣٦٩)، صحيح، يشهد لسابقه].

ومن الدروس المستفاد من أخبار هذه الوفود :

(١) مدى انتشار الإسلام في الجزيرة العربية في حياته ﷺ، وتوحيد الجزيرة العربية تحت راية الإسلام ودولة المدينة.

(٢) دلت على وفاء الله تعالى بوعده النصر الذي وعد نبيه ﷺ.

❏ المبحث الثاني والعشرون : الأحداث التي وقعت ما بين غزوة تبوك والوفاة ❏

(١) حجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

أَمَّرَ الرسول ﷺ أبا بكر رضي الله عنه على الحج في العام التاسع الهجري. فخرج في ذي الحجة إلى مكة. [بخ (٤٣٦٣) ؛ م (١٣٧٤)] ومعهم عشرون بدنة، ومع أبي بكر خمس بدنات. [طس (٢/ ١٦٨)].

وعندما قادر الحجاج المدينة نزل صدر سورة براءة، فبعث ﷺ علياً بها ليبلغها يوم النحر بمنى، قائلاً : «لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي». [حق (٤/ ٢٥٦) - مرسلاً حسناً].

قال هذا لأن العرب تعارفوا فيما بينهم في عقد العهود ونقضها أن لا

يتولى ذلك إلا سيدهم أو رجل من رهطه [البغوي : التفسير (٣/ ٤٩)، بحاشية تفسير المخازن، ونقله عنه الساعاتي (٢١/ ٢١٢)]. فأعلن في الناس أمر رسول الله ﷺ : «أن لايدخل الجنة إلا مؤمن، ولا يطوف بالبيت عريان،ومن كان بينه وبين الرسول ﷺ عهد فإن أجله أو أمده إلى أربعة أشهر . . . ولا يحج البيت بعد العام مشرك» [بخ (٤٣٦٣) ؛ م (١٣٤٧)].

(٢) بعث أبو موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن، كل منهما على جهة، وأوصاهما، قائلاً : «يسرا ولا تعسرا، بشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا» [بخ (٤٣٥٣ - ٤٣٥٤)، م (١٧٣٣)]

(٣) بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن، ثم بعث علياً رضي الله عنه بعد ذلك مكان خالد.ومكث علي ومن معه باليمن إلى أن قدم حاجاً، فوافى النبي ﷺ في حجة الوداع. [بخ (٤٣٥٤ - ٤٦٥٥) م (١٢١٨)].

(٤) سرية جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الخَلَصة، قائلاً : " ألا تريحني من ذي الخَلَصَة [بيت في الجاهلية لخثعم وبجيلة].ففعل [بخ (٤٣٥٥) - (٤٦٥٧) ؛ م (٢٤٧٦)].

(٥) حجة الوداع : التي عرفت بحجة البلاغ، وحجة الإسلام. وعرفت بحجة الوداع، لأن النبي ﷺ ودع فيها الناس، ولم يحج بعدها. وقد لخص الألباني [في كتابه " حجة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ص ٩٤ - ١٠٠] فقه حجة الوداع في إثنين وسبعين مسألة.

(٦) بعد رجوعه ﷺ من حجة الوداع، في أواخر ذي الحجة من العام العاشر الهجري، وفي أواخر صفر من العام الحادي عشر الهجري، ندب الناس لغزو الروم بالبلقاء وفلسطين. وعين أسامة بن زيد أميراً على الجيش، وفيه كبار الصحابة، فطعن بعض الناس في إمارته لكونه صغير السن، إذ كان ابن ثمان عشرة سنة. [بخ (٤٤٦٩)].

وقد مرض النبي ﷺ بعد البدء بتجهيز هذا الجيش بيومين، ولذا لم

يتحرك هذا الجيش، وظل معسكراً بالجرف، ورجع إلى المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ، ثم أنفذه أبو بكر عندما استُخْلِف، وكانت عدة هذا الجيش ثلاثة آلاف مقاتل [حق (٤/ ٣٩٦) - مرسلاً حسناً ؛ حف (١٦/ ٢٨٧) ؛ الواقدي (٣/ - ١١٢٢)، وانفرد بذكر العدد].

❑ المبحث الثالث والعشرون: المرض والوفاة ❑

مرض رسول الله ﷺ بعد عودته من حجة الوداع، أواخر صفر، أو في الأول من ربيع الأول، من العام الحادي عشر الهجري. [حق (٤/ ٣٨٥) - معلقاً].

وطلب يومئذ من مولاه أبي مويهبة أن يصحبه في جوف الليل إلى البقيع، لأنه أمر بالاستغفار لأهل البقيع. وقال لأبي مويهبة بعد السلام عليهم والدعاء : «يا أبا مويهبة : إني قد أوتيت مفاتح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة»، فقال أبو مويهبة : (بأبي أنت وأمي، خذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة)، فقال : «لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة»، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف. [حق (٤/ ٣٨٥) - حسن].

وعندما اشتد به المرض، استاذن نساءه في أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها. واستغرق مرضه عشرة أيام. [بهد (٧/ ٢٣٤) - صحيح]. ثم توفاه الله يوم الاثنين، الثاني عشر من ربيع الأول. [حق (١٦/ ٢٦١) - قول الجمهور] وقد تم له من العمر ثلاثة وستون عاماً. [بخ (٤٤٦٦)].

وكان من وصاياه في هذا المرض الأخير :

١/ «لا تتخذوا قبري وثناً يعبد» [مالك : الموطأ، ص : ٣٦٥].

٢/ قال في حق الأنصار : «. . . فأقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم» [بخ (٣٧٩٩-٣٨٠١)؛ م (٢٥١٠)].

٣/ «مروا أبا بكر فليصل بالناس» [حفض (٥٤٢) - صحيح ؛ م (٩٥)، بخ (٦٨٣)].

٤/ «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر». [حفض (٦٧٠) - صحيح].

ولذا قال علي رضي الله عنه عندما سئل عن خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «الذي لا نشك فيه والحمد لله: أبو بكر بن أبي قحافة ...». [حفض (٥٣٣) - حسن] وقال من دون أن يسأل: «ألا أخبركم بخير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟: أبو بكر، ثم بعده عمر» [حفض (٥٤٩) - حسن]. وقال الكلام نفسه ابنه محمد بن الحنفية. [بخ (٣٦٧١)].

٥/ «الصلاة وما ملكت أيمانكم». [حم (١٢١٦٩) - صحيح].

٦/ «أحسنوا الظن بالله». [الذهبي: السيرة، ص: ٥٥٧، صحيح].

وعندما مات، غسلوه في ثيابه ثم كفنوه، وحفروا له قبراً في حجرة عائشة رضي الله عنها؛ وصلى عليه الناس أفراداً، يدخلون من باب فيصلون عليه، ثم يخرجون من الباب الآخر، لا يؤمهم أحد. [انظر: بخ (١٢٦٤)، م (٩٤١)؛ حق (٤/٤١٦) - حسن؛ أحمد: الرباني (٢١/٣٥٣ - ٣٥٤)]. ودفن صلى الله عليه وسلم ليلة الأربعاء. [حق (٤/٤١٨) - حسن].

إنا لله وإنا إليه راجعون.

- **ولا يملك المرء المسلم إلا أن يبكي مع حسان، وهو ينشد :-**

فَبْكِي رسول الله ياعينُ عبرةً ... ولا أعْرِفَنْكِ الدهر دمعك يَجْمُدُ
ومالك لا تبكين ذا النعمة التي ... على الناس منها سابغ يتغمد
فجودي عليه بالدموع وأعولي ... لفقد الذي لا مِثْلُهُ الدهرَ يوجَدُ
وما فقد الماضون مثل محمد ... ولا مثله حتى القِيامَةِ يُفقَدُ

- **ونبكي مع ابن عمه: أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:**

أَرِقْتُ فبات ليلي لا يزول ... وليل أخي المصيبة فيه طولُ
وأسعدني البكاء وذاك فيما ... أصيب المسلمون به قليلُ
لقد عَظُمت مصيبتنا وجلت ... عَشية قيل قد قبض الرسولُ

وأضحت أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميلُ
فقدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه ... نفوس الناس أو كادت تسيل
نبيٌ كان يجلو الشك عنا ... بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فما نخشى ضلالاً ... علينا والرسول لنا دليل

● ونقول باكين مع ابنته فاطمة وهي تقول :

اغبر آفاق السماء وكورت ... شمس النهار وأظلم العصران
فالأرض من بعد النبي كئيبة ... أسفاً عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها ... ولتبكه مضر وكل يمان
وليبكه الطور المعظم جوه ... والبيت ذو الأستار والأركان
يا خاتم الرسل المبارك ضوؤه ... صلى عليك منزل القرآن



❑ المبحث الرابع والعشرون : زواجه من أمهات المؤمنين ❑

١- زواجه ﷺ من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها - سبق ذكره.

٢- زواجه ﷺ من سودة بنت زمعة رضي الله عنها - سبق ذكره.

٣- زواجه ﷺ من عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها - سبق ذكره.

٤- زواجه ﷺ من حفصة بنت عمر رضي الله عنها :

تزوجها ﷺ للحكمة ذاتها التي تزوج من أجلها عائشة وسودة رضي الله عنها. إضافة إلى رغبته في تخفيف حزنها لفقد زوجها خنيس بن حذافة البدري، صاحب الهجرتين [بخ (٥١٢٢)]، الذي استشهد نتيجة جراح يوم أحد [الإصابة (٤٥٦/١) ؛ الاستيعاب (٤٣٨/١)]، وحزن والدها لحزنها، فعرضها على صاحبيه أبي بكر وعثمان رضي الله عنه. فاعتذر الثاني وسكت الأول لعلمه برغبة النبي ﷺ في مواساتها بالاقتران بها [بخ (١٥٢٢)].

وعندما طلقها ﷺ أتاه جبريل عليه السلام، وقال له : (راجع حفصة، فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة. [أحمد : الرباني (١٣١/٢٢)، صحيح] .

٥- زواجه ﷺ من زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها :

قيل : إن زوجها عبيدة بن الحارث رضي الله عنه استشهد يوم بدر[طس (٨/ ١١٥)]، وقيل إنه عبد الله بن جحش رضي الله عنه الذي استشهد يوم أحد، [الاستيعاب (٣١٣/٤) ؛ الإصابة (٣١٥/٤) - وجزم به]، وكانت قبلهما تحت الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب، فطلقها [طس (١١٥/٨) ؛ ابن بكار، ص:٤٩]، وقيل كانت عند جهم بن عمرو بن الحارث [حق (٣٩١/٤)]، ودعيت في الجاهلية بأم المساكين لرحمتها لهم [حق (١٢٣/٢)، حسن ؛ م (٩١٨ - ٩١٩)، وغيرهما] .

إن امرأة تعاقب عليها هذا العدد من الأزواج، وما عرف عنها من الصلاح والرأفة على المساكين لجديرة بتكريم الرسول ﷺ لها بالزواج.

٦- زواجه ﷺ من أم سلمة المخزومية رضي الله عنها :

كانت من شهيرات المجاهدات يوم أحد والحديبية، والمهاجرات إلى الحبشة والمدينة.

استشهد زوجها إثر إصابة يوم أحد، وترك لها أربعة أطفال، فأراد ﷺ أن يواسيها بجبر مصابها ورعاية أيتامها.

٧- زواجه ﷺ من جويرية بنت الحارث رضي الله عنها. سبق ذكرها.

٨- زواجه ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها :

هي ابنة أميمة عمته ﷺ، زوجها الرسول ﷺ لمولاه زيد بن حارثة، الذي أعتقه وتبناه، وأراد الله عز وجل أن يطلقها ليتزوجها الرسول ﷺ لإبطال عادة التبني. ونزل في هذا قرآن كما في الآية : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب: ٣٧].

٩- زواجه ﷺ من صفية بنت حيي بن أخطب النضيرية رضي الله عنها :

كان في زواجه منها ذات الحكمة في زواجه من جويرية رضي الله عنها ؛ فهي ابنة زعيم يهودي، مات هو وأخوها وزوجها في صراع ضد الرسول ﷺ، فكان لا بد من أن تكون من الصفي بإثر سقوط خيبر، ليتزوجها، فيكسر ذلك حدة عداوة اليهود، وإعطاء الدليل العملي على نفي تهمة العنصرية ضد اليهود.

١٠- زواجه ﷺ من أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها :

هاجرت إلى الحبشة، فارتد زوجها هناك على المشهور، أو مات، كما قال أحد المحققين، فأراد الرسول ﷺ أن يكرمها لثباتها، ولكيلا يشمت بها الكفار، على رأسهم والدها الذي كان يتزعم معارضة الدعوة بضراوة، وأراد ﷺ أن يكسر حدة عداوة والدها وقومه بني أمية. [حق (٤/ ٣٨٩) - حسن ؛ أحمد : الرباني (٢٢/ ١٣٣) جيد ؛ مهدي: السيرة].

١١- زواجه ﷺ من ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها :

كان عمه العباس رضي الله عنه حريصاً على هدا الزواج، لمعرفته بتقواها، فهي أخت زوجته أم الفضل رضي الله عنها [الاستيعاب (٤/ ٤١٣)].

١٢- تسريه ﷺ ماريا القبطية رضي الله عنها :

أهداه إياها مقوقس مصر . . . سبق ذكرها.

١٣- زواجه ﷺ من ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة . . . سبق ذكرها.

إن هذا الإصهار من قبائل شتى وأعدء ألداء يحمل في طياته حكمة بالغة، يعرف قريباً منها المستشرقون من تاريخ ما عرف بالزواج الدبلماسي في تاريخ الأسر المالكة في التاريخ الغربي وغيره.



الفصل الرابع

بعض معجزات الرسول ﷺ

المعجزة : هي الأمر الخارق للعادة، المقرون بالتحدي، الدال على صدق الأنبياء، والواقع على وفق دعوى المُتَحدَّى بها، مع أمن المعارضة.

أما الأمر الخارق من غير تحد فهو الكرامة للولي.

وما جرى للأنبياء قبل الرسالة من خوارق فهي إرهاصات تمهد للرسالة والنبوة.

وقد أجرى الله عز وجل على يد ولسان نبيه محمد ﷺ معجزات كثيرة، تزيد على الألف ومائتين، نذكر أمثلة قليلة جداً منها :

١- القرآن الكريم : المعجزة العظمى الباقية :

تدرج القرآن في التحدي للعرب بأن يأتوا بمثله، أي الكل : ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطُّور: ٣٤]، ثم الإتيان بالجزء القليل منه : ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هُود: ١٣]، ثم الجزء الأدنى، وهو سورة واحدة: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨]، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤]، وفشلوا في هذا التحدي إلى اليوم .

إن معجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، تحمل في طياتها كل أنواع المغيبات ودلائل الإعجاز والنبوة. ففيه أخبار ما قبله وما بعده، وإعجازات

علمية وأدبية بلاغية وغيبية، ولا تنقضي عجائبه، كلما درسه العلماء في كل زمان ومكان.

٢- انشقاق القمر: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ [القَمَر: ١-٢].

سأل جماعة من زعماء مكة الرسول ﷺ أن يريهم آية، وقالوا إن كنت صادقاً فاشقق لنا القمر فرقتين: نصفاً على جبل أبي قُبَيس ونصفاً على جبل قُعَيْقُعَان. فقال لهم: «إن فعلت تؤمنوا؟»، قالوا: (نعم). ففعل ما أرادوا، فلم يؤمنوا، وقالوا سحر محمد أعيننا. وقال بعضهم لبعض: لئن كان محمد سحرنا، ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فاسألوا السفار. فسألوهم، فأكدوا الحدث، بأنهم راوا القمر قد انشق، فأنزل الله تعالى الآية المذكورة [بخ (٣٨٦٨، ٣٢٥١، ٣٢٥٣، ٣٤٢٨، م (٢٨٠٠) - وقبيس وقعيقعان: جبلان بمكة]. وقد أثبت العلم صدق القرآن والحديث في معجزة انشقاق القمر.

يقول داود موسى بيدكوك: (سبب إسلامي أني استمعت أو حضرت مناظرة وقعت بين ثلاثة من علماء الفضاء الأمريكان مع مجموعة من العلماء البريطانيين في التلفاز البريطاني . . .).

وخلاصة كلام بيدكوك أن الأمريكان اكتشفوا عند صعودهم إلى القمر أنه انشق ذات يوم إلى نصفين. [الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لفارس، ص: ١٥٨ - من كلام الشيخ الزنداني في مقابلة قناة الجزيرة؛ محمد حسني يوسف: الإعجاز العلمي في أسرار القرآن الكريم والسنة النبوية (٢/ ص: ٢٥٩ - ٢٦٢)].

٣- استسقائه ﷺ ربه عز وجل لأمته حين تأخر المطر:

جاءه أعرابي وهو يخطب يوم الجمعة، فقال: . . . هلك المال وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع ﷺ يديه، فنزل المطر على التو، حتى الجمعة القادمة، حين جاء الأعرابي ذاته وذكر تهدم البناء، فدعا: «اللهم حوالينا ولا علينا» فكانت الإجابة من الله عز وجل. [بخ (٨٤٥، ٨٩١)، م (٨٩٧)].

٤- نبع الماء الطهور من بين أصابعه :

ذكر الشامي في سبله ثلاث عشرة رواية في هذا الشأن، منها :

كان ﷺ يوماً بالزوراء [قرب المسجد] وحانت صلاة العصر، ولا ماء بالمكان، فأُتِي ﷺ بوضوء، فوضع يده في فتحة الإناء، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه، فرأى أنس رضي الله عنه الماء ينبع من بين أصابعه حتى توضؤوا عن آخرهم. وكانوا زهاء ثلاثمائة. [بخ (٣٣٨٠) م (٢٢٧٩)].

٥- تكثير ماء الآبار:

ومثال ذلك :

أ/ أن زياد بن الحارث الصُّدائي اشتكى إلى النبي ﷺ قلة ماء بئر لهم باليمن في الصيف، وكانوا قبل إسلامهم يتفرقون على مياه من حولهم، وأصبحوا أعداء لهم بعد إسلامهم، فطلب دعاء النبي ﷺ ليسعهم ماء بئرهم، ولا يتفرقوا.

فدعا ﷺ بسبع حصيات فعركهن بيده ودعا فيهن، ثم قال ﷺ : «اذهبوا بهذه الحصيات، فإذا أتيتم البئر فألقوها واحدة واحدة، واذكروا اسم الله عز وجل».

ففعلوا، فما استطاعوا بعد أن ينظروا إلى قعرها [بهد (٤/ ١٢٧)، أبو نعيم (٢/ ١٤٧)؛ حم (٤/ ١٦٩)، حسن].

ب/ تكثيره ماء بئر الحديبية :

فعندما نضب ماء بئر الحديبية، وعطش الناس، انتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فجاش لهم بالري، فارتووا جميعا [بخ (٢٧٣١ - ٢٧٣٢)]، وفي رواية أنه جلس علي شفة البئر فدعا بماء فمضمض ومج في البئر. [بخ (٣٥٧٧)]. ويمكن الجمع بين الروايتين بأن يكون الأمران معا وقعا، كما ذكر ابن حجر [الفتح (١١/ ١٦٤)].

(٦) تكثيره ماء المزادتين [القربتين] :

اشتكى أصحابه العطش وهم في سفر، فوجدوا امراة معها قربتان من الماء، فأخذوها إلى النبي ﷺ، فدعا بإناء فأفرغ فيه من أفواه المزادتين، فمضمض من الماء، وأعاد في أفواه المزادتين، فسقى كل الناس، وبقي ماء المراة كما هو، فكان ماشاهدته سببا في إسلامها وإسلام قومها. [بخ (٣٣٧ - ٣٥٧١)، م (٦٨٢ - ٣٠١٣) ؛ حم (١٩٨٩٨)].

(٧) تكثير اللبن في القدح :

سقى سبعين من أصحابه من قدح لبن أهدي إليه [بخ (٦٤٢٥)].

(٨) تكثيره السمن في العكة :

كانت البَهزية، أم مالك، تهدي إليه ﷺ سمناً في عكة، فبينما بنوها يسالونها عن إدام وليس عندها شيء، فعمدت إلى العكة فوجدت فيها سمناً، فما زال يقيم لها إدام بنيها حتى عصرته، فأتت النبي ﷺ، فقال : «عصرتيها» فقالت : (نعم). قال «لو تركتيها مازال ذالك قائماً». [م (٢٢٨٠)].

تكثير الشعير :

سأل رجل النبي ﷺ طعاماً، فأطعمه شطر وسق من شعير، فما زال يأكل منه هو وامراته وضيف لهم حتى كالوه، فأخبر النبي ﷺ، فقال : «لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم». [م (٢٢٨١].

وقالت عائشه رضي الله عنها مات رسول ﷺ ومابقي في بيتي إلا شطر من شعير في رف لي، فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففني [بخ في الرقاق (١٤/ ٥٨ - ٥٩)، م : في الزهد (١٨/ ١٠٧/ النووي) ؛ حم (٦/ ١٠٨) - صحيح].

وخبزت أم طلحة مد دقيق شعير، فدعا أبو طلحة النبي ﷺ ليأكلها معهم، ودعا الرسول ﷺ ثمانين من أصحابه فأكلوا وشبعوا وأهديت الفضلة للجيران [بخ (٣٥٧٨ - ٤١٠٣) ؛ م (٢٠٣٩ - ٢٠٤٠)].

(١٠) تكثيره التمر :

كان لجابر رضي الله عنه غرماء، لايكفيهم حصاد نخله، فجلس ﷺ على أعظم كوم منها بعد أن طاف به ثلاث مرات، فبورك فيه، فوفى الغرماء، وبقي بعضه [بخ (٢١٢٧ - ٢٣٩٥ - ٢٦١٠)].

(١١) تكثيره اللحم :

عن أبي عبيدة رضي الله عنه أنه طبخ للنبي ﷺ قدراً، فقال له : «ناولني ذراعاً، فناوله الذراع، وكرر الطلب، فقال بعد الثالثه يا نبي الله، وكم للشاة من ذراع؟ فقال ﷺ : «والذي نفسي بيده لو سَكَتَّ لأعطيت أذرعاً ما دعوت به» [الدارمي (٤٥) - صحيح].

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن ﷺ أُتِيَ بقصعة من ثريد، فأخذ الناس يتعاقبون عليها إلى الظهر، فقال رجل لسمرة : (أما كانت تُمَدُّ؟ فقال : من أي شيء تعجب، ما كانت تُمَدُّ إلا هاهنا، وأشار بيده إلى السماء [الدارمي (٧٥) الترمذي (٣٣٩٤) حك(٢/ ٢٨) - وكلها صحيحه. وتمد: تزود].

عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه أنه ﷺ اشترى شاة من أعرابي في أحد أسفاره، فَشُوِيَ سواد بطنها، فأكل منها مع أصحابه المائة والثلاثين حتى شبعوا، وفضل منها. [حك (٤/ ١١١) - صحيح].

(١٢) تكثير حَيْس أم سليم - والدة أنس رضي الله عنه [والحيس طعام من حليب مجفف وسمن] :

عندما تزوج ﷺ زينب بنت جحش رضي الله عنها أهدته أم سليم حيساً، دعا ﷺ واحدً وسبعين أو اثنين وسبعين من أصحابه فأكلوا منه حتي شبعوا منه، ثم وضعه أنس قدام زينب بأمر النبي ﷺ [م(١٤٣٣/ ٩٥)، (١٤٢٨)].

(١٣) تكثيره فضلة أزواد أصحابه :

أراد أصحابه أيام سفرة غزوة تبوك أن ينحروا بعض رواحلهم عندما

أصابتهم مخمصة شديدة، فكانت مشورة عمر ﵁ أن يجمع الناس فضلة أزوادهم ليدعو الرسول ﷺ فيها بالبركة، ففعل ﷺ، فشبع الجيش من هذه الفضلات وتزودوا. [م (٢٧) و(٢٨) ؛حك (٢/٦١٨ - ٦١٩) - صحيح، أحمد (٣/٤١٧ - ٤١٨) - صحيح].

(١٤) تسبيح الطعام والشراب بين يديه ﷺ :

قال ابن مسعود ﵁ : (كنا نأكل مع رسول الله ﷺ فنسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل). [بخ (٣٥٧٩ - ٣٣٨٦؛ تر(٣٦٣٣) - حسن صحيح].

انقياد الشجر له ﷺ، وسلامه عليه :

أ- دعا ﷺ شجرتين ليقضي حاجته بينهما، فانقادتا له كالبعير الذي يجر من حلقة في أنفه، ثم رجعتا بعد قضاء حاجته [م (٣٠١٢)].

ب- دعا ﷺ عذقاً في شجرة [-أي عرجوناً بما فيه من الشماريخ-]، فسقط إلى الأرض ينقز حتى سجد بين يديه، ثم أمره بالرجوع، فرجع إلى شجرته.
فأسلم الأعرابي الذي طلب منه مايعرفه بأن محمداً ﷺ نبي.
[:التاريخ الكبير (٣/١/٣) ؛ أبويعلى : المسند (٢٣٥٠) صحيح ؛ ابن حبان (٢١١٠) - صحيح].

ج- عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، قال : (سألت مسروقاً : من أذَنَ (أعلم) النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن، فقال : (حدثني أبوك، قال : أذَنَتْ بهم شجرة) [بخ (٥/٢٥٨)].

د- عن يعلى بن مرة ﵁، قال : (بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ، فنزلنا منزلاً، فنام رسول الله ﷺ، فجاءت شجرة تشق الأرض، حتى غشيته، ثم رجعت مكانها، فلما استيقظ، ذكرت ذلك له)، فقال ﷺ : «هى شجرة استأذنت ربها عز وجل في أن تسلم عَلَيَّ، فأذن لها». [حل (٢/٦١٧) - صحيح].

هـ- دعا ﷺ سَمُرَة كانت بشاطيء الوادي، فأقبلت تَجُدُّ الأرض حتى قامت بين يديه، فاستشهدها، فشهدت الشهادتين، ثم أمرها فرجعت إلى مكانها. [ابن كثير: التاريخ (٨/ ٦٧٨)، تحقيق د. التركي - جيد].

و- عندما أعان ﷺ سلمان الفارسي في زراعة ثلاثمائة من الفسائل [فراخ النخل - الوَدِيُّ]، لسيده وينال حريته، لم تمت واحدة من التي وضعها بيده في الحفرة [حق (١/ ٢٨١) - حس]. وفي رواية: أنها حملت من عامها، ماعدا واحدة غرسها عمر رضي الله عنه [بهد (٢/ ٢٨٢ - ٦/ ٩٧)، المجمع (٩/ ٣٣٥) - وعزاه لأحمد والبزار، وقال: ورجاله رجال الصحيح؛ حق (١/ ٢٨١) - حسن].

(ز) تكثيره الذهب الذي دفعه لسلمان الفارسي رضي الله عنه:

أُتِيَ رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من الذهب، فدفعها لسلمان رضي الله عنه لأداء مكاتبة تحريره من سيده اليهودي، فقال سلمان رضي الله عنه: (وأين تقع هذه يارسول الله مما عَلَيَّ؟) فقال ﷺ: «خذها، فإن الله سيؤدي بها عنك»، قال: (فأخذتها فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده - أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم منها. . . . . . .). [حم (٢٣٧٣٧)، حسن].

(١٦) تحرك الجبل فرحاً به ﷺ:

رجف جبل أحد أو حراء عندما كان عليه ﷺ ومعه أبوبكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فقال ﷺ: «أثبت، عليك نبي وصديق وشهيد» [بخ (٣٤٧٢، ٣٦٧٥، ٣٦٩٩)]. وفي رواية بزيادة: ... «وعلي وطلحة والزبير. . . .»، فقال ﷺ: «اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» [م (٢٤١٧)] وفيه أن الجبل حراء، وزاد ثامناً، وهو: سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(١٧) تحرك المنبر من أسفل شيء منه، عندما كان يخطب ويذكر جبروت المولى عزوجل: [م (١٠/ ٣٠٧) النووي]. **وفي رواية أنه رجف برسول الله ﷺ حتى قال الصحابة: (ليخرَّنَّ عنه).** [حك (٢/ ٢٥٢، ٤٣٦)، صحيح].

(١٨) وسبق ذكر معجزة تنكيس الأصنام بمجرد الإشارة إليها يوم فتح مكة :

وذكرنا معجزة تفتت الصخرة يوم الخندق. وسلام الأحجار عليه وهو بمكة، من رواية مسلم.

(١٩) قصصه المعجزة مع الحيوانات :

(أ) انقياد الحيوانات له ﷺ :

عندما عاند جمل أصحابه من الأنصار، رافضاً الخطام، استعانوا بعد الله تعالى بالنبي ﷺ، وناداه قائلاً : «تعال»، فجاءه مطأطئاً رأسه، حتى خَطَمَهُ، وأعطاه أصحابه، فقال أبو بكر رضي الله عنه : (يا رسول الله، كأنه علم أنك نبي)، فقال ﷺ : «مابين لابتيها أحد إلا يعلم أني نبي إلا كفرة الإنس والجن» [حم (١٣٩٢٣) - حسن].

(ب) شكوى الحيوانات إليه :

دخل ﷺ ذات يوم [بستاناً لأنصاري] لقضاء حاجته، فرآه جمل، فَحَنَّ الجمل وذرفت عيناه الدمع، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذِفْرَاهُ [مكان خروج العرق من القفا] وقال ﷺ : «من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟»، فجاء فتى من الأنصار، فقال : (لي يا رسول الله) . فقال ﷺ : «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكى إليَّ أنك تجيعه وتدئبه [تتعبه]» [د (٢٥٤٩) - صحيح].

ومر في سفر ببعير يستسقى عليه الماء، فلما رأى النبي ﷺ جرجر [صَوَّتَ] ووضع جِرَانِهِ [باطن عنقه]، فقال ﷺ : «إنه يشتكي كثرة العمل وقلة العلف». [حك (٦١٧١٢) - صحيح].

وأورد الشامي في السبل [(١٠/١٥٣ - ١٦١)] أربعة عشر قصة في هذا المعنى، منها الضعيفة الإسناد، ومنها القوية الإسناد، عن جمع من الصحابة رضي الله عنه.

(ج) بركته ﷺ في الحيوانات :

ذكرنا في أحداث غزوة ذات الرقاع قصة جمل جابر رضي الله عنه.

وجاء في أحداث غزوة تبوك أن الصحابة شكوا إليه ما برواحلهم من جهد، فأمر أن يمرو بها عليه عند مكان ضيق، فأخذ ينفخها، ويقول ﷺ : «اللهم احمل عليها في سبيلك، إنك تحمل على القوي والضعيف»، فما بلغوا المدينة حتى جعلت نازعهم أزمتها، [حم (٢٣٩٥٥) صحيح].

عن جُعَيل الأشجعي أنه كان على فرس له عجفاء ضعيفة تسير في آخر الركب، فلحق به ﷺ فضربها بدرته وقال ﷺ : «اللهم بارك فيها»، فأصبحت تسابق الناس، وباع من بطنها باثني عشرألفاً . [طبك (٢١٧٢) بهد (٦\ ١٥٣) صحيح].

عن أنس أن أهل المدينة فزعوا مرة،فركب ﷺ فرساً لأبي طلحة، كان بطيء الحركة، فلما رجع قال : لأبي طلحة «وجدنا فرسك بحراً فكان بعد هذا لا يجارى». [بخ (٦/ ٥٨) و (٥/ ٢٧٠) و(٦/ ١٠٨) أحمد (٣\١٤٧) صحيح].

(د) شهادة الحيوانات والطيورله ﷺ بالرسالة :

شهادة الذئب له بالرسالة :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (عدا ذئب على شاة فأخذها، فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعى [جلس] الذئب على ذنبه، فقال : (ألا تتقي الله ؟ تنزع مني رزقاً ساقه الله إليَّ ؟) فقال : (ياعجبي ! ذئب يقعي على ذنبه يكلمني كلام الإنس ؟). فقال الذئب :

(ألا أخبرك بأعجب من ذالك ؟ محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق). [حم (٣/ ٨٨) حك (٤٦٧) صحيح ٠ بهد (٦/ ٤٠) صحيح ٠ ابن حبان (٦٤٩٤) صحيح] وللقصة طرق أخرى وسياق بمعناه.

(هـ) شهادة الغزالة له بالرسالة واستنجاده به :

اصطاد رجل غزالة، فربطها بخيمته، فاشتكته إلى النبي ﷺ عندما مر

عليها فى بعض سكك المدينة، قائلة: (إن لي خِشْفَان [ولدان] في البرية، وقد انعقد اللبن فى أخلافي [ضرعاي]، فلا هو يذبحني لأستريح، ولاهو يدعني فأرجع إلى خِشْفَيَّ فى البرية ......) فتوسط لها ﷺ فأطلقت بضمان النبي ﷺ على أن تعود، وعندما عادت خلى أصحابها عنها حين طلب الرسول ﷺ شرائها. فذهبت وهي تضرب برجلها الأرض وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. ورآها زيد بن أرقم في البرية تشهد الشهادتين. [بهد (٦/ ٣٤)؛ ند (٣٢٠)؛ طبك (٧٦٣) - طرقها ضعيفة، وشهرتها تدل على أن لها أصل].

(٢٠) معجزاته فى الإنسان:

(أ) تحمل سفينة رضي الله عنه الأثقال:

قال سفينة رضي الله عنه - مولاه: (سماني رسول الله ﷺ سفينة حين خرج ومعه، أصحابه، فثقل عليهم متاعهم، فحملوه على ظهري)، فقال رسول الله ﷺ: «أحمل فإنما أنت سفينة» قال: (فلو حملت من يومئذ وقر بعيرين أو ثلاثة ... أو سبعة ماثقل عليَّ) [حم (٥/ ٢٢١)، صحيح؛ بهد (٦\٤٧)، حك (٣/ ٦٠٦) صحيح].

(ب) إنبات الشعر:

دعا لعبد الله بن هلال رضي الله عنه بأن ينبت الله شعره،فاستجيب له. [طبك (٢٤/ ٢٠٩)؛ برقم (٥٣٧) - حسن].

(ج) مسح على رأس أبي زيد الأنصاري، وقال: «اللهم جمله»، فبلغ بضعاً ومائة سنة، وما في لحيته بياض، ولقد كان منبسط الوجه، ولم ينقبض وجهه حتى مات. [تر(٥/ ٥٩٤) - حسن؛ بهد (٦/ ٢١١) - صحيح؛ حك (٢/ ٦٠٦) - صحيح].

(د) ونفث ﷺ في يده الشريفة ووضعها على ظهر وبطن عتبة بن فرقد رضي الله عنه، وهو متجرد، فعبق به طيب أطيب من طيب زوجاته، ظل معه مدى الحياة. [طبك (١٧/ ١٣٣) رقم ٣٢٩،جيد].

(هـ) تفل ﷺ على ذراع محمد بن حاطب رضي الله عنه عندما انكفأ عليه قِدْرٍ

لأمه، فبرئت في حينها. [بخ (١٨/٤ - ١٧ - ٥٨)، م (٢١٩١)].

(و) رش على جابر ﵁ من ماء وضوئه، فأفاق بعد أن كان لا يعقل لمرض ألم به. [بخ (٥٦٥١)؛ م (٢١٩١)].

(ز) عن حمزة بن عمر الأسلمي ﵁، قال: (كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فتفرقنا في ليلة ظلماء، فأضاءت أصابعي حتى جمعوا عليها ظهورهم [رواحلهم]، وما سقط من متاعهم، وأن أصابعي لَتُنِيُر). [(بخ: التاريخ الكبير (١/٢/٤٦)؛ بهد (٦/٧٩)؛ تر (٣/٢٠٦)؛ طبك (٣٩٩٠)؛ السيوطي: الخصائص (٢/٨١) جيد].

(٢١) معجزاته في الأشياء غير الحية:

(أ) كان ﷺ قبل أن يصنع له منبر للخطابة بمسجده، يخطب الناس وهو مستند إلى جذع عند مصلاه، فاستغنى بالمنبر عن الاستناد إلى الجذع، فخار الجذع وحن حنين النوق العشار [الحامل لعشرة أشهر]، لِمَا كان يسمعُ من خطبه ﷺ عنده، فرجع إليه ﷺ فاحتضنه حتى سكن كما يسكن المولود الذي يسكت. [بخ (٣٥٨٤ - ٣٥٨٥)].

(ب) عن أبي قتادة بن النعمان ﵁ أن رسول الله ﷺ أعطاه عرجوناً أضاء له الطريق مثل الشمعة .... [ابن خزيمة: الصحيح (١٦٦٠)، حسن بشواهده؛ حم(١١٦٢٤) - بعضه صحيح وبعضه حسن].

(ج) قال ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن». [حم (٢٠٨٩٣) - حسن].

(٢٢) في إخباره بأمور غيبية:

(أ) أخبر بالسم الذي وضعته زينب الخيبرية في ذراع الشاة التي أهدتها للرسول ﷺ - سبق ذكره.

(ب) إخباره باستشهاد قادة سرية مؤتة.. سبق ذكره:

(ج) استضافته مع أصحابه امرأة، فذبحت لهم شاة، لم يستسغ النبي ﷺ

أول لقمة منها، وقال : «هذه أخذت بغير إذن أهلها»، فاعترفت المرأة بأنها أخذتها من جار لها بحجة أن تعاملها معهم لا يحتم الإذن، فأمر بإعطاء اللحم للأسارى [د (٣٣٣٢ - ٣٣٣٥) صحيح].

إخباره بفتح مصر :

قال ﷺ : «إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً». [بهد (٦/ ٢٢٢)] وفي رواية «إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً». [م (٢٥٤٣)].

(هـ) إخباره بأن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها أول زوجاته لحوقاً به : قال ﷺ: «أسرعكن لحاقاً بي [أي أول من تموت بعدي] أطولكن يداً» قالت عائشة رضي الله عنها : (فكن [أي زوجاته] يتطاولن [أي كن يرين المراد بالطول المعنى الظاهري، والواقع أن مراده خلافه، لأن سودة رضي الله عنها كانت أطولهن يداً من حيث المقياس الظاهري] أيتهن أطول يدًا؟)، فكانت زينب أطول يداً، لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق.[مسلم (٨/١٦) النووي] فكانت أولهن لحاقاً به في الموت.

(و) إخباره بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما على شط الفرات :

قال علي رضي الله عنه : (دخلت على النبي ﷺ ذات يوم، وعيناه تفيضان، فقلت : يانبي الله، أغضبك أحد، ما شأن عينيك تفيضان ؟) قال ﷺ : «بل قام من عندي جبريل قبلُ فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات» ؛ وقال : هل لك أن أشمك من تربته ؟» قلت: نعم، فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا» [حم (٦٤٨) - صحيح].

(ز) إخباره بأن الحسن بن علي رضي الله عنه سيكون سبباً في صلح بين المسلمين بعد فتنة :

قال ﷺ وهو يشير إلى حفيده الحسن : «أن ابني هذا سيد،

ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» [بخ (٣٧٤٦)]. وقد حدث عندما تنازل عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه، فوضعت الحرب أوزارها بين الطرفين. . . . . .

(ح) فى إخباره بحال سهيل بن عمرو رضي الله عنه فى فتنة الردة :

سبق ذكره.

(ط) في إخباره عن مقتل علي رضي الله عنه :

قال ﷺ مخاطباً عمار وعلياً : «ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين ؟» قالا : (بلى يا رسول الله) ؛ قال : «أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه [يعني قرنه] حتى تبتل منه [يعني لحيته]». [حم (١٨٣٢١) - حسن لغيره].

(ي) في إخباره عن اقتتال علي والزبير رضي الله عنهما :

عن أبي حرب بن الأسود الديلي، قال : «شهدت الزبير خرج يريد علياً»، فقال له علي : «أنشدك الله، هل سمعت رسول الله ﷺ يقول : «تقاتله وأنت ظالم؟»، فقال : (لم اذكر، ثم مضى الزبير منصرفا عن القتال). [حك(٣/ ٣٦٦)، صحيح].

(ك) إخباره بأن الحجر الأسود من الجنة :

قال ﷺ : «الحجر الاسود من الجنة. . . .». [الطبرى :ا لتفسير (٣/ ٧٠) ح (٢٥٨) - صحيح ؛ تر (٨٧٧) - صحيح].

أراد أعداء الإسلام الطعن فى عقيدة المسلمين، فقالوا : (إنه من صخور البازلت الغامقة اللون، التي تنتشر حول الكعبة. فأعدت الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية رجلا لتلك المهمة، وهو الضابط الإنجليزي "رتشارد برتون) الذي تعلم العربية فى ٨ سنوات، بلهجةالمغاربة، وأرسل إلى مصر، تم مكة باعتباره مسلماً ينوي الحج. . . . .

وعندما اختلى بالحجر تمكن من كسر قطعة صغيرة منه، مازالت

محفوظة بمتحف العلوم الطبيعية بلندن إلى اليوم، وحللت هذه القطعة وثبت أنها ليست من أحجار الأرض، بل حجر نيزكي نادر !! وسياتي إن شاء الله اليوم الذى لا يجدون له شبيهاً من الأحجار، لأنه من الجنة، وأعلن برتون إسلامه، وألف كتاباً رائعاً من جزءين، اسمه " رحلة إلى مكة " [انظر: محمد حسني يوسف : الإعجاز العلمي في أسرار القران الكريم والسنة النبوية، (١/ ٢٠٧_ ٢٠٩)].

(٢٣) المعجزات المتعلقة بعصمته من الإغتيال :

تصل الى نحو الثلاثين، ذكرنا بعضها خلال أحداث بعض الغزوات

والسرايا وحياته ﷺ في مكة والمدينة. [انظر: د.مهدى : السيرة النبوية (٢/ ٤٨٢- ٤٨٧)]. قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المَائدة: ٦٧].

نذكر في ضوء هذه الآية أمثلة له في الوعد الإلهي الإعجازي :-

أ- كفاية الله له من المستهزئين الذين آذوه في مكة.

ب- عصمته من أبي جهل حين أراد فضخ رأسه بحجر وهو يصلي.

ج- عصمته من دعثور بن الحارث الغطفاني.

د- عصمته من غورث بن الحارث المحاربي.

هـ- عصمته من يهود بني النضير حين ذهب إليهم في دية الكلابيين.

ز- عصمته من مشركي مكة في أحداث الهجرة.

ح- عصمته من عقبة بن أبي معيط عندما خنقه محاولاً قتله.

ط- عصمته من عمير بن وهب، حين تأمر مع صفوان بن أمية لإغتياله.

ي- عصمته من زينب بنت الحارث الخيبرية، التي دست له السم يوم خيبر.

ك- عصمته من المشركين يوم أحد، خاصة من محاولة أبي بن خلف.

أما مالم نذكره من قبل في أحداث السيرة، فمثل :

(أ) عصمته من فَضَالة بن عمير الليثي حين أراد اغتيال النبي ﷺ وهو

يطوف بالكعبة يوم الفتح. [ابن هشام (٤\٨٥)].

(ب) عصمته من رجل أراد الفتك به حين أعطاه ﷺ سيفه لينظر إليه، وكانت نيته اغتيال النبي ﷺ بسيفه ﷺ [حك(١/ ٧) - صحيح].

(ج) عصمته من رجل استاجره كفار قريش لاغتياله، جعلوا له أواقي من ذهب ليقوم بالمهمة، فأطلعه الله عز وجل على ذلك، فأمر به فصلب، وكان أول من صلب فى الإسلام [ابن أبي شيبة : الأوائل (٨/ ٣٣٠) - مرسلاً قوياً].

(د) عصمته من غلبة رُكانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب، الذي كان أشد مصارع في قريش، عندما طلب ركانة مصارعته ﷺ، لتكون غلبته له آيه يؤمن بها، فصرعه ﷺ. [حق (٢/ ٣٥) - جيد].

(هـ) عصمته من النُّضير بن الحارث حين أراد الفتك به يوم حنين [الإصابة ٣/ترجمة برقم ٨٧٢٠، الشامي: السبل (٥/ ٤٧٤/ من رواية الواقدي. وهذه المعجزة هي الثامنة والعشرون كما في السيرة المطولة لنا (٢/ ٤٨٧] قصة أبي بردة لآية حفظه ﷺ ممن أراد الفتك به من حديث الواقدي (٣/ ٨٩١ كما في السبل (٥/ ٤٦٧/ بمثل قصة الأعرابي يوم ذات الرقاع. قصة الآية التي حصلت لجواسيس المشركين في هذه الغزوة [السبل (٥/ ٤٦٨]، وبذلك اكتملت المحاولات إلى ٣٠ محاولة.

(٢٤) المعجزات المتعلقة بالمكتشفات الطبية الحديثة :

(١) التمر:

قال ﷺ : «خير تمراتكم البَرْنِي [أفضل أنواع التمر]، يذهب الداء ولاداء فيه» [صحيح الجامع الصغير(٣٣٠٣) - جيد].

وقال ﷺ : «العجوة من الجنة، وفيها شفاء من السم، . . . .» [نفسه (٤١٢٦) - صحيح].

كشف الطب الحديث عن القيمة الغذائية والعلاجية للتمر، من ذلك :

أنه ملين للطبع، مقو للكبد، يزيد في القوة الجنسية. [د. السيد الجميلى : إعجاز الطب النبوي ؛ص٧٣]. ولعل السم المذكور يقصد به المواد السامة في الدم، مثل التسمم بالبولة (urea) وغيرها ؛ وذلك لأن سكاكر التمر مدرة للبول، فبالتالي تساعد في تنظيف الكبد وتنقية الدم من المواد السامة.

ومن يتناول التمر باستمرار يحافظ على جهازه الدموي والعصبي أكثر ممن يتناولون اللحوم التي تترك فضلات ومواد سامة تتراكم وتسبب تسمماً بطيئا. [د.محمد إياد الشطي: الطب النبوي في ضوء العلم الحديث، ص : ١٣٠-١٣١]. وعندما وقف العلماء عند قوله ﷺ : «يذهب الداء ولا داء فيه»، وجدوا أن التمور لا تنقل الجراثيم الممرضة، وإذا تعرضت إلى تلوث شديد، فإنها تصبح خالية من جرثوم الهيضة خلال ثلاثة أيام في الظروف الطبيعية. [نفسه، ص : ١٣١].

جاء في صحيفة الانتباهة السودانية اليومية، العدد (١٣٦١) - السبت ١٥ رمضان ١٤٣٠هـ/ الموافق له ٢٠٠٩/٩/٥م الآتي عن التمر تحت عنوان: "التمر باللبن يحمي جهازك الهضمي" : «أكدت الدكتورة عفاف عزت، أستاذ الكيمياء الحيوية بالمركز القوي للبحوث في مصر، أن التمر منقوعاً في اللبن يعتبر وجبة غذائية متكاملة، لما تحتويه من بروتين حيواني وكالسيوم وفيتامين "أ" الذي يعتبر من القيتامينات الذائبة في الدهون، وله قيمته كمضاد للأكسدة، ويساعد على تقوية الإبصار وحماية العين من الإصابة بالمياه البيضاء، كما يحمي طبقة الجلد الخارجية والأغشية المبطنة للقناة الهضمية. وأشارت د. عزت إلى أن التمر يعتبر وجبة غذائية متكاملة، حيث يحتوي على نسبة من الألياف تعرف باسم مادة اللجين ، والتي لها القدرة على خفض الدهون بالدم، بالإضافة على احتواء التمر على مركبات فيتوكيميائية لها تأثيرات علاجية مضادة للأكسدة، وبالتالي فهو يقاوم العديد من الأمراض.

كما أن التمر يحتوي على نسبة من السكر يحتاجها الصائم بعد انخفاض

نسبة السكر بالدم أثناء الصيام. وتنصح الدكتورة عفاف بعدم ترك التمر منقوعاً في الماء أو اللبن فترة طويلة حتى لا يحدث له تخمر ويسبب تقلصات وانتفاخات حتى في الأمعاء، وذلك نتيجة نشاط "الميكروفلورا" التي تسبب اضطرابات بالقولون العصبي" [... صفحة الانتباهة الأخيرة].

(٢) الحبةالسوداء :

قال ﷺ : «إن الحبة السوداء شفاء من كل داء، إلا السام»، قالت عائشة رضي الله عنها الراوية : (وما السام؟)، قال ﷺ : «الموت» [بخ (٥٦٨٧)، واللفظ له، مج (٢٨٨٠)، م (٢٢١٥)، تر (٢١١٣)، صحيح، طبك (٤٩١)، صحيح].

والمقصود أنها شفاء من كل داء يقبل العلاج، وكلمة كل تفيد الأهمية، كما في قول الله عزوجل : ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] وقوله : ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [النّحل: ٦٩] وقوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النَّمل: ٢٣].

وقد أثبت الطب الحديث أن من أهم الأمراض التي تدخل الحبة السوداء في علاجها، هي :

١/ أمراض تنفسية، مثل نزلات البرد والسعال والربو.

٢/ أمراض هضمية، مثل عسر الهضم وغازات المعدة والأمعاء وضعف الشهية والديدان الشريطية وديدان الإسكارس.

٣/ الأمراض البولية والتناسلية، مثل عسر البول، والعنة [عدم القدرة على الجماع]، واضطرابات الطمث.

٤/ الأمراض الجلدية: الجرب والقوباء والأكزيما وحب الشباب [د٠الشطي : الطب النبوي ، ص: ١٣٨ - ١٥٠].

٥/ وأمراض أخرى مثل : تساقط الشعر والصداع والدوخة والآم الأذن الوسطى والقراع والثعلبة والثآليل والبهاق والبرص والكدمات والرضوض والروماتزم والكسور وارتفاع ضغط الدم وإذابة الكلوسترول الضار في الدم والحمى الشوكية وحصوة المرارة وأمراض الطحال

والاستسقاء والإسهالات وأمراض العيون والعقم والخمول والكسل. [د٠البدري محمد الهادي مطاوع: " الحبة السوداء شفاء من كل داء ... " مقال بمجلة منار الإسلام، ع٨، السنة ١٨، شعبان ١٤١٣هـ / فبراير ١٩٩٣م، ص١١٤ - ١١٩].

وأنها تشفي الجرحى، وتدر الحليب، وتنفع في حالات عقر الكلب الضال، وتنفع في حالات علاج لسع الهوام [د٠الجميلي: إعجاز الطب النبوي ص: ٨٠].

وتفيد في جلاء وصفاء الوجه وجماله، وتنشيط الذهن وسرعة الحفظ [د٠ مطاوع: الحبة السوداء ص: ١١٩].

وثبت أثرها كمقوٍ طبيعي للمناعة، تخفض من نسبة السكر في الدم مع خليط من أعشاب أخرى، وتخفض حمض البوليك الذى يحدث ارتفاعاً في ضغط الدم، وعلاج النقرس، [عبد العليم غزي: حبة البركة إعجاز إلهي في خلقه"، مقال بمجلة الأزهر، رجب١٤١٩ هـ / نوفمبر ١٩٩٨م، ج ٧، السنة ٧١، ص: ١٠٩١ - ١٠٩٥]، [وانظر: د. مهدى رزق الله: السيرة النبوية (٢/ ٤٩٠ - ٤٩٣)].

(٣) الحناء:

عن سلمى رضي الله عنها - وكانت تخدم بعض أزواج النبي ﷺ، وقالت: (ما نال رسول الله ﷺ قرحة [جراحة] ولانكبة [حادث مثل إصابة الحجر للرجل أوالأصبع] إلا أمرني أن أضع عليها الحناء). [تر(٢٠٥٥) - حسن].

أثبت الطب الحديث أن الحناء مطهر للجروح والقروح، وأنه من أفضل المواد الصباغية، وينقي فروة الرأس من الميكروبات والطفيليات والإفرازات الدهنية الزائدة، ويقلل من إفراز العرق، ولا يسبب حساسية؛ ولذا أدخلته شركات التجميل تجارياً في تركيب صبغات الشعر والشامبو. [د. الشطي: الطب النبوي، ص (١٥١ - ١٥٣)].

(٤) زيت الزيتون:

قال ﷺ: «ائتدموا بالزيت، وادَّهنوا به، فإنه يخرج من شجرة مباركة» [مج (٣٣١٩)؛ حك (٤\١٢٢) - حسن].

توصل الطب الحديث إلى أن زيت الزيتون مغذٍ للأطفال،لأنه يحوي النسبة ذاتها تقريباً من حمض الكتان التي يحويها حليب الأم، إضافة إلى سهولة هضمه وامتصاصه، ويؤمن بذلك حاجات الطفل الرضيع من المواد الدهنية اللازمة لنمو العظام والدماغ ؛ وغني بالفيتامين " ك " الضروري في النمو للأطفال والبالغين.

وأثبتت الأبحاث قدرته في علاج تصلب الشرايين والوقاية من أمراض الحموضة والقرحة المعدية وقرحة الأثني عشر وعلاجها. ويقلل من نسبة الإصابة بالحصيات المرارية وخفض نسبة السكر في الدم. ويعالج الكثير من الأمراض الالتهابية والكبدية وإنقاص الوزن. وهو عنصر مغذ كذلك للطاعنين في السن لسهولة امتصاصه وإثارته الشهية. ولا يسبب زيادة الكولوسترول في الدم، وبسبب غنائه بهرمون الأستروجين فإنه يفيد صحة المرأة في سن اليأس.

ويحافظ على نمو الشعر، ويحفظه من التساقط، ويقي من أشعة الشمس الضارة، ويساعد في إزالة تجاعيد الوجه والرقبة. ويستخدم كدهون في حالات الخراجات والدمامل والقوباء وتشقق الأيدي والأرجل. [د. الشطي : الطب النبوي، ص: ١٥٨ - ١٦١]. ويقاوم سرطان الثدي. [جريدة الرياض السعودية، السبت ١١/٥/١٤٢٦هـ / ١٨ / ٦ / ٢٠٠٥م، عـ ١٣٥٠٨، السنة ٤٢] .

(٥) التسوك بمسواك شجر الأراك :-

قال ﷺ : «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء». [الألباني: صحيح الجامع الصغير (٥٣١٧) صحيح] .

وقال ﷺ : «عليكم بالسواك فإنه مطيبة للفم مرضاة للرب». [نفسه (٤٠٦٨) - صحيح] .

أثبتت الأبحاث التي ذكرها الدكتور الشطي [الطب النبوي، ص ١٦٧ - ١٦٩ - ١٧١ - ١٧٢] أن مسواك الأراك يحوي كثيراً من المواد المطهرة والمنظفة

والقابضة والمانعة للنزف الدموي والقاتلة للجراثيم، وذكر تفاصيل وأسماء تلك المواد، والرسائل الجامعية العلمية التي تخصصت في فوائد السواك بالأراك .

(٦) العسل :-

قال ﷺ : «إن كان في شيء من أدويتكم خير : ففي شرطة محجم، أو شربة من عسل، أو لذعة بنار توافق الداء، وما أحب أن أكتوي» [بخ (٥٦٨٣ - ٥٦٩٧ - ٥٧٠٢ - ٥٧٠٤].

وقال ﷺ : «عليكم بالسنا [نبت يكتحل به] والسنوت [العسل]، فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام» [تر (٢٠٨٣)، مج (٤٣٦١)، صحيح].

أثبت الطب الحديث أن العسل يحتوي على معظم الفيتامينات الضرورية للجسم، أهمها : فيتامين " ب١، ب٢، ب٣، ب٥، ب٦ و هـ و أ. ويحتوي على بعض العناصر المعدنية، أهمها ما يساعد الهيموغلوبين على القيام بوظيفته، مثل الحديد والنحاس والمنغنزيوم.

ويحتوي على المعادن التي تدخل في تركيب كروماتين الخلايا، والصوديوم الموجود في الدم والسوائل المختلفة، والكالسيوم الذي يدخل في تركيب العظام والأسنان والدم، والكبريت الذي يدخل في بنية الجلد، والشعر، والأظافر، واليود الضروري لهرمونات الدرق، والبوتاسيوم، وعدد من الحموض، أهمها الفورميك والسيتريك، وحمض الخل اللبن، والكتيك والبوتريك، والتانيك، والأكساليك، والطركريك. [د. الشطي : الطب النبوي، ص ٢٠٤].

ومن عجائبه أنه يقضي على الجراثيم. فقد أجرى عالم الجراثيم بجامعة كلورادو - الدكتور : د. ف. جساكيت - تجربة عليه، فكانت النتائج مذهلة، حيث قضي على كل الجراثيم خلال ساعات [د. الشطي : ص ٢٠٤].

وأدخل في وصفات علاجية كثيرة لعلاج أمراض الأجهزة الآتية :

التنفسي، والهضمي والعصبي والبولي.

واستخدم في علاج الجروح وأمراض الفم والجلد والعين، ومخفض للحرارة.

وثبت أنه غذاء ليس فيه فضلات، سريع التمثيل والامتصاص، وغذاء للشيوخ والناقهين، ويريح الكبد والكليتين، ويحتفظ بقيمته الغذائية مع مرور الزمن، ولا يتعفن [نفسه، ٢٠٤٢٥ - ٢٠٨].

ولقد كشف علماء من جامعة واشنجطن الأمريكية أن العسل قادر على منع الإصابة باحتشاء عضلة القلب، وذلك لاحتوائه على سكر طبيعي. [انظر: صحيفة عكاظ السعودية، عدد رقم (١٨٨٩٧)، في الأربعاء ٧/ ٩/ ١٤٣٩هـ/ الموافق له ٢٣/ ٥/ ٢٠١٨م].

(٧) أبوال وألبان الإبل :-

ذكرنا في قصة سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين قول الرسول ﷺ : «ألا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبون من أبوالها وألبانها . . .».

لقد كشف عميد كلية المختبرات الطبية بجامعة الجزيرة السودانية، البروفسيور أحمداني، في ندوة نظمتها جامعته، كشف عن تجربة علمية باستخدام بول الإبل لعلاج أمراض : الاستسقاء وأورام الكبد، أثبت نجاحها لعلاج المرضى بتلك الأمراض.

وتحدث عن تجربة علاجية رائدة أخرى، وهي أثر حليب الإبل على معدل السكر في الدم، إذ أثبت انخفاض نسبة السكر في دم المرضى بدرجة ملحوظة .

وجاء في مقال بجريدة الاتحاد [٩٥١٥]، في ٧/ ٤/ ٢٠٠١م : أن النتائج الأولية للبحوث التي أجراها بعض الخبراء والعلماء أثبتت أن تركيب الأحماض الأمينية في حليب الإبل تشبه في تركيبها هرمون الأنسولين الذي يستخدم في علاج مرض السكري.

أكدت مجموعة من العلماء بقسم علوم الأغذية بكلية الزراعة بجامعة الفاتح بليبيا، أن ألبان الإبل هي الأفضل من حيث ثرائها بمكونات الغذاء، ومن حيث سلامتها تماماً فضلاً عن أنها تحتوي على مواد تقاوم السموم

والبكتريا، ونسبة كبيرة من الأجسام المناعية المقاومة للأمراض، خاصة للمولدين حديثاً. وقالوا: يمكن وصف حليب الإبل لمرضى الربو، والسكري، والدرن، والتهاب الكبد الوبائي، وقرح الجهاز الهضمي، والسرطان، وكشفوا عن أسرار أخرى [انظر موقع الخالدي بالإنترنت: www.alkhldi.8k.com].

(٨) حديث الذباب :-

قال ﷺ: «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله، ثم ليطرحه، فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء»، [٤٠ - ٥٧٨٢)].

لخص الدكتور خليل ملا خاطر، في كتابه: " الإصابة في صحة حديث الذبابة "، التقرير الذي نشرته مجلة "الأزهر" عدد رجب **١٣٧٨** هـ / مجلد **٣٠**، بعنوان: " كلمة الطب في حديث الذباب " برهن على صدق ما أخبر به ﷺ، ودل ذلك على معجزة من معجزاته الكثيرة. وكان كالتالي:

أ/ أن الذباب يحمل الجراثيم على أطراف أرجله وطرف خرطومه وأطراف أجنحته وفي برازه.

ب/ أن هذه الجراثيم هي عنصر المرض، خاصة الكوليرا والدوسنتاريا والتيفوئد، وهو ما عبر عنه الحديث بـ(الداء) والجراثيم هي السبب العادي للمرض.

ج/ الاكتشافات العلمية الحديثة للمضادات الحيوية من الذباب، وهذا كافٍ في الدلالة على القطع بوجود عنصر " الشفاء " المذكور في الحديث.

د/ تخرج هذه المضادات الحيوية من فتحات ومفاصل حلقات بطن الذبابة.

هـ/ هذا المضاد الحيوي مأخوذ من الفطريات الموجودة ضمن خلايا جسم الذباب، في الطبقة الدهنية، وهي القسم الأخير من الذبابة، بما في ذلك تحت الجناحين.

و/ تخرج هذه الفطريات الحاملة للمضاد الحيوي بفعل ضغط على الخلية.

ز/ إن هذا المضاد الحيوي الذبابي، يعتبر من أقوى المضادات الحيوية، وهو كاف للقضاء على جراثيم غرام سالب وغرام موجب، بما في ذلك الجراثيم التي يحملها الذباب نفسه.

وكل هذا المذكور مطابق لمنطوق الحديث الشريف، مما يدل على الإعجاز. [المرجع نفسه].

وذكر د. خاطر نتائج أبحاث أخرى عديدة في هذا المجال، خاصة : الأبحاث التسعة التي وصلته من جامعة لندن، والمتعلقة باستخراج السموم من الذباب، وهو ما يوافق الشطر الأول من الحديث وبحث المستر دريد، مدير مصلحة الكورنتينات المصرية الأسبق، قبل نحو خمسين عاماً، في بحثه الذي يفيد بأن الذباب إذا سقط على شيء أكل منه استحال في جوفه إلى مادة تسمى " البكتريوفاج "، تستخدم في قتل الجراثيم، التي تتركها الذبابة بأطرافها. وقالوا إن الذباب يتقيأ هذه المادة إذا مات بأسفكيا الغرق، وإن هذه المادة استعملت مصلاً، وعلاجاً للأمراض المتوطنة. [أنظر تفاصيل وأدلة أكثر عند : د. مهدي : السيرة (٢/ ٥١١)].

(٩) النخالة : (الرَّدَّة)

قال سهل بن سعد رضي الله عنه : (ما رأى رسول الله ﷺ النقي من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله ...) [بخ ٥٤١٠، ٥٤١٣، أحمد (٢٢٨١٤)، تر (٢٣٦٤)، مج (٣٣٣٥)].

إن المعجزة في هذا الأثر هو تأكد الطب منذ عهد قريب من وجود علاقة بين نقص أو غياب النخالة من الطعام، وكذلك الألياف الموجودة في الخضروات والفواكه، وبين مجموعة من أمراض القناة الهضمية التي تصيب الإنسان، ويؤدي بعضها إلى هلاكه، أهمها :

(١) الإمساك المزمن، الذي من مضاعفاته : -

(أ) البواسير (ب) فتق جدار البطن (ج) فتق الحجاب الحاجز

بين محتويات البطن والصدر.

(٢) الرَّدْب : [عبارة عن ظهور نتوءات كثيرة في الأمعاء الغليظة]. وللردب مضاعفات خطيرة منها : -

(أ) الالتهاب الردبي.

(ب) الانثقاب الردبي.

(ج) إنسداد الأمعاء.

(د) النزيف الدموي المعوي.

(هـ) الناسور.

(٣) سرطان الأمعاء الكبيرة الخبيث : -

وللوقاية من هذه الأمراض أو علاجها لا بد من وجود النخالة في الطعام [د. فاروق مساهل : الإعجاز الطبي في الحديث النبوي، النخالة، مقال بمجلة : "الوعي الإسلامي "، عدد ٢٤٠، ذو الحجة ١٤٠٤ هـ / سبتمبر ١٩٨٤، ص ٦٣ - ٦٥ باختصار شديد. وانظر د. مهدي : السيرة (٢/ ٥١١ - ٥١٣)] .

(١٠) الختان :-

قال ﷺ عن ختان الرجال : «الفطرة خمس : الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر ونتف الإبط. [بخ (٥٥٥٢) واللفظ له، م (٢٦١)] وعنده أنهن عشرة، وعددهن هنا].

كشف العلم الحديث أن عدم الختان للذكور لها مضاعفات، منها :-

إن الإفرازات قد تتجمع خلف القلفة، مما يؤدي إلى الإلتهابات المزمنة في الحشفة . . . وإلى تكوين أنسجة ليفية من شأنها أن تؤدي إلى ضيق فتحة البول، مما يؤدي بالتالي إلى احتباس البول، ويندر جداً في المختونين.

ووجد أن سرطان القضيب من أسبابه عدم الختان.

وتكمن الجراثيم في القلفة وتنتهز الفرصة أثناء الاتصال الجنسي،

فتدخل للمهبل، والرحم، والمبيض، وتعشعش فيها، مما يؤدي إلى تأخر الحمل، بل إلى العقم أيضًا. [محمد كامل عبد الصمد: الإعجاز العلمي في الإسلام، السنة النبوية - ص: ٣٨].

وطالبت منظمة الصحة العالمية وبرنامج الأمم المتحدة لمكافحة الإيدز بإدراج ختان الرجال ضمن استراتيجيات الوقاية من نقل مرض فيروس الإيدز.

وتفيد توصيات خبراء دوليين في الصحة العالمية أن بالإمكان إنقاذ ملايين الأشخاص، ولا سيما في إفريقية، في حال تعميم الختان. ولجنوبي إفريقية تجربة فيها.

(١١) الاتصال الجنسي أثناء المحيض :-

قال ﷺ عن العلاقة بين الرجل وزوجته أثناء المحيض: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» [م (٢٣٠٢)].

أثبت العلم الحديث أن إدخال القضيب إلى الفرج والمهبل في أثناء المحيض، ليس إلا إدخالاً للميكروبات في وقت لا تستطيع فيه أجهزة الدفاع أن تقاوم. كما أن وجود الدم في المهبل والرحم يساعد على نمو تلك الميكروبات وتكاثرها، وانتقال الأذى إلى الرجل إذا جامعها في هذه الحالة. وقد يكون الجماع أثناء المحيض سبباً في سرطان عنق الرحم [عبد الصمد، ص: ٤٦].

(١٢) استخدام التراب في غسل سؤر الكلب :

قال ﷺ: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فَلْيُرِقْهُ ثم ليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب» [بخ (١٧٠، م (٢٨٠، ٦٤٦، ٦٤٩]، وفي لفظ مسلم: «وعَفّرُوه الثامنة في التراب».

كشفت الأبحاث العلمية الحديثة أن الكلب ينقل إلى الإنسان كثيراً من الأمراض، منها: الجرب، وداء الكلب، وهو داء خطير قاتل، ومرض "

كسيت إيداتيك " الذي يتولد بدخول بيوض الدودة المسماة : " تيتا أكنيا كوكس " ، وتوجد بكثرة في أمعاء الكلب، وغيرها من الأمراض، [وانظر : (د. عبد الله المصلح وآخرون : الإعجاز العلمي. ص : ٣٠٤)].

وثبت أن التراب عامل كبير على إزالة البويضات والجراثيم، وكذلك لأن ذرات التراب تندمج معها، فتسهل إزالتها جميعاً

كما قد يحتوي التراب على مواد قاتلة لهذه البويضات. [عبد الصمد، ص ٥٠ - ٥١].

وقام العلماء في العصر الحديث بتحليل تراب المقابر ليعرفوا ما فيه من الجراثيم، وكانوا يتوقعون أن يجدوا فيه كثيراً من الجراثيم الضارة، وذلك لأن كثيراً من البشر يموتون بالأمراض الأنتانية الجرثومية، ولكنهم لم يجدوا في التراب أثراً لتلك الجراثيم الضارة المؤذية، فاستنتجوا من ذلك أن للتراب خاصية قتل الجراثيم الضارة، ولولا ذلك لا نتشر خطرها واستفحل أمرها. [عبد الحميد طهماز : الأربعون العلمية - من الإنترنت].

(١٣) تحريم زواج الإخوة من الرضاع :

قال ﷺ : «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» [بخ (٥٠٩٩)، م (١٤٤٤)] وفي لفظ مسلم : « . . . . . من الولادة».

أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة وجود أجسام في حليب الأم المرضعة الذي يترتب على تعاطيه تكوين أجسام مناعية في جسم الرضيع بعد جرعات تتراوح من ثلاث إلى خمس جرعات، وهذه هي الجرعات المطلوبة لتكوين الأجسام المناعية في جسم الإنسان، حتى في حيوانات التجارب المولودة حديثاً، والتي لم يكتمل نمو جهازها المناعي. فعندما ترضع اللبن تكتسب بعض الصفات الوراثية الخاصة بالمناعة من اللبن الذي ترضعه، وبالتالي تكون مشابهة لأخيها أو لأختها من الرضاع في هذه الصفات الوراثية.

ولقد وجد أن تكون هذه الجسيمات المناعية يمكن أن يؤدي إلى

أعراض مرضية عند الإخوة في حالة الزواج [عبد الصمد، ص ١٠٩].

(١٤) تحريم الخمر :

قال ﷺ لطارق بن سويد الجعفي رضي الله عنه عندما قال إنه يصنعه للدواء : «إنه ليس بدواء، ولكنه داء». [مسلم ١٩٨٤م].

أثبت الطب الحديث الآثار الضارة على كل جسد الإنسان وعقله.

قال الطبيب " لا نسروا " : (إن إدمان الغول [الخمر] يحدث ضمور المبيض عند المرأة). وقال الطبيب " برقوله " : (شاهدت أثناء تشريح جثث مدمني السُّكر ضموراً وتصلباً في الخصي، ولم أشاهد الحيوانات المنوية في ٨٦٪ من الحوادث التي شرحتها. وهذا يوضح لنا أسباب العقم والعنة المشاهدين عند كثير من مدمني الخمر).

(١٥) التدخين :-

عن أم المؤمنين، أم سلمة رضي الله عنها قالت : (نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر) [هم (٢٦٦٣٤) صحيح لغيره].

والمسكر كما هو معلوم : هو كل ما يذهب العقل من خمر أو مخدرات، والمفتر هو الدخان.

ولأن التدخين يضر بكل أعضاء الجسم، تبنت هيئة الصحة العالمية التحذير من أخطاره. وهو بالإحصاء " تجارة الموت الخاسرة "، وهذا عنوان كتاب نشرته الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط، **١٤١٤** هـ.

وأصدر الأستاذ الكبير، المحامي الأمريكي " لاري وايت "، كتاباً قدم له وزير الصحة الأمريكي، بعنوان : " Merchants of Death ". أي : [تجار الموت] ويعني بهم [تجار التدخين].

ومن الأمثلة على أضرار الدخان الصحية أن هيئة الصحة العالمية نشرت عام ١٩٨٦م تقريراً مفاده : أن التدخين يتسبب في ٩٠٪ من حالات سرطان

الرئة، و٩٠٪ من سرطان الحنجرة، و ٧٥ ٪ من حالات الالتهاب الشعبي المزمن، وانتفاخ أسناخ الرئة، والتهاب الجيوب الأنفية، وحساسية الأنف، وأمراض الحساسية والربو.

ومن السرطانات التي يلعب التدخين دوراً رئيساً فيها : سرطان الفم والشفة واللسان والحنك واللثة والبلعوم والمريء والبنكرياس والكبد والمثانة والكلى وعنق الرحم والثدي وغيرها.

(١٦) ماء زمزم :-

قال ﷺ عن ماء زمزم : «إنها مباركة، إنها طَعَامُ وطُعْم»، أي تشبع كالطعام. [م (٢٤٧٣) وقال : " ماء زمزم لما شرب له (حم حسن ١٤٨٤)].

قال الشيخ عبد الرشيد إبراهيم، التركي الأصل، الروسي الجنسية، صاحب الرحلة المشهورة : " عالم الإسلام " إنه جربه لعلاج أمراض المثانة والعيون، فنجح فيها بحمد الله تعالى. [أحمد عبد الله الباتلي : " ماء زمزم لما شرب له "، مقال بمجله الحرس الوطني، السنة ١٥، عـ ١٤٢، ذو الحجة ١٤١٤ هـ / مايو - يونيو ١٩٩٤م، ص ٣٢].

وقال الباتلي : [نفسه، ص ٣٣] (وهناك سيدة مغربية ألفت كتاباً عنوانه) " فلا تنس الله، ذكرت فيه أنها أصيبت بالسرطان، وقال لها الأطباء : (لا علاج لهذا السرطان)، فلما ذهبت إلى مكة، داومت على شرب ماء زمزم أياماً، ثم قالت : (وجدت أن الكريات الحمراء التي كانت تشوه جسدي قد اختفت نهائياً).

وشفيت امرأة تدعى يسرية عبد الرحمن حراز من قرحة قرمزية في عينها اليسرى بعد استعمالها ماء زمزم. [محمد كامل عبد الصمد : الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة، نقلا عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة : م. نايف منير فارس، ص ٥٠٣].

ويقول الدكتور فاروق عنتر إن حصاة في الحالب خرجت عندما شرب ماء زمزم، ولم تخرج بالأدوية، ونصحه الأطباء قبل هذا بعملية جراحية،

فجرب ماء زمزم، وكانت المعجزة التي تمثلت في نزول الحصوة مع أول بول بعد شرب ماء زمزم. [م. منير فارس، ص ٥٠٤ - ٥٠٥].

ومن أحدث معجزات الشفاء بماء زمزم قصة امرأة سودانية: تدعى إخلاص مضوي بركات - نحو الخمسين عامًا من العمر - ارتخت حبالها الصوتية، وبدأت رحلة العلاج إلى الهند، ترانزيت جدة، فكانت فرصة أداء عمرة. وعندما شربت ماء زمزم، كانت المفاجأة أن ردت السلام على امرأة بالحرم بصوت واضح!! هكذا حكى لنا القصة قريبها عمر الشيخ الدبيبابي، جليسنا في حلقة التلاوة بمسجد الشهيد محمد عبده بالخرطوم، حي المعمورة، مربع ٨١، الثلاثاء ١١/ ٣/ ٢٠١٤م.

(١٧) الصيام :

قال ﷺ : «عليك بالصوم فإنه لا مِثْلَ له» [النسائي : السنن الكبرى (٢١٩٠) - صححه الألباني].

أثر الصيام الإسلامي في الوقاية من الأمراض :

قام الباحثان : رياض البيبي وأحمد القاضي بنشر بحوثهما في هذا الخصوص، خاصة إفرازات الأمعاء للسموم، وتناقص نسبة التخمر الذي يسبب دمامل وبثوراً مستمرة، أخضع الباحثان متطوعين للتجارب من مختلف الأعمار، ومن الجنسين، وهم في حالة الصيام الإسلامية، لمراقبة دقيقة، وفحوص طبية عديدة على مدى أيام متتالية في رمضان، وكانت النتيجة :

١/ تخفيض الانفعالات النفسية على الرغم من الاستثارات المختلفة التي تعرض لها الصائمون.

٢/ كان هناك انخفاض واضح في سُميات الجسم.

٣/ مقارنة مع حالة نفس المجموعة عندما لم يكونوا صائمين، انخفضت الدهون الخفيفة [الضارة بالصحة] في فترة الصيام، مقارنة بها قبل وبعد الصيام.

كما أثبتت العديد من البحوث أن الصيام يقوي جهاز المناعة لدى الصائم، فيقي الجسم من أمراض كثيرة.

الصيام الإسلامي وأثره في كبح الرغبة الجنسية :

قال ﷺ : «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجَاء».

وجد العلماء المحدثون أن الصيام الإسلامي مثبط للرغبة الجنسية وكابح لها.

الصيام الإسلامي وزيادة الخصوبة :

أجرى الدكتور سمير عباس، والدكتور عبد الله باسلامة، بكلية الطب، جامعة الملك عبد العزيز، بالمملكة العربية السعودية " في عام ١٩٨٦م " ، دراسة للنظر في مستوى الخصوبة عند الرجال في الحياة الطبيعية، ومدى تأثير الصيام بالطريقة الإسلامية على ذلك. وكانت النتيجة أن الصيام الإسلامي يزيد الخصوبة عند الرجال.

ولاحظ الباحثان من إحصاءات المستشفى الجامعي بجدة، أن عدد حالات الحمل تصل إلى معدل كبير في شهر شوال، مقارنة بشهور السنة الأخرى.

حصول التوازن بين آليات الهدم والبناء في الجسم أصبح واضحاً لدى علماء الطب أن إعطاء فرصة للجسم ليتوقف عن البناء وتخزين الطاقة أمر في غاية الأهمية لتجدد الخلايا وذلك بالتخلص من الخلايا الهرمة والإنزيمات المستهلكة.

علاج الصيام لبعض الأمراض :

جاء في بحوث منشورة أن الصيام الإسلامي يعالج عدداً من الأمراض الخطيرة، أهمها :

١/ الأمرض الناتجة عن السمنة : كمرض تصلب الشرايين وضغط الدم،

وبعض أمراض القلب.

٢/ يعالج بعض أمراض الدورة الدموية الطرفية مثل : مرض الرينود ومرض برجر.

٣/ يعالج مرض التهاب المفاصل المزمن (الروماتويد).

٤/ يعالج ارتفاع حموضة المعدة، وبالتالي يساعد في التئام قرحة المعدة مع العلاج المناسب.

٥/ الوقاية من مرض داء الملوك (النقرس).

٦/ يساعد على عدم تكون بعض الحصيات الكلوية.

٧/ تنشيط الذاكرة، كما أكد ذلك بتجربته الخاصة الصحافي "توم برنز، من مدرسة كولمبيا للصحافة" .

[انظر : www.khayam.com/ashab/tab-albadat-malafat/alsum-foued].

هل يؤثر الصيام الرمضاني المتكرر سلباً على مرضى زرعت لهم كلى ؟ :

طرح هذا السؤال مجموعة من الباحثين بقسم طب الكلى وأمراضها وزراعة الكلى، بمستشفى الملك فهد وجامعة الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم الصحية، ومدينة الملك عبد العزيز الطبية، بالرياض - السعودية.

وكانت الإجابة بعد الأبحاث التي أجريت أن الصيام لا يؤثر سلباً على المرضى الذين زرعت لهم كلى [لزيادة المعلومات أنظر : م.فارس : الإعجاز - ص ٣٤٥ - ٣٥٢].

(١٨) لحم الخنزير :

قال ﷺ : «من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه» [م (٢٢٦٠)].

قال النووي في شرحه لهذا الحديث : (والنردشير هو النرد، فالنرد أعجمي معرب، وشير معناه حلو- نسبة إلى واضعها أردشير بابك، من ملوك الفرس - ومعنى صبغ يده في لحم الخنزير ودمه في حال أكله منهما، وهو

تشبيه لتحريمه بتحريم أكلهما). والنرد : هو مايعرف الآن بلعبة الطاولة.

وعن أبي ثعلبة الخشني، أنه سأل رسول الله ﷺ، قائلاً : (إنا نجاور أهل الكتاب وهم يطبخون في قدورهم الخنزير، ويشربون في آنيتهم الخمر)، فقال رسول الله ﷺ : «إن وجدتم غيرها فكلوا فيها وأشربوا» [د (٣٨٣٩) - صحيح].

فحديث مسلم وأبي داوود صريحان في حرمة لحم الخنزير، أما ما جاء في تحريمه ضمناً، فعند الإمام أحمد [(١٧٧٥٢) - صحيح ؛ والبخاري (٥٤٨٨، ٥٤٩٦)].

لقد وصف القرآن الكريم حيوان الخنزير بأنه رجس : ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ﴾ [الأنعَام: ١٤٥]، والرجس : الشيء القذر، والأقذار والنجاسات هي السبب الأكبر في إصابة الإنسان بالأمراض المختلفة، لما فيها من جراثيم وطفيليات ؛ فالخنزير ينقل إلى الإنسان كثيراً من الكائنات الدقيقة الخطرة.

يصاب الخنزير بعدد كبير من الأمراض الوبائية لا تقل عن (٤٥٠) مرضاً، ويقوم بدور الوسيط لنقل أكثر من (٧٥) مرضاً وبائياً للإنسان غير الأمراض العادية الأخرى التي يسببها أكل لحمه، مثل : تليف الكبد وعسر الهضم والحساسية الغذائية وتصلب الشرايين وتساقط شعر الرأس وضعف الذاكرة والعقم، وتنشيطه لمرض الربو والروماتيزم وكثرة الأكياس الدهنية، علاوةً على آثاره السيئة على العفة والغيرة في التكوين النفسي.

وينقل الخنزير بمفرده (٢٧) مرضاً إلى الإنسان، وينتقل أكثر من (١٦) مرضاً من الخنزير إلى الإنسان عن طريق تناوله لحمه ومنتجاته ؛ وأهم هذه الأمراض، هي : الحويصلات الخنزيرية، والحمى المتموجة، والدودة الكبدية، وداء وايل، وداء المكبسات اللحمية، والتهاب السحايا والمشيمة، وداء اليرقانات الشريطية الجوالة، وداء الدودة الوحيدة المسلحة، وداء المصورات الذيفانية المقوسة، وداء الشعريات الحلزونية، والديدان

السوطية، وداء السل، وداء المبيضات الفطرية، والالتهابات المعوية بجراثيم السالمونيلا والشايجالا، وغير ذلك.

كما تنتقل عن طريق المخالطة والتربية أو التعامل مع منتجات الخنزير ومخلفاته عدة أمرض لا تقل عن (٣٢) مرضاً، وأكثر الناس إصابة بها هم عمال الزرائب والجزارات والأطباء البيطريين. وأهم هذه الأمراض، علاوة على بعض الأمراض السابقة، والجمرة الخبيثة، الكَلب الكاذب، الزحار الزقي، الحمى القلاعية، الحمرة الخنزيرية، الديدان الرئوية الخنزيرية، الجرب الفائر، السعار، داء النوم، الديدان القنفذية، وغير ذلك.

كما تنتقل عدة أمراض لا تقل عن (٢٨) مرضاً، عن طريق تلوث الطعام والشراب بمخلفات الخنزير. [أ.د. عبد الله المصلح و د. عبد الجواد الصاوي وآخرون : الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، من ص ٣٠١-٣٠٢].

(١٩) مفاصل الإنسان :

عن أم المؤمنين عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال : «إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل. فمن كبر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجراً عن طريق الناس، أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس، وَأَمَرَ بمعروف أو نهى عن منكر، عَدَدَ تلك الستين والثلاثمائة السلامى، فإنه يمشي يومئذٍ وقد زحزح نفسه عن النار». [م (١٠٠٧)].

قال بريدة ﵁ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «في الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة». قالوا : (فمن الذي يطيق ذلك يارسول الله ؟) قال : «النخامة في المسجد تدفنها، أو الشيء تنحيه عن الطريق، فإن لم تقدر فركعتا الضحى تجزئ عنك». [حم (٢٢٩٩٨)، صحيح لغيره].

المفصل هو الالتقاء بين أي عظمتين أو عظمة وغضروف أو غضروفتين،

في أي موضع بجسم الإنسان، مادام بينهما فاصل.

والإعجاز هنا : أثبت الطب الحديث أن عدد المفاصل الموجودة في الجسم البشري (٣٦٠) مفصلاً في زمن يستحيل فيه معرفة هذا العدد بهذه الدقة، حيث أن معظم هذه المفاصل دقيقة، وفي أماكن يصعب تحديدها بالملاحظة المجردة. ولم تحدد المفاصل بدقة إلا بعد تقدم علم التشريح وعلم الأنسجة. [د. المصلح وآخرون : الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص ٧٥-٧٧].

(٢٠) معجزة عَجْبِ الذَّنَبِ :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال : «كل أبن آدم يأكله التراب إلا عَجْبَ الذَّنَبِ، منه خلق وفيه يركب». [م (٢٩٥٥)].

وفي لفظ آخر له : «وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً هو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة». [م (٢٩٥٥)، واللفظ له، وأخرجه البخاري].

وفي لفظ آخر لأبي هريرة أيضاً : «إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً، فيه يركب يوم القيامة»، قالوا : (أي عظم هو يا رسول الله ؟) قال : «عجب الذنب». [م (٢٩٥٥/ ١٤٣)].

عجب الذنب والحقيقة العلمية :

إن عجب الذنب في علم الأجنة هو : [الشريط الأولي، الذي يتكون إثر ظهور كافة طبقات الجنين، وخاصة الجهاز العصبي، ثم ينكمش ويندثر هذا الشريط، ويبقى منه أثر داخل الفقرات العصعصية الأخيرة، وهو ما يسمى بعظم العصعصي (عجب الذنب)]. [انظر المصلح : الإعجاز العلمي، ص ٧٠-٧١].

إن من أبرز وجوه الإعجاز في الحديث، أن هذا الشريط الأولي لا يتعرض للفناء مهما تعرض للظروف القاسية، كالنيران الشديدة أو المواد الحارقة مثل حمض الكبريت المركز، أو غيرها، وقد حفظه الله عز وجل دليلاً على صدق نبينا ﷺ ؛ فكما خلق منه الانسان في المرة الأولى يعاد

تركيبه في المرة الثانية للبعث والنشور والوقوف بين يدي الخالق عز وجل. [نفسه، ص : ٧٤].

(٢١) عودة جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً :

قال ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيضَحتى يخرجَ الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً» [م (١٦٨١) واللفظ له ؛ حم (٨٤٧٧)، ٩٠٢٦)].

إن وجه الإعجاز في هذا الحديث أن العلم الحديث قد أثبت أن جزيرة العرب كانت مروجاً وأنهاراً، وأنها ستعود كما كانت قبل قيام الساعة. وتجد الأدلة مفصلة عند الأستاذ الدكتور المصلح وآخرين في كتاب : [الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص ص ١٠٦-١١٢].

(٢٢) إعجابه بالبطيخ بالرطب:

قالت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يأكل البطيخ بالرطب. [تر (٤/ ١٨٤٣؛ د (٣/ ٣٨٣٦) صحيح؛ أبو الشيخ: أخلاق النبي ﷺ وآدابه - تحقيق الضبايطي، ص ٢٢٢/ برقم ٦٦٨ - وصححه].

وقالت في لفظ: (أن النبي ﷺ كان يعجبه البطيخ بالرطب) [أبو الشيخ أخلاق النبي ﷺ - تحقيق الضبايطي، برقم (٦٧٣)، وصححه).

وجاء عنها في لفظ: (أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرطب والبطيخ [أبو الشيخ: الأخلاق - الضبايطي، برقم (٦٧٨)، وصححه؛ أحمد (٣/ ١٤٢، ١٤٣) - صحيح].

جاء في صحيفة الانتباهة (السودانية)/ الاثنين ١٢ شعبان ١٤٣٠هـ/ ٣/ ٨/ ٢٠٠٩م، ص ١٦ -الأخيرة بعنوان: البطيخ مضاد جيد للأكسدة-: «أكد الدكتور محمد الحوفي - أستاذ علوم الأغذية بجامعة عين شمس المصرية، أن للبطيخ فوائد عديدة، وتحديدًا احتواءه على كمية من مضادات الأكسدة الحمراء اللون أكثر مما هو موجود في الطماطم، طبقًا لرابطة القلب الأمريكية، حيث ثم تصنيفه ضمن قائمة المنتجات النباتية المفيدة للقلب.

فالبطيخ مصدر ممتاز لفيتامين «سي»، حيث أن قطعة البطيخ وزن ١٦٠ جرامًا، وهي ما مقداره كوب بحجم ربع لتر تحتوي على ٢٥٪ من حاجة الجسم اليومية لهذا الفيتامين. وهو كذلك مصدر جيد جدًا لفيتامين «أ» و«ب» و. وذلك لأن القطعة الواحدة منه تحتوي على ١٠-١١٪ من حاجة الجسم اليومية لكل من هذه الفيتامينات، وهو أيضًا مصدر جيد للبوتاسيوم والمغنسيوم، لاحتواء التقديمة منه على نحو ٧٪ من حاجة الجسم اليومية لهما. ويمتاز البطيخ أيضًا بارتفاع نسبة السوائل به، التي تشكل ٩٢٪ من محتواها. وعليه تصبح الفيتامينات بتركيز عالٍ مع طاقة أو سعرات حرارية أقل، بخلاف الفاكهة الأخرى الحلوة والقليلة الماء.

وجاء على شبكة الإعلام العربية محيط-: (Moheet.com) أن البطيخ أقوى من الفياجرا والزينيكال: «ويفيد خبراء التغذية أن البطيخ علاج مفيد لبعض الأمراض، إلى جانب أنه غداء مهم لاحتوائه على كمية، كبيرة من الحديد والماغنسيوم يمتصها الجسم بسهولة، وهو مفيد في علاج أمراض التهاب الكبد والحويصلة الصفراوية، كما أن له فوائد في علاج الجهاز الهضمي والإمساك والتخلص من السمنة. مشيرين بحسب صحيفة «الجمهورية» المصرية، إلى أن البطيخ على عكس ما هو معروف عنه يحتوي على نسبة قليلة من الأحماض الأمينية، وكثير من الفيتامينات، مثل: ب^{1} وب^{2} وج. وذلك مفيد في تحسين الوظائف الهضمية. كما يحتوي أيضاً على أملاح: البوتاسيوم والصوديم والكالسيوم؛ كما يفيد في إدرار البول، والوقاية من تكوين الحصى بالكلى والتهاب غشاء القولون من الأمراض الطفيلية، كما أن به نسبة عالية من الألياف تساعد على مقاومة الأمراض السرطانية.

(من جانب آخر أثبتت دراسة علمية أمريكية حديثة أن البطيخ وبذوره وقشره مفيد لحصى الكلى والمثانة، بل ويزيد من إدرار اللبن عند الأمهات المرضعات، وهو ملطف للأنسجة المخاطية؛ أما لب البطيخ فيحتوي على 1.27 بروتين و5.15 كاربوهيدرات و٤٢٪ دهون.

(وتؤكد الدراسة أن البطيخ يحتوي على نسبة عالية من الألياف الكثيفة. وهذا قد يسبب لبعض الأفراد متاعب بالجهاز الهضمي، خاصة للذين لديهم اضطرابات بالقولون أو حساسية الأمعاء، لذلك يفضل أن يتناولوه عن طريق المص وعقب وجبة الطعام، حتى لا يرهق المعدة والأمعاء؛ أما إ ذا تم تناول البطيخ دون مص فينصح بعدم أكله مباشرة عقب وجبة الطعام، حتى لا يكون سببًا في عسر الهضم؛ ويفضل تناوله بعد الأكل بفترة زمنية مناسبة.

(يتميز البطيخ الأحمر بنفس قوة الفياجرا، ويتفوق عليها في الفائدة. هذا ما أكدته دراسة طبية نشرت على موقع (ساينس ديلي) العلمي الإلكتروني - حيث إ ن الفياجرا مهمتها تنحصر في تنشيط الدورة الدموية في عضو واحد في الجسم بينما البطيخ الأحمر ينشط الدورة الدموية في كل الجسم بدون أية أعراض جانبية. وأشارت الدراسة التي قدمها باحثون في جامعة (إي آند إم (A & M) الأمريكية في تكساس - إلى أن البطيخ الأحمر يحتوي على مكونات تؤدي إلى نفس تأثيرات الفياجرا في توسيع الأوعية الدموية، كما يحتوي البطيخ الأحمر وعدد من الفواكه والخضروات الأخرى على مواد «فيتو» الغذائية، ومنها «لايكوبين» و«بيتاكاروتين» و«سترالين» والتي تقود إلى حدوث تفاعلات جيدة داخل الجسم البشري.

وعثر الباحثون - الذين ظلوا يدرسون لفترة طويلة هذه الفاكهة الحلوة - على ما وصفوه بمواد طبيعية «معزِّزة» للجسم البشري. وقالوا إنهم يعتقدون أن مادة «سترالين» هي التي تمتلك القدرة على توسيع الأوعية الدموية واسترخائها كما تفعل الفياجرا، وعندما يتناول الإنسان البطيخ الأحمر فإن «سترالين» تتحول إلى الحمض الأميني «أرجنين»، والذي «يصنع المعجزات للقلب والدورة الدموية»، ويعزز جهاز المناعة» ويذكر، أن العلماء عثروا أيضًا على تركيزات عالية لمادة «سترالين» في قشرة البطيخ الأحمر؛ ولأن القشرة لا يتم تناولها مع لب البطيخ فإن الباحثين سيتوجهون لإنتاج نوع مهجن منه يحتوي على تركيز عال لهذه المادة الحيوية.

وكشفت نتائج دراسة علمية عن أن حمضاً أمينياً يوجد في عصير البطيخ والجوز وغيرها من الأطعمة يلعب دورًا في محاربة البدانة. ووجد باحثون من جامعة تكساس أن نسبة الدهون في جسم فئران التجارب انخفضت بنسبة ٦٠٪ عندما تناولت على مدى ١٢ أسبوعًا أطعمة أضيف لها حمض «أجينين» الأميني "Acid Amino Arginine" . ويعتقد الباحثون أن هذه النتائج يمكن ترجمتها في محاربة بدانة البشر، مؤكدين أن البطيخ غني بمضادات الأكسدة، ومصدر جيد لفيتامين (ج) وفيتامين (أ) في صورة البيتاكاروتين، وبفيتامين (ب١)، و(ب٦) .

وأفاد الدكتور إينسلي - عالم التغذية الأمريكي - إلى أن عصير البطيخ يقي من حمض التيفوئد، كما أنه يفيد المصابين بالروماتيزم أنه وأفادت دراسة طبية صينية أن قشر البطيخ يتسم بفعالية كبيرة في علاج خمسة أمراض؛ هي: ارتفاع ضغط الدم المزمن، والتهاب الكلى، واحتباس البول، والاستسقاء، والإمساك المزمن.

وحسب الدراسة التي أعدها معهد الطب الحيوي ونشرتها مجلة الأبحاث الطبية الصينية المعنية بالشؤون الطبية، فقد تم استخلاص النتيجة بعد أبحاث وتجارب أجريت على مدار ثلاثة أعوام، وشملت نحو تسعة ملايين مريض من المقاطعات الصينية الإحدى والثلاثين.

وتنصح الدراسة مرضى ارتفاع ضغط الدم بتجفيف قشر البطيخ ثم طحنه حتى يتحول إلى مسحوق يؤخذ منه عشرون جرامًا ويقلب جيدًا في الماء حتى يصل إلى درجة الغليان، ثم يحتسيه المريض يوميًا لمدة لا تقل عن شهر دون توقف.

أما مرضى التهاب الكلى فتنصحهم الدراسة بتقطيع قشر البطيخ قطعًا صغيرة جدًا ووضعها في الماء وتقليبها على النار حتى تتحول إلى عجينة تحفظ في وعاء زجاجي محكم الإغلاق، ويتناول منه المريض ملعقة واحدة على الريق لمدة لا تقل عن ثلاثة أسابيع.

وبالنسبة لمرضى الاحتباس البولي، والاستسقاء، والإمساك، فعليهم تقطيع قشر البطيخ قطعًا صغيرة ووضعها في الماء، مع إضافة شرائح رقيقة من البندورة أو بياض بيضة واحدة بعد فصله عن الصفار، وأثناء ذلك يتم تقليبه على النار مدة خمس دقائق، ثم يشرب باردًا يوميًا لمدة خمسة أسابيع.

(٢٣) الدباء، [القرع، اليقطين]:

أخرج البخاري بسنده إلى أنس بن مالك ﷺ قال: (إن خياطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه، فذهبت مع رسول الله ﷺ، فرأيته يتتبع الدباء من حوالي القصعة، فلم أزل أحب الدباء من يومئذ). [بخ (١٩٥٠)]، وفي رواية ثانية: (فقرب إلى رسول الله ﷺ خبزًا ومرقًا فيه دباء وقديد» [بخ (٥٣٧٩)، ٦٥٧-٦٥٨؛ (٣٨٠٣)؛ د (٣٢٨٨)؛ الموطأ (١٠٠٣)؛ الدارمي (١٩٦١)؛ د (٣٢١٣)؛ الشمائل (١٣٥)].

وفي رواية عن أنس أيضاً ﷺ: أن النبي ﷺ كان يعجبه القرع. [أبو الشيخ: الأخلاق، (٦٥٤/ يتقوى)؛ حم ٣/ ١٦٠، و٣/ ١٧٤].

وفي رواية عن أنس ﷺ أيضاً: (كان رسول الله ﷺ يحب الدُّباء، فإذا كان عندنا منه شيء آثرناه به). [أبو الشيخ (٦٥٥)/ صحيح لما قبله].

وفي رواية عن أنس ﷺ أيضاً: (كان النبي ﷺ يكثر من أكل الدباء، فقلت: يا رسول الله، إنك تكثر من أكل الدباء. قال: «إنه يكثر الدماغ ويزيد في العقل» [أبو الشيخ (٦٦٣)/ ضعيف جداً].

يقول أحد المختصين: ما أحب عليه الصلاة والسلام شيئاً إلا وجدت في ذلك سراً عظيماً. فماذا في اليقطين:

تبلغ نسبة الماء فيه ٩٤,٧٪، ويحتوي على كمية قليلة من السكر والألياف، وتعطي المئة غرام منه ٦٥ حريرة فقط، فهو غذاء جيد لمن أراد إنقاص وزنه؛ وهو فقير جداً بالصوديوم، فهو يناسب المرضى المصابين بارتفاع ضغط الدم، وغني بالبوتاسيوم الذي يلزم الذين يتناولون الحبوب

التي تدر البول، كما أنه يحتوي على البوتاسيوم والكالسيوم والمغنيسيوم والفوسفور والحديد والكبريت والكلور. وهو غني بالفيتامينات، وفي طليعتها فيتامين (ا). [فارس: الإعجاز . . .، ص ٤٨١] و: (س) - بحسب إنعام اللوباني. وهناك أدلة حديثة تشير إلى أن اليقطين يفيد في الوقاية من السرطان. وقد نشرت مجلة الأبحاث البيوكيميائية عام ١٩٨٥م دراسة أجريت في المعهد الوطني للسرطان في الولايات المتحدة، أشارت هذه الدراسة إلى أن اليقطين فعلاً واقياً من السرطان الرئوي عند سكان نيوجرسي في الولايات المتحدة [قبسات من الطب النبوي، باختصار] [فارس، نفسه، ص ٤٨١].

وقد اكتشف العلماء الألمان حديثاً أن في القرع مواد ومركبات تعمل على تنشيط الخلايا الدماغية، وتنمي التلافيف المخية المسؤلة عن الاستيعاب والذكاء مثل مادة: (Encephalic - Stimulant). وهذا مصداقاً للحديث: «إنه يكثر الدماغ ويزيد في العقل»[١].

ويحتوي على عدد من المواد الفعالة، مثل: الكوركوبيتين - البيوتوزيد - حامض الترولين واللوسنين والبتروزين. ولبعض هذه المواد تأثير مقو لعضلة القلب ووظائف الكليتين، وتأثير ضد التهاب المجاري البولية، ويزيد من إدرار البول، وإزالة الشعور بالعطش[٢].

وقد أعطى تناول القرع المسلوق مع السكر والحليب نتائج عظيمة في معالجة تضخم البروستات[٣] عند الشيوخ وكبار السن، كما أن بذور القرع

---

(١) وقد أصدر العلماء الألمان مؤخرًا قراراً واجب التنفيذ في جميع المؤسسات المعنية لتعويد الطلاب والناشئين منذ باكورة أعمارهم على الإكثار من تناول القرع في وجبات غذائهم، كما يوصون كل العاملين في ميدان النشاط الذهني من مفكرين وخبراء ومدرسين ودارسين أن يركزوا على العناية بتناول هذه المادة الثمينة في غذائهم.

(٢) ويفتت الحصى والرمل في الكلى ويزيل التهاباتها.

(٣) لأنه يحول هورمون تستستيرون إلى هورمون أقوى، وهو المؤثر بشكل قوي على البروستاتا ونمو الخلايا فيها، وهذا يمنع تضخمها، كما ترى اختصاصية التغذية إنعام اللوباني.

تعمل على زيادة قدرة الإخصاب خصوصاً عند سحقها وخلطها مع بذور الشمام وبذور الخيار. وتفيد في تخليص الجسم من السوائل الزائدة، وتنصح به اللوباني للحمية.

ويحتوي على كميات وافرة من فيتامينات: (أ، ب، ج)، وبروتينات سهلة الهضم والامتصاص، ودهون، وعناصر معدنية كثيرة، مثل: الحديد والكالسيوم والبوتاسيوم والفوسفور والمنجنيز، وقد سبق ذكر معظم هذه العناصر.

وحسب اللوباني، فهو ملين للمعدة ومسكن للآلام ومريح للصدر. وتحتوي الثمار على مواد تتمتع بقدرة على تخفيف التقلصات، وكذلك طرد الديدان من الجسم، ومواد تتحد مع مستقبلات الكلوليسترول في الأمعاء، فتحول من دون امتصاصه في الدم، وبذلك يؤدي إلى خفض مستوى الكوليسترول في الدم.

وينشط الكبد، ويمنع اليرقان، ويزيل الصداع والشقيقة، خاصة النوع النفسي، أكلاً أو وضعاً على مكان الألم.

ومهدئ للأعصاب وأمراض النفس، ويزيل الحرارة والحمى، وينفع أمراض الصدر والسعال، وينشط اللثة، ويكافح أوجاع الأسنان، وملين للطبيعة. وبذره طارد للدود، خاصة الدودة الوحيدة، ويطرد الدودة الشريطية. ويعالج العجز الجنسي والأرق.

وتوصلت دراسة صينية إلى أن تناول اليقطين قد يعطي الفرصة لمرضى السكري من النوع الأول بعد أخذ حقن الأنسولين يومياً، أو التقليل من هذه الحقن بشكل كبير.

وأوضحت الدراسة أن لب اليقطين يقلل من الخلل في خلايا البنكرياس ويجعلها أكثر قدرة على إنتاج الأنسولين، مؤكدين أن هذه النتائج مهمة للغاية، . . . وما زالت هناك حاجة لإجراء المزيد من الدراسات لمعرفة

مدى إمكانية إصلاح الخلل في البنكرياس لدى الإنسان عن طريق لب اليقطين.

وينفع كعلاج للحروق والالتهابات.

ومن طرق الاستعمال:

- لطرد الدود: يقشر ٣٠ - ٥٠ جراماً من البذور، وتدق حتى تصبح كالعجينة، ثم تمزج بمقدار من الحليب، وتشرب لمدة ثلاثة أيام، ويؤخذ بعدها مسهل قوي.
- لعلاج العجز الجنسي: تؤخط كميات متعادلة من بذور القرع والخيار والشمام وتقشر وتدق وتذاب في السكر، وتؤخذ ثلاث ملاعق كل يوم.

(٢٤) التلبينة:

أخرج الأئمة: البخاري ومسلم وأحمد والترمذي بأسانيدهم إلى عائشة رضي الله عنها أنها قالت، قال ﷺ: «التلبينة مُجمَّة لفؤاد المريض، تَذْهَبُ ببعض الحُزن». لذا كانت إذا مات الميت من أهلها، فاجتمع لذلك النساء ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها، أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت، ثم صنع ثريد فصُبَّتْ التلبينة عليها، ثم قالت: كلن منها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «... الحديث» [بخ ٤٩٩٧؛ م ٤١٠٦، مج ٣٤٣٧، حم ٢٣٣٧١، ٢٤٠٣٦، ٢٣٣٦، ٢٣٣٦٠؛ تر ١٩٦٢].

ومن ألفاظ أحمد (٣٤٣٧): « ... عليكم بالبغيض النافع: التلبينة»، وقالت: (وكان رسول الله ﷺ إذا اشتكى أحد من أهله لم تزل البرمة على النار حتى ينتهي أحد طرفيه - يعني يبرأ أو يموت).

وفي لفظ لأحمد (٢٤٠٣٦ و٢٣٣٦٠): قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قيل له: إن فلاناً وَجِعٌ لا يطعم الطعام قال: «عليكم بالتلبينة، فحَسُّوه إياها، فوالذي نفسي بيده إنها لتغسل بطن أحدكم كما يغسل أحدكم وجهه بالماء

من الوسخ» ولفظ الترمذي (١٩٦٢): قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ أهله الوعك أمر بالحساء فصنع، ثم أمرهم فحسوا منه، وكان يقول: «إنه ليرقق فؤاد الحزين ويسرو عن فؤاد السقيم كما تسرو إحداكن الوسخ بالماء عن وجهها.

والتلبينة: حساء الشعير المطبوخ بنخالته، وسميت بذلك لشبهها باللبن الحليب بياضاً ورقة [د. زغلول النجار: الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ٢/ ٨٩].

ومعنى مجمة: مريحة لفؤاد المريض [نفسه].

يقول د. النجار: (وحساء الشعير قاطع للعطش، مدر البول، سهل الهضم، نافع لحالات السعال وخشونة الحلق، وصعوبة التنفس، ولجلاء ما في المعدة، ولأمراض الكلى والمثانة، ولإطفاء حرارة الجسم بصفة عامة، ولتقوية الأجسام المضادة.

"وقد أثبتت الدراسات الحديثة التي قام بها كل من الدكتور/ ماهر مهران محمد، والمهندسة سحر مصطفى كامل، والمهندس عبدالكريم التاجوري، من كل من وزارة الزراعة المصرية، وكلية الزراعة، جامعة القاهرة، والسيدة زينيا هاوريش من جامعة ألبرتا الكندية أن الشعير يحتوي على عدد من المركبات الكيميائية التي تساعد على خفض نسبة الكوليسترول في الدم من مثل مادة بيتاجلوكان، والفيتامينات (أ) و(ب) و(د)، وأشباه فيتامين (هـ) (Tocotriends)، والمواد الضابطة لضغط الدم والمانعة للاضطراب، من مثل مركبات كل من البوتاسيوم والمغنيسيوم، والكالسيوم والفوسفور، والناتريوم، والحديد، والنحاس، والكوبالت، والزنك، والمضادات للعوامل المؤكسدة في جسم الإنسان، وهذه العوامل، مما يجعله سريع الغضب وشديد الانفعال، ويملأ قلبه بالاكتئاب والحزن، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن لهذه المركبات الكيميائية - منفردة ومجتمعة - تأثيراً إيجابياً على الموصلات بين الخلايا العصبية، مما يعين على التخفيف من حالات الاكتئاب، والميل إلى الرضا وانشراح الصدر، وطمأنينة القلب،

والتعبير الطبي (تخفيف حالات الاكتئاب): ويكاد يكون هذا مطابقاً لما جاء في حديث رسول الله ﷺ من قوله: «يذهب ببعض الحزن".

"وحالات الاكتئاب تشخص اليوم بالخلل الكيميائي في جسم الإنسان، وعلاجه أساساً يكون بالغذاء المعالج لهذا الخلل، من مثل حساء الشعير الغني بالمواد النافعة في مثل هذه الحالات.

(٢٥) الحلبة:

قال ﷺ: «لو تعلم أمتي ما في الحلبة لاشتروا ولو بوزنها ذهباً» [الهيثمي: المجمع (٥/ ٤٧، من إخراج الطبراني بسند فيه متروك - الخبابري].

قال د. النجار [ص ٩٤]: "وللحلبة فوائد عديدة، منها: أنها مدرة للحليب عند الأمهات المرضعات، وفاتحة للشهية، ومعاونة جيدة في حالات عسر الهضم، ومضادة للالتهابات، ولذلك تستخدم في علاج آلام المفاصل، وفي علاج الجروح المختلفة.

"وللحلبة دور فعال في علاج أمراض البول السكري، فقد ثبت أن جرامين من الحلبة المطحونة يعادلان وحدة واحدة من عقار الأنسولين، وذلك لاحتواء بذور الحلبة على سلاسل البيتيدات المرتبطة بالزنك، والتي يعزى إليها التأثير على نسبة السكر في الدم؛ هذا بالإضافة إلى ما بها من الأحماض الأمينية والكبريتية التي تساعد على تحويل السلاسل البيتيدية في البنكرياس إلى بنسلين فعال، كما أشار إلى ذلك الأستاذ الدكتور عبدالباسط محمد سيد، أستاذ الفيزياء الحيوية الجزيئية والطبية بالمركز القومي للبحوث - الدقي - القاهرة، وذلك في كتابه القيم «التداوي بالأعشاب والطب النبوي»، حيث أكد أن مرضى السكر يعانون نقصاً في الرابطة الكبريتية التي تربط بين السلاسل البيتيدية لتعطي جزيئ الأنسولين الفعال، ولذلك فإن الكبريت في صورته العضوية في نبات مثل نبات الحلبة يزيد من فاعلية البنكرياس، مما يعين في معالجة أمراض البول السكري.

"وتحتوي بذور الحلبة على ٢٩٪ من المواد البروتينية و٦٪ من الزيوت الثابتة والطيارة، وعلى نسب عالية من فيتامينات ب١ وب٢، ومادة النياسين، وحمض البانتونين، والتريجونيللين، والكولين، والسابونين، ومادة الديوسجنين، والأمينات ثلاثية الميئيل، وهي مواد لها تأثيرها على أعراض الدورة الشهرية عند البالغات، هذا بالإضافة إلى العديد من العناصر من مثل: الحديد، والفوسفور، والأنزيمات، والهرمونات، والمواد الصمغية . . . ".

وجاء في صحيفة "أخبار اليوم" السودانية، الثلاثاء ٣ شوال ١٤٣٠هـ/ ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٩م، العدد (٥٣٧٨)، الآتي: (أكد الدكتور سعيد شلبي، أستاذ الباطنية والكبد بالمركز القومي للبحوث بمصر، أن احتساء مشروب الحلبة بعد تناول كعك العيد يجنب الإنسان الآثار الضارة له، لاحتوائه على مادة "الجلاكتوفتان، التي تخفض مستوى السكر والكوليسترول في الدم".

(٢٦) العدس:

جاء في فيض القدير للمناوي (٤/ ٣٤٥) أن ابن السني أخرج فيما رواه عن أبي هريرة مرفوعاً: «أن نبياً من الأنبياء اشتكى إلى الله قساوة قومه، فأوحى الله إليه وهو في مصلاه، أن مر قومك يأكلوا العدس، فإنه يرقق القلب ويدمع العينين ويذهب الكبر".

يقول د. النجار في ضوء هذا الحديث الذي ذكره: (وتحتوي حبوب العدس على نسبة عالية من البروتين (٢٤٪)، والكاربوهيدرات (٢٦٪)، والدهون (١,٤٪)، بالإضافة إلى نسب متباينة من مركبات كل من الفوسفور، والمغنيسيوم، والكالسيوم، والناتريوم، والبوتاسيوم، والحديد، والمنجنيز، والزنك، والنحاس، ونسب متباينة كذلك من الفيتامينات: أ، ب١، ب٢، ب٦، ب١٢، ج، د، وأعداد من الهرمونات والأنزيمات المختلفة.

(وحبوب العدس المطبوخة لها قيمة غذائية كبيرة، ونابتها يمثل علاجاً لكثير من الأمراض من مثل فقر الدم، وقشرها يعالج الإمساكِ، ويعمل على

إدرار البول؛ وهو مضاد لكثير من الفطريات، ولذا فإنه يساعد على حفظ الأسنان من التسوس؛ ولصقات وكمادات معجون العدس المسلوق تفيد في علاج الالتهابات، والجروح، ودمامل مختلف القروح).

(والعدس لم يكن شائعاً في جزيرة العرب على عهد رسول الله ﷺ، ولذا يعتبر وصفه له في هذا الحديث الشريف من معجزات الرسول ﷺ).

وجاء ذكره في القرآن: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ﴾ [البَقَرَة: ٦١].

جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية: أن معنى الأدنى: الدنيئة. قلت: لماذا لا يكون الأدنى بمعنى الذي في متناول اليد، أو متوفر، أو يكثر وجوده، أو الأرخص سعراً؛ أما المن والسلوى الوارد في الآية ٥٧ من البقرة: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البَقَرَة: ٥٧]، فنادر الوجود. فالمن: طعام أو شراب متميز، ينزل على شجر الزنجبيل، والسلوى: طير السمان أو ما يشبهه.

(٢٧) التين:

جاء في تفسير القرطبي (٢٠/ ١٤٠) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة؛ قلت: التين: لأن فاكهة الجنة بلا عَجَم، كلوا منه فإنه يقطع البواسير وينفع النقرس» [بلا عجم: بلا نواة أو نوى - بلا بذور صلبة].

وفي رواية لأبي ذر رضي الله عنه، قال: أُهدي للنبي ﷺ سَلٌّ تين، فقال: «كلوا». وأكل منه، ثم قال: «لو قلت: ...».

قال د. النجار عن ثمرة التين: (... فَإنها تعتبر غذاء منشطاً ومريحاً

للأعصاب...).

(وقد ثبت بالتحليل الكيميائي الدقيق أن ثمرة التين تحوي كمية كبيرة من الألياف (حوالي ١٨,٥٪)، ونسبة عالية من الكربوهيدرات (في حدود ٥٣٪) بما فيها من السكريات الآحادية والمركبات النشوية، ونسبة من البروتينات (في حدود ٣,٦٪)، وأملاح العديد من العناصر من مثل: البوتاسيوم، والكالسيوم، والمغنيسيوم، والفوسفور، والحديد، والنحاس، والزنك، والكبريت، والصوديوم، والكلور؛ بالإضافة إلى العديد من الفيتامينات، والأنزيمات، والأحماض، والمواد المطهّرة، والمواد الهلامية، ونسبة كبيرة من الماء.

(وهناك أنزيم خاص للتين يعرف باسم أنزيم التين، أو أنزيم فيسين (Ficin)، ثبت أن له دوراً مهماً في عملية هضم الطعام. وقد تمكن اليابانيون من عزل مادة كيميائية أخرى من ثمرة التين، وهي مركب كيميائي من نوع البنزالدهايد (Benzaldehyde)، ثبت أن لها قدرة على مقاومة مسببات الأمراض السرطانية، وقد استعملت تلك المادة بالفعل في علاج بعض الحالات المتقدمة من هذا المرض، وقد شفيت بإذن الله شفاء تاماً.

(وبثمرة التين مجموعة من المركبات النشوية التي ثبت لها دور فعال في حماية الدم من البكتيريا والفيروسات والطفيليات العديدة التي تتسبب في كثير من أمراض الدم، مثل: فيروس الالتهاب الكبدي، وتعرف هذه المركبات النشوية باسم مجموعة "السورالينز"، وهي موجودة بوفرة في ثمار التين وفي دبسه، وعصائره، وأنواع المربات المصنوعة منه.

(كذلك ثبت للتين فوائد عديدة في علاج حالات البواسير والإمساك المزمن، والنقرس، وأمراض الصدر، واضطراب الحيض، وحالات الصرع، وتقرحات الفم، والتهابات اللثة، واللوزتين والحلق، وفي علاج البهاق، وإزالة الثآليل، واندمال الجروح والتقرحات؛ لأن به مواد قاتلة للجراثيم، ومضادة لكل من البكتيريا والفيروسات والديدان، وبه مواد كذلك تساعد

على إدرار اللبن.

(وكون التين يقطع البواسير راجع غالباً إلى احتوائه على مكونات مسهلة، وأخرى قابضة، وأما نفعه في حالة النقرس، فراجع إلى ما يملكه من قدرة على إذابة أملاح حمض البوليك المترسبة في المفاصل، والناتجة عن الإفراط في أكل اللحوم الحمراء، مما يؤدي إلى خلل في تمثيل الأحماض في داخل خلايا الجسم.

(وهنا يعجب الإنسان من حديثه ﷺ عن فوائد التين في علاج البواسير والنقرس في زمن لم يكن لأحد حوله إدراك شيء من ذلك . . .). [النجار: الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ج٢، ص ١١٥-١٢٢].

(٢٨) الرمان:

قال عليه الصلاة والسلام: «ما من رمانة إلا وفيها حبة من رمان الجنة». [السيوطي: الجامع الكبير (١/ ٧١٩)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يأخذ الحبة من الرمان فيأكلها، قيل له: يا ابن عباس، لم تفعل هذا؟ قال: (إنه بلغني أن ليس في الأرض رمانة إلا تلقح بحبة من حب الجنة، فلعلها هذه». [الطبراني: الكبير (١٠٤٦٦)، برجال الصحيح كما قال الهيتمي].

وعن ربيعة بنت عياض الكلابية، قالت: (سمعت علياً رضي الله عنه يقول: كلوا الرمان بشحمه فإنه دباغ المعدة). [أحمد ٢٢١٥٣؛ المجمع ٥/ ٤٨، وقال الهيثمي: رجاله ثقات].

يقول د. النجار بعد إيراد هذا الحديث والأثرين:

(ويستخرج من كل من قلف شجرة الرمان وغلاف ثمرتها صبغة تحتوي على مركبات القانين والبلليترين، وهي بالإضافة إلى فوائدها الصبغية، فإنها كذلك مواد قلوية قابضة تستخدم في دباغة الجلود، وفي تلوين العجائن التي تستخدم في صناعة الأسنان المستعارة.

(ويبلغ وزن المادة الصالحة للأكل من ثمرة الرمان حوالي ٥٦٪. هذا بالإضافة إلى نسب ضئيلة من الدسم، ونسب متفرقة من أملاح البوتاسيوم، والكالسيوم، والمغنيسيوم، والفوسفور، والحديد، والنحاس والكبريت، والكلور؛ بالإضافة إلى عدد من الفيتامينات - خاصة ج - والأحماض - خاصة حمض البوريك -.

(وقد لاحظ الدارسون أن لكل من ثمرة الرمان وقشرتها خواصَّ تساعد على سهولة هضم الطعام بصفة عامة والدهون بصفة خاصة، كما أن لها فعلاً قابضاً مضاداً لكل من الجراثيم والطفيليات، ولذلك استخدما بكفاءة في معالجة حالات الإسهال، والزحار - الدوسنتاريا -، كما استخدما كمسكنات لآلام المعدة، وكمركبات طاردة للديان، خاصة نقيع قشرة الرمان بعد غليه وتبريده.

(كذلك فإن لب ثمرة الرمان يهدئ من السعال، ويستخدم كمادة صابغة تتميز بالثبات وعدم تغير اللون.

ومن الفوائد المعروفة لكل من قشرة وشحم ثمرة الرمان استخدامهما بعد تجفيفهما في علاج حالات الزيادة في حموضة المعدة، وما قد ينتج عنها من قرح الجهاز الهضمي، ويستخدمان كذلك في علاج قروح الاضطجاع التي كثيراً ما تصيب قعيدي الفراش؛ وينصح كل من الحوامل والمرضعات بعدم التداوي بنقيع قشر الرمان أو نقيع قلفه.

وصدق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

(٢٩) الحجامة:

لقد وردت عدة أحاديث في فضل الحجامة، بلغت نحو العشرين، نذكر منها باختصار:

أ/ «إن كان في شيء من أدويتكم خير، ففي شرطة محجم أو شربة من عسل أو لزعة بنار، وما أحب أن أكتوي» [بخ ٦٥٨٣، ٥٠٧٢؛ م ٢٢٠٥].

ب/ «إن أمثل ما تداويتم به الحجامة» والقُسط البحري - أي العود الهندي - [بخ ٥٢٦٣].

ج/ «خير ما تداويتم به الحجامة» [حم: ١١٦٠٣].

د/ «إن من خير دوائكم الحجامة» [حم: ١٩٣٤٠].

هـ/ «خير الدواء الحجامة والفصد» [بخ ٦٥٨٣].

و/ إن يكن في شيء شفاء ففي مصة الحجام ومصة العسل» [بخ معلقاً (١٠/١١٦)].

ز/ «إن كان دواء يبلغ الداء، فإن الحجامة تبلغه» [الموطأ ٢/ ٩٧٤ - من بلاغات الإمام مالك].

ح/ «الحجامة تنفع من كل داء إلا الهرم، فاحتجموا» [الديلمي: ٢٧٨٢؛ الطبراني: الصغير: ٢٣٦].

ط/ «إذا اشتد الحر فاسعينوا بالحجامة، لا يَتَبَيَّعِ الدمُ بأحدكم فيقتله» [حكم: ٧٥٩٠].

ي/ «نعم الداوء الحجامة، تذهب الدم، وتجلو البصر، وتخفف الصلب» [حكم: ٨٢٥٨].

ك/ «نعم العبد الحجام، يذهب الدم، ويخفف الصلب، ويجلو عن البصر» [تر ١٩٧٨، مج ٣٤٦٩].

ل/ عن ابن عباس رضي الله عنهما: (كان رسول الله ﷺ يحتجم في الأخدعين وبين الكتفين» [حم: ٢١٥٥، ٢٩٨١، ٣٠٧٨ - صحيح].

م/ أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: احتجم النبي ﷺ وأعطى الحجام أجره» [بخ ١٠/ ١٢٤/ ك. الطب، ب، السعوط؛ م: ١٢٠٢].

وقد وردت عدة أحاديث وآثار في وقت ومكان الحجامة.

ذكر الدكتور يحيى بن ناصر خواجي في بحثه الموسوم ب: "الحجامة في ضوء الحديث النبوي والممارسة الطبية"، والذي قدمه لندوة: «عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة، النبوية"، في الفترة من ١٥-١٧/ ٣/ ١٤٢٥هـ/ الموافق له ٤-٦/ ٥/ ٢٠٠٤م، ذكر التفسير العلمي المحتمل لتأثير الحجامة، فاستعرض خلاصة النظريات القديمة لتأثيرها، وهي: نظرية القنوات الكهرومغناطيسية)، وهي أن الجسم يحتوي على قنوات تجري فيها الطاقة المغناطيسية، وهي تحدد صحة الإنسان وعافيته، فكلما كانت تسير هذه الطاقة وبدون عوائق، يكون الإنسان صحيحاً؛ وإلا فإنه يصبح عرضة للأمراض. فالحجامة تعمل على تصحيح مسار الطاقة وتقويتها في قنوات الطاقة. وهذه النظرية - كما قال - فرعونية، انتقلت إلى آسية. ثم ذكر النظريات الأخرى الشرقية والغربية والإسلامية.

ولخص ميكانيكية عمل الحجامة في الآتي:

أ/ تنشيط النقاط الواقعة على المسارات المغنطيسية للجسم بهدف ما، مثل: مفعول مسكن، أو رفع المقاومة المناعية للجسم، أو معالجة الأخطاء المناعية في الجسم.

ب/ تنشيط الدورة الليمفاوية للجسم الذي يؤدي إلى سرعة تنقية سوائل الجسم.

ج/ تنشيط الدورة الدموية للجسم، فيتغلب على ضعف التروية الدموية في أجزاء الجسم المختلفة، التي تنتج عنها مشاكل في بعض أجزاء الجسم.

ومن فوائد الحجامة التي ذكرها د. خواجي: (ص ٤٣-٤٤):

أ/ امتصاص الأخلاط والسموم التي توجد تجمعات دموية بين الجلد والعضلات (منطقة الفاشية).

ب- تنشيط الدورة الدموية موضعياً.

ج/ تقوية المناعة العامة في الجسم، وذلك بإثارة غدد المناعة.

د/ تسليك العقد والأوردة الليمفاوية المنتشرة في كل أجزاء الجسم، فيمكنها تخليصه أولاً بأول من الأخلاط ورواسب السموم.

هـ/ تنشيط أماكن ردود الفعل بالجسم.

و/ تسليك مسارات الطاقة الحيوية التي تقوم على زيادة حيوية الجسم (اكشتفها الصينيون القدماء).

ز/ العمل على مواءمة الناحية النفسية.

ط/ تنشيط الغدد الصماء، خاصة الغدة النخامية.

ح/ تنشيط مراكز المخ، والحركة، والسمع، والإدراك، والذاكرة.

ظ/ دفع الضغط عن الأعصاب.

ك/ امتصاص الأحماض الزائدة في الجسم.

ل/ تحسين وتنشيط وظائف الجسم، كما أثبتت البحوث العلمية عن الحجامة، وهي:

- زيادة نسبة الكورتيزون في الدم - تحفيز وإثارة المواد المضادة للسموم - تقليل نسبة الكولسترول في الدم - تقليل نسبة البولينا في الدم - زيادة نسبة المورفين الطبيعي في الدم.
- وذكر د. خواجي (ص ٤٤-٤٧) الحالات المرضية التي عولجت بالحجامة، ومصدره: كتاب: «الدواء العجيب» لمحمد أمين شيخو، وكتاب: "الطب الصيني التقليدي" لزهيني إهيرالي. ومن هذه الأمراض التي ذكرها:

١/ أمراض الدم: سرطان الدم - الرعاف - الناعور - [عرق لا يرقأ دمه] - خلل عوامل التخثر - إحمرار الدم - فقر الدم - جلطات دموية.

٢- الجهاز الدوري: نقص تروية قلبية - إحتشاء العضلة القلبية - ارتفاع

ضغط الدم وهبوطه - الدوالي - آلام الصدر - تصلب الشرايين - ارتفاع توتر شرياني مزمن.

٣- الجهاز التنفسي: الربو - التهاب رئوي - ارتشاح رئوي - السعال المزمن.

٤- الجهاز البولي: التهاب مجرى البول - قصور كلوي - التبول غير الإرادي - تضخم البروستاتا - هبوط المثانة.

٥- الأمراض السرطانية: سرطان الدم - سرطان الثدي - سرطان الرحم - سرطان البروستاتا - سرطان القناة الكبدية الجامعة - كتل سرطانية تحت الجلد.

٦/ الجهاز الهضمي: الإمساك - آلام البطن.

٧/ أمراض الكبد: تليفه - إلتهابه الأنتاني - اليرقان.

٨/ أمراض الطحال: تضخمه.

٩/ الأمراض المعدية: الخراجات الجلدية - الحمى المالطية - تقرحات معدية - الإيدز - الزكام - الرشح - النكاف.

١٠/ الأمراض المناعية: مرض متلازمة بهجت - تحسس الجلد.

١١/ العقم عند الرجال: نتيجة نقص عدد أو زيادة عدد الحيوانات المنوية.

١٢/ أمراض العظام: الروماتيزم - تضييق القناة الشوكية - فتوق نواة لبية في فقرات العمود الفقري - الانزلاق الغضروفي - آلام الظهر - تمزق أربطة المفاصل.

١٣/ سكر الدم وارتفاعه.

١٤/ زيادة الشحوم الثلاثية والكولسترول.

١٥/ الجهاز العصبي: الشلل - احتشاء دماغي نازف - صرع - ضمور الدماغ - الشقيقة - الصداع - ضعف الرؤية - عرق النسا - شلل العصب الوجهي.

١٦/ الوهن العام: اعتلال عضلي - الأرق - تدمع العين بسبب عيب خلقي أو خلل عصبي.

١٧/ عسر الحيض وهبوط الرحم.

قال د. خواجي (ص ٤٦): (وتأكيداً لما سبق فإن هناك بعض الحالات المرضية التي عولجت بالحجامة وتحسنت حالتها، وهي كما يلي: . . . ذكر عشر حالات.

ثم ذكر محظورات الحجامة (ص ٤٨) والضوابط اللازم اتخاذها لممارسة الحجامة بالطرق الآمنة (ص ٥٠-٧٠).

ويقول الباحث د. خواجي في آخر عناوين بحثه: "أوجه الإعجاز العلمي والطبي في بعض أبحاث الحجامة":

(بعد الاطلاع على الأبحاث التي تناولت الحجامة كما ورد في كتاب: "الدواء العجيب" لمحمد أمين شيخو، والذي جمعه وحققه عبدالقادر يحيى الشهير بالديراني، والذي أضاف إلى عنوان الكتاب معجزة القرن العشرين الذي شفي منه مرضى القلب القاتل: ومرضى الشلل والناعور [عرق لا يرقأ دمه]، والشقيقة والعقم، والسرطان. والذي قام على أبحاث هذا الكتاب فريق طبي سريري مكون من ثمانية أساتذة طب سريري، وسبعة أساتذة في الطب المخبري ينتمون لجامعة دمشق بسوريا. وقامت وكالات الأنباء العالمية والمحلية والسورية والفضائية والإذاعات الدولية وبعض صحف العالم بالاهتمام البالغ بنشر هذا الفتح الطبي الوقائي والشافي من الأمراض التي عجز عن شفائها الطب الحديث في هذا العصر الحاضر؛ مما دفعني لدراسة هذا الكتاب الذي يحوي خمسمائة صفحة مليئة بالبحوث السريرية والمخبرية، وعرضه على فئة من المتخصصين في مجال الطب السريري والمخبري لمناقشة بعض الحالات وبعض التحاليل التي ظهر فيها الإعجاز العلمي والطبي كشفاء لبعض الأمراض المستعصية على الطب الحديث، مثل: الشلل النصفي، أو مرض الناعور، والسرطان، وغيرها من الأمراض المزمنة التي في مفهوم الطب الحديث ليس لها علاج. وهنا يتجلى الإعجاز العلمي والطبي في الحجامة، التي حث عليها الرسول ﷺ، ومارسها صائماً

ومعتمراً؛ ومن سياق هذه الأحاديث نجزم بأن الحجامة لها فوائد كثيرة، سواء استطاعت الأبحاث والدراسات اكتشافها أم لا، ففوائدها محتمة، فهو ﷺ لا ينطق عن الهوى، علمه من علمه، وجهله من جهله ...).

(٣٠) الخل:

قال ﷺ: «نِعْمَ الأُدُمُ، أو الإِدَامُ الخَلُّ» [م ١٠٥١/ ١٦٤].

وفي لفظ: «نعم الأدم الخل» [م ٢٠٥١/ ١٦٥]، وفي لفظ: «نعم الأدم الخل. نعم الأدم الخل» [م ٢٠٥١/ ١٦٥].

ورواه غير مسلم. جاء في كتاب: «الأربعون العلمية، لعبد الحميد محمود طهماز، أن الخل يحتوي على كمية قليلة من البروتين والنشويات، كما يحتوي على الصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والمغنيسيوم والفوسفور والحديد والزنك والكلور.

ويقول الدكتور سيريل سكوت وموريس هانسن في كتابهما عن فوائد خل التفاح، إنه:

١/ يمنع الإسهال، لاحتوائه على مادة قابضة.

٢/ ينشط عملية الهضم والاستقلاب في الجسم.

٣/ يمنع تنخر الأسنان.

٤/ يقتل الطفيليات في الأمعاء.

٥/ يمكن استعماله لتحسين الهضم عند أولئك الذين لديهم نقص في حمض المعدة.

كما يقوم بفعل مطهر للأمعاء، وبعض الناس ينصح باستعماله لغرغرة الفم والحلق، فيطهر الفم من الجراثيم [قبسات من الطب النبوي باختصار، نقلاً عن: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لـ: م. نايل منير فارس].

❑ ❑ ❑

الفَصْلُ الخَامِسُ

بعض شمائل الرسول ﷺ(١)

لقد تميز الرسول ﷺ بصفات خُلقية وأخلاقية كثيرة، وأريد هنا أن أقف عند بعض صفاته الأخلاقية لحاجة الناس الماسة في كل زمان ومكان لمعرفة هذه الصفات والاقتداء بها. ولما كانت صفات الرسول ﷺ الأخلاقية انعكاساً لما في قلب الرسول ﷺ من قيم ومبادئ، كان لابد لكل مسلم أن يعلم بها، أو يلم بها، ويتحلى بمحاسنه. ومن أبرز هذه الصفات أو الشمائل.

١- التقشف في الطعام:

قال أنس رضي الله عنه: "إن النبي ﷺ لم يجتمع عنده غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضَفَفٍ"، أي عندما ينزل عليه الضيوف لضرورة الإيناس والمجاملة [الترمذي: مختصر الشمائل، ص:٨٤ - صحيح]، وفي رواية عن مالك بن دينار، قال "ما شبع رسول الله ﷺ من خبز قط ولا لحم إلا على ضفف" [نفسه، ص:٧٦ - مرسل صحيح]، وقالت عائشة رضي الله عنها: "ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ". وفي رواية أخرى عنها: "ما شبع آل محمد - منذ قدم المدينة - من طعام بر، ثلاث ليال تباعا حتى قبض" [متفق عليه: بخ ٥٤١٦، م ٢٩٧٠] وهناك روايات أخرى عند مسلم وأبي الشيخ " [أخلاق النبي] بهذا المعنى.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: "كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً هو وأهله، ولا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير" [الترمذي: مختصر الشمائل، ص:٨٧ - صحيح]. وذكرت عائشة رضي الله عنها أنه كان يأتيها فيقول: "أعندك غداء؟" فتقول "لا" فيقول: "إني صائم..."، [مسلم ١١٤٥].

---

(١) وانظر ذلك بشيء من التفصيل في كتابنا: "الشمائل المحمدية.." ط١، دار إمام الدعوة - السعودية ١٤٢٧هـ / مطبعة الحميضي.

٢- التقشف في الفراش:

قالت عائشة ﵂: "إنما كان فراش الرسول ﷺ الذي ينام عليه، أدماً حشوه ليف"، [متفق عليه: بخ ٤٦٦٥٦، م ٢٠٨٢].

٣- تواضعه:

قال رسول الله ﷺ: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله"، [بخ ٣٤٤٥].

وعن أنس ﵁ أن امرأة كان في عقلها شيء: فقالت: "يا رسول الله إن لي إليك حاجة" فقال: "يا أم فلان، انظري أي السكك شئت، حتى أقضي لك حاجتك"، فخلا معها في بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها، [بخ ٢٣٢٦].

وكانت الأمة من إماء أهل المدينة تأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت. [بخ ٦٠٧٢].

وكان يدعى إلى خبز الشعير والإِهَالَة السَّنِخَة [الدهن الجامد المتغير الرائحة من طوال المكث] فيجيب [بخ ٢٥٠٨]، وقال: "لو دعيت إلى ذراع أو كُرَاع لأجبت، ولو أهدي إليَّ ذراع أو كرا ع لقبلت"، [بخ ٢٥٦٨].

وكان يشرب من القربة البالية. قالت أم المؤمنين سودة ﵂: "ماتت لنا شاة فدبغنا مَسْكَهَا - أي جلدها - ثم ما زلنا ننبذ فيه حتى صار شناً - أي بالياً [بخ ٦٦٨٦].

ومع أنه لم يكن شخص أحب إلى الصحابة ﵃ من رسول الله ﷺ فإنهم كانوا إذا رأوه لم يقوموا له، لما يعلمون من كراهته لذلك [بخ: المفرد، والترمذي: الشمائل، صحيح].

وقال ﷺ في الثناء على التواضع وذم الاستكبار: "ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضاعف، لو أقسم على الله لأبره. ألا أخبركم بأهل

النار؟ كل عتل جواظ مستكبر" [بخ ٦٠٧١] وقال: "... وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله" [م ٢٥٨٨]، والكبرياء من صفات الله ﷻ لذا حرم الله ذلك على المؤمنين، وفي ذلك قال الرسول ﷺ: "... العز إزاره، والكبرياء رداؤه [أي الله ﷻ] فمن ينازعني عذبته"، [م ٢٦٢٠].

وكان ﷺ لا يستكبر عن خدمة أهله، [بخ ٦٠٣٩].

٤- خلقه:

كان رسول الله ﷺ يقبل بوجهه وحديثه على أشر القوم، يتألفهم بذلك، [الترمذي: الشمائل، حسن]. خدمه أنس رضي الله عنه عشر سنين أو تسع، فما قال له: أف قط، وما قال له لشيء صنعه: لم صنعته؟ ولا لشيء تركه: لم تركته؟. [بخ ٦٠٣٨، م ٢٣٠٩]. وما كان فاحشاً ولا متفحشاً، ولا صَخَّابَاً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح. [الترمذي: صحيح]. ويقول: "خياركم أحسنكم أخلاقاً" [بخ ٦٠٣٥].

وقال لعائشة رضي الله عنها: "إن شر الناس من تركه الناس - أو ودعه الناس - اتقاء فحشه" [بخ ٦٠٤٥، م ٢٥٩١].

ونهى عن اللعن، فقال: "لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً" [م ٢٥٩٧]. وقال: "لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة" [م ٢٥٩٨]. وعندما قيل له: ادع على المشركين قال: "إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة". [م ٢٥٩٩].

أما من لعنه الرسول ﷺ أو سبه أو دعا عليه، وليس أهلاً لذلك، كان ذلك له زكاة وأجراً ورحمة، لأن الرسول ﷺ شارط ربه على ذلك كما في الحديث: "... اللهم إنما أنا بشر، فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجراً" [م: ٢٦٢٠٠- ٢٦٠٤].

وما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يأثم فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه، والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط،

حتى تنتهك حرمات الله، فينتقم لله. [بخ ٦٧٨٨٦].

وما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده ولا امرأة، ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله. [م ٢٣٢٨].

وما سئل رسول الله ﷺ قط فقال: "لا"، [٢٣١١].

قال انس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقَاً، وكان لي أخ يقال له عُمير، وكان إذا جاء قال: "يا أبا عمير، ما فعل النغير؟" - نُغْرٌ كان يلعب به - [بخ ٦٢٠٣]. [والنغر: طائر يشبه العصفور، أحمر المنقار]. فمات فدخل عليه النبي ﷺ يوماً، فوجده حزينًا لموته، فقال ما قال. [البيهقي: السنن الكبرى].

٥- كرمه:

قال أنس رضي الله عنه: (كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناس، وأجودَ الناس، وأشجع الناس). [بخ (٢٨٢٠)؛ م (٢٣٠٧)].

وعن علي رضي الله عنه: (كان أجود الناس كفاً، وأجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم بذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشيرة؛ من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه؛ يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ [الأنوار للبغوي ١/ ٢٨٥ رقم ٣٦٣ / قال المحقق: أخرجه الترمذي ٦٤٢١، وابن سعد (١/ ٤١١ - ٣١٢)، مطولاً وأبو الشيخ بلفظه (٥١ - ٥٢)].

وأخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: (ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً إلا أعطاه، فجاء رجل - صفوان بن أمية - فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: ياقوم أسلموا، فإنَّ محمداً يعطي عطاء من لا يخاف الفقر. وفي رواية: من لا يخشى الفقر.) [مسلم (٢٣١٢)، أحمد (٣/ ١٠٨)، ١٧٥، ٢٥٩، ٢٨) ابن خزيمة (٢٣٧٢)، البغوي: شرح السنة (٣٦٩١) وأبو الشيخ (٥١) ..].

وروى الترمذي عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية أنه قال: لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وأنه لابغضُ الناس إليَّ، فما برح يعطيني

حتى إنه لأحبُّ الناس إليَّ. [م (٢٣١٣)].

وأعطى يوم حنين ﷺ أناساً من الطلقاء ليتألف قلوبهم على الإسلام، أعطاهم مائة من الإبل كما سبق ذكره في أحداث غزوة حنين.

وفي مغازي الواقدي [٣/ ٩٤ - وأصله في صحيح مسلم (٢٣١٢)، ومسند أحمد [١٧٥] أن صفوان طاف معه ﷺ يتصفح الغنائم يوم حنين، إذَ مرَّ بِشِعب - أي وادٍ - مملوءٍ إبلاً وغنماً، فأعجبه، فجعل ينظر إليه، فقال ﷺ: «أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب؟»، قال: (نعم)، فقال ﷺ: هو لك بما فيه»، فقال صفوان: (أشهد أنك رسول الله، ما طابت بهذا نفس أحد قَطُّ إلا نفس نبي).

وكان من جوده ﷺ: أنه ما سأله سائل مما عنده إلا أعطاه، حتى لا يبقى من عنده شيء ﷺ.

وروى الترمذي أن النبي ﷺ حُمِلَ إليه تسعون ألف درهم ووضعت على حصير، ثم قام إليها يقسمها، فما ردّ سائلاً حتى فرغ منها.

وعن سعيد رضي الله عنه قال: سأل ناس من الأنصار رسول الله ﷺ فأعطاهم ما سألوه، حتى إذا نَفِدَ ما عنده قال: «مايكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يُعِفَّهُ الله، ومن يستغنِ يُغْنِهِ الله، ومن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله، وما أُعطي أحدٌ عطاءً هو خيرٌ له وأوسع من الصبر». [أخرجه الستة: خ: ك: الرقاق، باب الصبر على محارم الله (٦٤٧٠)، م (١٠٥٣)، د (١٦٤٤)، ن (٥/ ٩٥)، أحمد (٣/ ٩٣) واسناده صحيح على شرط الشيخين].

وكان ﷺ كريم النفس، يُكرمُ السائلَ بنفسه، ولا يأنف أن يقومَ إلى السائل فيعطيه الصدقة، بل كان لا يَكِلُ صدقَتهُ إلى غير نفسه حتى يكونَ هو الذي يضعها في يد السائل.

ففي سنن أبي داود والبيهقي عن عبد الله الهوزني، قال: (لقيت بلالاً فقلت: يا بلال حدثني كيف كانت نفقة رسول الله ﷺ؟) قال: (ما كان له

شيء، وكنت أنا الذي ألي ذلك منه - أي المتولي أمر ماله ﷺ - منذ بعثه الله تعالى حتى توفي، وكان عليه السلام إذا أتاه الإنسان مسلماً فرآه عارياً، يأمرني فأنطلقُ فأستقرض فاشتري له البردة فأكسوه وأطعمه ...). [وبقية الخبر عند الشافعي : ومصدره : د (٣٠٥٥) وصححه الألباني].

وروى الترمذي عن ابن الخطاب رضي الله عنه، أن رجلاً أتى إلى النبي ﷺ فسأله أن يعطيه، فقال النبي ﷺ : «ما عندي شيء، ولكن اتْبَعْ عليَّ، فإذا جاءني شيء قضيته»، فقال عمر رضي الله عنه : (يارسول الله قد أعطيته ! فما كلفك الله ما لا تقدر عليه)، فكره ﷺ قول عمر، فقال رجل من الأنصار : (يارسول الله : أنفقْ ولا تخف من ذي العرش إقلالاً، فتبسم رسول الله ﷺ، وعُرف في وجهه البشر بقول الأنصاري، ثم قال ﷺ : «بهذا أمرتُ». [الترمذي : الشمائل (٣٠٥٥) / مختصر الألباني ؛ البغوي الأنوار (٣٦٧)، قال الألباني : إسناده ضعيف (انظر من معين السيرة، ص : ٢٠٤].

بل كان من عظيم كرمه أنه ما سئل شيئاً قطُّ فقال : لا، كما روى الترمذي عن جابر رضي الله عنه، قال : ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قطُّ فقال : لا. [البخاري (٦٠٣٤)، مسلم (٢٣١١)].

وفي الصحيحين عن ابن عباس ﷺ قال : كان رسول الله أجود الناس، وكان أجود مايكون في رمضان، حتى يلقاه جبريل، وكان - جبريل - يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فالرسول الله ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة. [البخاري (١٩٠٢)، مسلم (٢٣٠٨)].

ووصفه ابن عباس رضي الله عنهما قائلاً : (كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير). [بخ (٥) ؛ م (٢٣٠٨)].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : (كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة المدينة، فاستقبلنا أُحُدٌ، فقال : «يا أبا ذر»، قلت : (لبيك يارسول الله). فقال : «مايسرني أن عندي مثل هذا ذهباً، تمضي عليه ثالثة وعندي منه دينار، إلا شيئاً أرصده لدين، وإلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا» عن يمينه،

وعن شماله، ومن خلفه. [البخاري (٦٤٤٤)، مسلم (٩٤(٢٣٨٩))].

وعرف أصحابه رضي الله عنهم من سلوكه ﷺ أنه ما كان يدخر شيئاً.

قال عقبة بن الحارث رضي الله عنه: (صليت مع النبي ﷺ العصر، فلما سلم قام سريعاً ودخل على بعض نسائه، ثم خرج، ورأى ما في وجوه القوم من تعجبهم لسرعته)، فقال: «ذكرت وأنا في الصلاة تبراً عندنا فكرهت أن يمسي عندنا، فأمرت بقسمته». [البخاري (١٢٢١)]. وعن أنس رضي الله عنه، قال: (كان النبي ﷺ لا يدخر شيئاً لغد). [الترمذي (٢٣٦٣)، وفي الشمائل (٣٤٧) ؟؟؟؟؟ ؛ البغوي: الأنوار (١/ ٢٨٤/ ح٣٦١) ؛ البغوي: شرح السنة (٣٦٩٠) ؛ الخطيب البغدادي في تاريخه (٧/ ٩٨)، ابن حبان: في الزوائد للهيثمي (٢١٣٩)].

وجاء في إيثاره: أخرج البخاري عن سهل رضي الله عنه: (أن امرأة جاءت النبي ﷺ ببردة منسوجة فيها حاشيتها، فقالت: نسجتها بيدي فجئت لأكسوكها، فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها، فخرج إلينا وإنها إزاره، فحسَّنها فلان، فقال: أكسنيها، ما أحسنها. قال القوم: ما أحسنت، لبسها النبي ﷺ محتاجاً إليها، ثم سألته وعلمت أنه لا يردُّ. قال: إني والله ما سألته لألبسها، إنما سألته لتكون كفني. قال سهيل فكانت كفنه). [البخاري (١٢٧٧)].

وكان ﷺ يلجأ إلى شراء الحاجة من صاحبها، ثم يهديها له بعد ذلك: وقد جاء ذلك في أحداث غزوة ذات الرقاع (ص: **٢٥٧**) حين اشترى من جابر رضي الله عنه جمله بأوقية من ذهب، وفي النهاية أعطاه الأوقية والجمل [بخ + م + ابن إسحاق: حسن].

وفي رواية عن جابر، قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر فكنت على جمل ثَفَالٍ إنما هو في آخر القوم، فمر النبي ﷺ، فقال: من هذا؟
وفي الرواية أن الرسول ﷺ اشتراه بأربعة دنانير .. وعندما وصل المدينة قال ﷺ لبلال رضي الله عنه: أقضه وزده، فأعطاه أربعة دنانير وزاده قيراطاً. قال جابر: لا تفارقني زيادة رسول الله ﷺ، فلم يكن القيراط يفارق جراب جابر بن عبد الله رضي الله عنه. [بخ (٢٣٠٩)، م (٧١٥)].

وفي حادثة أخرى مشابهة يقول ابن عمر رضي الله عنه : (كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنت على بكر صعب لعمر، فكان يغلبني فيتقدم أمام القوم، فيزجره عمر ويرده ... ساومه عليه النبي ﷺ فباعه له .. وأخيراً قال ﷺ : «هو لك يا عبد الله بن عمر، تصنع به ما شئت». [بخ (٢١١٥)]. وكان يتعوذ من الشح والبخل. [بخ (٦٣٦٩)].

٦- شجاعته :

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عري، في عنقه السيف، وهو يقول : "لم تراعوا لم تراعوا" وقال عن الفرس : "وجدناه بحراً، أو إنه لبحر"، قال الراوي : وكان فرساً يُبَطَّأُ [أي بطيء الحركة]. [بخ ٢٨٦٦، ٢٨٦٧، ومسلم ٢٣٠٧].

وقال علي رضي الله عنه : "لما حضر البأس يوم بدر اتقينا برسول الله ﷺ وكان من أشد الناس وما كان، أو لم يكن أحد أقرب إلى المشركين منه"، وعنه من طريق ثان، قال : " رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس بأساً" [أحمد : المسند، صحيح].

وقد رأيت موقفه يوم بدر وأحد وحنين حين امتحن الله المسلمين.

٧- حياؤه :

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : "كان ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه" [بخ ٦١٠٢]. وقال ﷺ : "الحياء لا يأتي إلا بخير" [بخ ٦١١٧]. وروى ابن عمر أن النبي ﷺ مر على رجل، وهو يعاتب أخاه في الحياء، يقول : "إنك لتستحي حتى كأنه يقول قد أضَرَّ بك"، فقال رسول الله ﷺ: "دعه، فإن الحياء من الإيمان" [بخ ٦١١٨] وقال ﷺ : "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح

فاصنع ما شئت" [بخ ٦١٢٠].

أما الحق فلم يكن الرسول ﷺ يستحي منه، لأن ذلك من التفقه في الدين؛ فقد روت أم سلمة أن أم سليم جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: "يا رسول الله، إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة غسل إذا احتلمت؟" فقال: "نعم، إذا رأت الماء" [بخ ٦١٢١].

٨- التيسير والرفق:

قال رسول الله ﷺ: "يسروا، وسكنوا، ولا تنفروا" [بخ ٦١٢٥]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه إن إعرابياً بال في المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: "دعوه، وأهرقوا على بوله ذنوباً من ماء - أو سجلًا من ماء - فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين" [بخ ٦١٢٨].

وقال في الرفق: "من يحرم الرفق يحرم الخير"[م ٢٥٩٢]، وقال: "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه "[م ٢٥٩٢]،وقال: "وإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، و لا ينزع من شيء إلا شانه" [م ٢٥٩٤].

٩- الحذر من الغضب:

إن من أوصاف المؤمنين وسجاياهم الصفح والعفو عن الناس وعدم الانتقام عند الغضب، وفي ذلك يقول الله - تعالى -: ﴿...وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى: ٣٧]، ويقول الرسول ﷺ "ليس الشديد بالصُّرَعَة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" [بخ ٦١١٤، م ٢٦٠٩]. وعندما قال رجل للنبي ﷺ: " أوصني" قال: "لا تغضب"، ورددها مراراً [بخ ٦١١٦].

١٠- الحلم والأناة:

كان مما يحبه ﷺ هاتان الصفتان، وقد قال لأشج عبد القيس: "إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم، والأناة " [م ١٧-١٨].

١١- الوصية بالجار:

قال ﷺ: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" [بخ ٦٠١٤، ٢٦٢٤ - ٢٦٢٥].

وقال لأبي ذر رضي الله عنه: "يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك" [م ٢٦٢٥]. وفي رواية: "... ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف" [م ٢٦٢٥]. وقال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره" [بخ (٦٠١٨)]. وفي رواية: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره». [م (٤٨)؛ ابن ماجه (٣٦٧٢)، وصححه الألباني].

١٢- رحمته:

عن أنس رضي الله عنه "أن النبي ﷺ أخذ ولده إبراهيم، فقبله، وشمه". وذلك عندما زاره، وهو مسترضع عند ظئره أبي سيف [بخ ١٣٠٣]. وأخبر الرسول ﷺ "أن الله جعل الجنة لمن يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث، بفضل رحمته إياهم" [بخ ١٣٨١].

وكانت تفيض عيناه لموتهم، وقد سأله مرة سعد بن عبادة: "يا رسول الله: ما هذا؟"، فقال ﷺ: "هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء" [بخ ١٢٨٤]. وعندما ذرفت عيناه لوفاة ابنه إبراهيم قال له ابن عوف: "وأنت، يا رسول الله؟" فقال: "يا ابن عوف، إنها رحمة لمن اتبعها بأخرى"، وقال: "إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك - يا إبراهيم - لمحزونون" [بخ ١٣٠٣].

وخرج على الصحابة رضي الله عنهم وأُمَامَة بنت بن الربيع، ابنة زينب رضي الله عنها على عاتقه، فصلى، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها. [بخ ٥٩٩٦].

وَقَبَّلَ الحسنَ بن علي، وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: "إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا"، فنظر إليه رسول الله ﷺ، ثم قال:

"من لايرحم لا يرحم" [بخ ٥٩٩٧].

وجاءه أعرابي فقال: "تقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم"، فقال النبي ﷺ: "أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟" [بخ ٥٩٩٨].

١٣- رحمته بالمرضى:

عندما اشتكى سعد بن عبادة مرة، عاده، فوجده في غاشية [من يغشاه منهم ليخدمه] أهله، فقال: "قد قضى؟" [أي: هل مات؟] قالوا: "لا يا رسول الله"، فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا، فقال: "إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم" [بخ ١٣٠٤].

١٤- رحمته ﷺ بالإناث:

شبه الرسول ﷺ النساء بالقوارير، إشارة إلى ما فيهن من الصفاء والنعومة والرقة، والضعف وقلة التحمل، ولذا فإنهن يحتجن إلى الرفق.

وله توجيهات كثيرة ومواقف عملية في هذا المجال، من أبرز الأمثلة على ذلك:

١- كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وكانت معه نساء منهن أم سليم، وغلام أسود يقال له أنجشة يحدو، فنشطت الرواحل وغلظت حركتها، فقال له النبي ﷺ: "يا أنجشة رويدك، سَوقاً بالقوارير" [بخ ٦١٤٩، ٦١٦١، ٦٢٠٩، ٦٢١١]. شبه النساء بالأواني الزجاجية، لرقتهن وعدم تحملهن المشقة]

٢- وقد عثرت ناقته ذات مرة - ومعه عليها زوجته صفية - فطرحتهما على الأرض، فلحق بهما أبو طلحة رضي الله عنه، فقال له النبي ﷺ: "عليك بالمرأة" [بخ ٦١٨٥]. ويظن الناس أن عبارة: (Ladies first) [أي النساء أولاً في التقديم على الآخرين] من مبتكرات الحضارة الغربية، فتأملوا!.

٣- روى أنس أن النبي ﷺ قال : " من عال جاريتين حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين " ، وضم أصابعه [بخ ٥٩٩٥، م ٢٦٣١] .

٤- وقال ﷺ : "من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن، كن له ستراً من النار" [بخ ٥٩٩٥، ٢٦٣١] .

٥- وكان عليه السلام يحب بناته حباً جماً. فقد رُوِيَ "أن ابنته فاطمة رضي الله عنها كانت عندما تأتيه يقوم لها، ويأخذ بيدها ويقبلها، ويجلسها في مكانه الذي كان يجلس فيه" [أبو داود ٥٢١٧] .

٦- وقال ﷺ : "إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وَجْدِ أمة من بكائه" [بخ ٧٠٧، م ٤٧٠] .

١٥- رحمته بزوجاته :

كان ﷺ : كثيرا ما يوصي بالزوجات خيراً، ويقول : "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأ هلي [تر (٣٨٩٢)، وصححه الألباني]، و: "ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم" [ابن ماجه (١٩٧٨، صحيح)، على شرط الشيخين]. وأوصى بهن خيرا في حجة الوداع، كما ذكرنا ذلك في مكانه. وقال: "حبب إلى من الدنيا الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة" [الحاكم (٢/ ١٦٠)، صحيح، وأحمد (٣/ ١٩٩، ٢٨٥)، واللفظ له، حسن].

ومن دلائل شدة احترامه وحبه لزوجته خديجة رضي الله عنها، أن كان ليذبح الشاة، ثم يهديها قطعاً قطعاً إلى خلائلها [صديقاتها] وذلك بعد مماتها. وقد أقرت عائشة رضي الله عنها بأنها كانت تغار من هذا المسلك منه [بخ ٣٨٢١].

وقال ﷺ : "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم" . [أحمد، حسن، الترمذي ١١٦٢، حسن صحيح]، وفي رواية : "إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله" [الترمذي، حسن صحيح وأحمد، صحيح لغيره].

وقال : "إن من أعظم الأمور أجراً النفقة على الأهل" [م ٩٩٤، ٩٩٥].

١٦- رحمته بالضعفاء عموما:

لقد بعث الرسول ﷺ رحمة [م ٢٥٩٩، بخ، الأدب المفرد ٣٢١]. للعالمين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ويقول ﷺ عن هذه الرحمة الإلهية : "لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي غلبت غضبي" [بخ ٣١٩٤]. وشملت رحمته ﷺ الضعفاء حتى وهو في الصلاة. فقد أوصى الأئمة قائلا : "إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن فيهم السقيم والضعيف والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء"، وفي رواية : "إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة" [بخ ٧٠٤ - ٤٦٨].

وشملت رحمته الخدم والأرقاء، وأهل الذمة،وفي ذلك قال :

١- على المسلم أن يعامل خادمه أو مولاه كأخ له. فقد روى أبو ذر رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : "هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم. فإن كلفتموهم فأعينوهم" [م ١٦٦٣].

٢- روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : "إذا صنع لأحدكم خادمه طعامه ثم جاء به، وقد وَلِيَ حَرَه ودخانه، فليقعد معه فليأكل، فإن كان الطعام قليلا فليضع في يده منه أكلة أو أكلتين" أي لقمة أو لقمتين [م ١٦٦٣] .

وحث على إعالة الأرامل والمساكين، فقال : "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار، ويقوم الليل" [بخ ٦٠٠٦]. وقال: "اللهم إني أُحَرِّجُ - أي ألحق الحرج والأثم - بمن ضيع حق الضعيفين: اليتيم والمرأة " [أحمد (٢/ ٤٣٩)، حسن؛ مج (٣٦٧٨)]. وقال: "أبغوني الضعفاء، فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم " [أحمد (٢١٧٣١)،

صحيح، وأبو داود، ٢٥٩٤، صحيح ؛ بخ بنحوه في الجهاد].

وشملت رحمته حتى البهائم، قال : "ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه إنسان أو دابة له إلا كان صدقة" [بخ ٦٠١٢]. وقال : "بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا، فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له " قالوا : يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً ؟ فقال "في كل ذات كبد رطبة أجر" [بخ ٦٠٠٩].

١٧- رحمته بالأعداء في الحرب والسلم :

كان الرسول ﷺ يصلي الفجر مع المسلمين في الحديبية، فنزل سبعون أو ثمانون رجلاً من التنعيم يريدون الفتك بالمسلمين، فأخذوا، فأعتقهم رسول الله ﷺ دون عوض، ولا عقاب [م ١٨٠٧، أحمد (١٦٨٠٠)، صحيح]. وكرر المحاولة نفسها ثلاثون شاباً منهم، فعفا عنهم. [حم (١٦٨٠٠)، صحيح)].

وقد قبل الفداء من أسرى بدر، وعفا عن قريش وأهل مكة، يوم فتح مكة، وأطلق سراح أسرى حنين. [سبق ذكره].

وعفا عن غورث بن الحارث مع محاولته قتل الرسول ﷺ، فجاء غورث إلى قومه بعد هذا، فقال لهم : جئتكم من عند خير الناس [سبق ذكره].

وروى البخاري [١٣١٢] أنه مر عليه بجنازة، فقام لها، فقالوا يا رسول الله ﷺ : إنها جنازة يهودي !! فقال: "أليست نفسا منفوسة؟ ". ونهى ﷺ عن قتل النساء والصبيان والأجراء، ما داموا غير مشاركين في قتال المسلمين [سبق ذكره]. فكان إذا أرسل بعثاً أو جيشاً أوصاهم قائلا : "لا تغلوا، لا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً "[م ١٧٣١].

وكان له خادم يهودي، فكان إذا مرض عاده، فعاده مرة، وهو على فراش الموت، فعرض عليه الإسلام، وأبوه حاضر، فقال له : أطع أبا

القاسم، فأسلم، فقال الرسول ﷺ : "الحمد لله الذي أنقذه من النار" . [بخ ١٣٥٦، ٥٦٥٧].

١٨- عدله ﷺ:

ذكرنا من قبل بمناسبة الكلام عن غزوة الفتح أن الرسول ﷺ رفض شفاعة أسامة بن زيد رضي الله عنه في المرأة المخزومية التي سرقت، وأهم أمرها قريشا، فقال : "والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" .

١٩- حثه ﷺ على صلة الأرحام :

لقد أخبر الرسول ﷺ أصحابه بأن من أحب الأعمال إلى الله - تعالى - بر الوالدين [بخ ٥٩٧٠].

قال له رجل من الصحابة : "يا رسول الله : من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال : أمك، قال ثم من؟ قال أمك. قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أبوك" [بخ ٥٩٧١، ٢٥٤٨].

وقال رجل للنبي ﷺ : "أجاهد؟ قال : ألك أبوان؟ قال : نعم، قال : ففيهما فجاهد " [بخ ٥٩٧١، م ٢٥٤٨].

وجعل عقوق الولدين من أكبر الكبائر، قال لأصحابه : "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالها ثلاثا، فقال الصحابة رضي الله عنهم : بلى يا رسول الله، قال : الإشراك بالله، وعقوق الوالدين . . ." [بخ ٥٩٧٦]. وقال. "إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات . . ." [بخ ٥٩٧٥]. وحَثَّ حتى على صلة الوالدين المشركين والأقارب المشركين [بخ ٥٩٧٨، ٥٩٧٩، ٥٩٨١].

وجعل صلة الرحم من أسباب دخول الجنة [بخ ٥٩٨٢ وغيره] [بخ ٥٩٨٥ - ٥٩٧٦، م ٢٥٥٧]، وقطعها من أسباب دخول النار. قال : "لا يدخل الجنة، قاطع " أي قاطع رحم. [بخ ٥٩٨٤].

وقال رجل للنبي ﷺ : يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم، ويجهلون عليَّ، فقال : "لئن كنت كما قلت، فإنما تسفهم التملَّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك" [م ٢٥٥٨]، والملَّ : الرماد الحار].

٢٠- إعراضه ﷺ عما يكرهه:

ورُوِيَ عن أنس أنه كان عنده رجل به أثر صفرة - وكان ﷺ لا يكاد يواجه أحداً بشيء يكره - فلما قام الرجل، قال النبي للقوم : "لو قلتم له يدع هذه الصفرة" [أحمد، حسن، تر، د، صحيح]، لأن الصفرة من أثر طيب النساء، ويكره للرجل أن يتطيب بما له لون، بل يتطيب بما له رائحة فقط.

أيها القارئ الكريم: لله در من قال:

(١) ويعلم الله ما قلبت سيرته ... يوماً فأخطأ دمع العين مجراه

(٢) ومما زادني شرفاً وتيهاً ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن صيرت أحمد لي نبياً

(٣) والله ما طلعت شمس ولا غربت ... إلا وحبك مقرون بأنفاسي

ولا جلست إلى قوم أحدثهم ... إلا وأنت حديثي بين جلاسي

(٤) إن فاتكم أن تروه بالعيون فما ... يفوتكم وصفه هذي شمائله

مكملُ الذات في خَلْقٍ ... وفي صفات فلا تحصى فضائله

❑ ❑ ❑

الفصل السادس

بعض خصائص النبي ﷺ

١- جمع الله سبحانه وتعالى فيه ما تفرق من كمالات الأنبياء، وهو ما وقفنا عليه من شمائله الخَلْقِية والخُلُقية.

٢- أخذ الله سبحانه وتعالى له العهد والميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه [آل عمران : ٨١؛ أحمد(٣/ ٣٨٧)].

٣- صاحب الرسالة العامة. [سبأ : ٢٨؛ م (٥٢١)، بخ : الفتح (١/ ٥٣٣)].

٤- أكثر الأنبياء تبعاً. [م (٣/ ٧٣/ النووي)].

٥- خاتم الأنبياء والمرسلين. [الأحزاب : ٤٠؛ بخ (٣٥٣٥)؛ م (١٩٤)].

٦- حماية الله سبحانه وتعالى لكتابه من التحريف والتبديل، وجعله معجزة. [الحجر : ٩].

٧- جعله الله سبحانه وتعالى أَمَنَةً لأصحابه من العذاب والفتن في حياته ﷺ. [الأنفال : ٣٣؛ م (٢٥٣١)].

٨- إقسام الله عز وجل بحياته ﷺ، تعظيماً له. [الحجر : ٧٢].

٩- يسأل الله عنه الميت في قبره. [حم (٦/ ١٣٩/ صحيح)].

١٠- النداء بوصف الرسالة والنبوة، للدلالة على الزيادة في التكريم. [المائدة : ٧٦؛ الأنفال : ٦٤].

١١- نهى الله عز وجل المؤمنين عن مناداته باسمه، زيادة في التكريم. [النور: ٦٣؛ الأحزاب : ١؛ المائدة : ٦٧؛ آل عمران : ١٤٤؛ محمد : ٢].

١٢- تولى الله سبحانه وتعالى تبرئته عما ينسب إليه أعداؤه، والرد عليهم بنفسه. [القلم : ٢؛ النجم : ٢].

١٣- شرح الله تعالى صدره ووضع عنه وزره ورفع ذكره. [الشرح: ١-٤].

١٤- غفران الله تعالى له ماتقدم من ذنبه وما تأخر [الفتح: ٢].

١٥- خصه الله عز وجل بفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة والسبع الطوال والمفصل والمئين. [م (٦/ ٩١) النووي؛ الطيالسي (١٩١٨)؛ حم (٤/ ١٠٧)، حسن].

١٦- قرن الله عز وجل اسمه باسمه ﷺ. [التغابن: ١٢].

١٧- أعطي مفاتيح خزائن الأرض بيده. [بخ (٢٩٧٧)؛ م (٥٢٣)].

١٨- اختص بالإسراء والمعراج. [الإسراء: ١].

١٩- الرؤية من خلفه كما يرى من أمامه. [بخ (٤١٨)؛ م (٤٢٤)].

٢٠- اختص بصلاة العشاء عن سائر الأنبياء. [م (٥/ ١٤٠/ النووي؛ بخ (٢٦٦)].

٢١- فضل بدرجة الوسيلة والفضيلة يوم القيامة. [م (٣/ ٦٥، النووي)؛ تر (٢٥٥١)].

٢٢- شرفه الله عز وجل بالمقام المحمود والشفاعة يوم القيامة. [طبت (١٥/ ٩٧)؛ ابن حجر: الفتح (١١/ ٤٣٥) و (٣/ ٣٩٨)].

٢٣- أول من تشق الأرض عنه يوم القيامة. [بخ (الفتح (٧/ ٢٥٤)؛ م (١٥/ ١٣٠ / النووي)؛ تر (٣٣٧٩) - صحيح].

٢٤- أول من يقرع باب الجنة. [م (١٩٦)].

٢٥- كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببه ونسبه. [الطبراني المجمع (٤/ ٢٧١-٢٧٢/ حسن)؛ حك (٣/ ١٤٢/ صحيح)].

٢٦- أول من يمر على الصراط. [بخ (١٤/ ٢٥٩، ٢٤١)؛ م (٣/ ٧٣)].

٢٧- أعطي الكوثر. [الكوثر: ١].

٢٨- ما بين منبره وبيته روضة من رياض الجنة. [بخ (١٨٨٨)؛ م (١٣٩٠)].

٢٩- مستجاب الدعوة. [بخ (٦٣٠٤)؛ م (١٩٩)].

٣٠- جعلت أمته خير الأمم. [البزار: المجمع (٨/ ٢٦٩)، جيد].

٣١- تحريم التكني بكنيته حال حياته. [بخ (٦١٨٧، ٦١٩٠)؛ م (٢١٣١)؛ تر (٢٦٤٤)؛ بخ: المفرد (٨٤٤) - حسن].

٣٢- تحريم الزكاة والصدقة عليه وعلى آله وعلى موالي آله. [م (٧/ ١٧٩، ١٨١/ النووي)].

٣٣- إسلام قرينه. [م (١٧/ ١٥٧/ النووي)؛ حم (٣٨٥، ٣٩٧)].

٣٤- التبرك بعرقه، [م (٢٣٣١، ٢٣٣٢)]، وببوله. [الطبراني: الكبير (٢٤/ ١٨٩، ٢٠٥)؛ السيوطي: الخصائص (٢/ ٢٥٢)، وصححه]، وبدمه [الطبراني والبزار: المجمع (٨/ ٢٧٠) - حسن].

٣٥- أبيح له الوصال في الصوم. [بخ (١٩٦١، ١٩٦٤)؛ م (١١٠٢، ١١٠٥)].

٣٦- أبيح له الزواج بأكثر من أربع نسوة. [الأحزاب: ٥٠؛ بخ (١٣٨)؛ م (٦/ ٤٤ - ٤٥/ النووي)].

٣٧- أبيح له الزواج من غير ولي ولا شهود. [بخ (٧٤٢٠)].

٣٨- لا ينقض وضوؤه بالنوم مضجعاً. [بخ (١٣٨)، م (٦/ ٤٤ - ٤٥)].

٣٩- تقبل شهادة واحد شهد له في البيع ولم يحضر. [د (٣٦٠٧)؛ ن (٨/ ٣٠١) ح الحاكم (٢/ ١٧٧)، صحيح)].

٤٠- أزواجه أمهات المؤمنين، ومحرمات على غيره أبداً. [الأحزاب :٦].

٤١- من رآه في المنام فقد رآه حقاً، لأن الشيطان لا يتمثل به. [بخ (١١٠)؛ م (٢٢٦٦)].

٤٢- من استهان به أو سبه كفر. [التوبة: ٦١؛ د (٤٣٦١)؛ ن (٧/ ١٠٧) - صحيح].

٤٣- معصوم في الأقوال والأفعال والبدن. [النجم :٢ - ٣؛ تهذيب الخصائص،

ص ٤٣٤].

٤٤- حرم عليه خائنة الأعين. [د (٤٣٥٩)؛ ن (٧/ ١٠٥، ١٠٦؛ الحاكم (٣/ ٤٥) / صحيح].

٤٥- من دعا عليه أو سبه من المؤمنين يكون كفارة له. [سبق دكره].

٤٦- تقدم نبوته قبل نفخ الروح في آدم عليه السلام. [حم (٥/ ٥٩)؛ بخ: الكبير (٧/ ٤٧) / صحيح].

٤٧- أبيح له النافلة بعد العصر. [م (٨٣٥)؛ بخ (١٢٣٣) بنحوه].

٤٨- رؤياه حق. [سبق ذكره].

٤٩- تشريفه بالصلاة عليه. [الأحزاب: ٥٦؛ م (٤٠٨)].

٥٠- الصلاة على جنازته أفراداً وبغير دعاء الجنازة المعروف. [سبق ذكره].

٥١- دفنه حيث قبض. [سبق ذكره].

٥٢- وصول سلام أمته إليه. [حم (٣٦٦٦) - صحيح].

٥٣- لا يتثاءب، لأن ذلك من الشيطان. [بخ (٥٨٧٢)].

[وانظر كتابنا: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، المطول، فقد ذكرنا فيه (١٢٠) خصيصة للنبي ﷺ].



ثبت المصادر والمراجع

أ - المصادر القديمة

• القرآن الكريم.

١/ ابن الأثير : علي بن محمد بن محمد الجزري (ت - ٦٣٠هـ):
- أسد الغابة في معرفة الصحابة : دار الشعب، القاهرة، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

٢/ الأزرقي : أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي (ت ٢٥٠هـ)
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار : تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الثقافة، بيروت ومكة المكرمة، ط٣، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣/ ابن إسحاق : محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت ١٥١هـ).
- السير والمغازي : تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٤/ السيرة النبوية: شرح ابن هشام، وتحقيق الدكتور همام سعيد ومحمد عبد الله أبو صعيليك، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

• بحرق : محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي (ت٩٣٠هـ).

٥/ حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار ﷺ، المنسوب خطأ إلى ابن الديبع: اعتنى به محمد غسان نصوح عزقول، دار الحاوي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

• البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)

٦/ التاريخ الكبير : جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن -

الهند، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

٧/ الأدب المفرد : حققه وقابله على أصوله سمير بن أمين الزهيري، مستفيداً من تخريجات وتعليقات الألباني، مكتبة المعارف، الرياض ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٨/ الجامع الصحيح : المكتب الإسلامي، إستانبول، تركيا، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

- البكري : أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ).

٩/ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع : تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ط١، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م.

- البلاذري : أحمد بن يحي بن جابر (ت ٢٧٩هـ)

١٠/ أنساب الأشراف : تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، مصر، د. ت.

- البيهقي : أحمد بن الحسين بن علي (ت٤٥٨هـ)

١١/ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة : الدكتور عبد المعطي قلعه جي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٢/ السنن الكبرى : دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الدكن الهند، ط١، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م.

١٣/ شعب الإيمان : تحقيق البسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م وتحقيق آخر لمحمد السعيد بسيوني، ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ

- الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ).

١٤/ سنن الترمذي : أشرف على التعليق والطبع عزت عبيد الدعاس، دار

مكتبة دار الدعوة، حمص - سورية، ١٣٨٥هـ -١٩٦٥م.

١٥/ مختصر الشمائل المحمدية : اختصار وتحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية بالأردن ومكتبة المعارف بالرياض، ط٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

١٦/ شمائل النبي ﷺ : حققه وخرّج أحاديثه الشيخ ماهر ياسين فحل، أشرف عليه وراجعه الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

- ابن الجوزي : أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)

١٧/ زاد المسير في علم التفسير : المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

- الوفا بأحوال المصطفى : تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

- ابن أبي حاتم : أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)

١٨/ الجرح والتعديل : دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ط١، ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م، ودائرة الكتب العلمية، بيروت.

- الحاكم : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (ت٤٠٥هـ)

١٩/ المستدرك على الصحيحين : مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، د. ت.

- ابن حبان : أبو حاتم محمد بن حبان أحمد البستي (ت ٣٥٤هـ).

٢٠/ السيرة النبوية وأخبار الخلفاء : تصحيح وتعليق الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/

١٩٨٧م.

٢١/ صحيح ابن حبان : المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط١، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

- ابن حبيب : أبو جعفر محمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ).

٢٢/ المحبر : رواية أبي سعد الحسن بن الحسين السكري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د. ت. وطبعة دائرة المعارف الإسلامية، حيدر آباد، الدكن، سنة ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م.

- ابن حجر : أحمد بن علي بن محمد الكناني (ت ٨٥٢هـ).

٢٣/ الإصابة في تمييز الصحابة : مطبعة السعادة، مصر، ط ١، ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م.

٢٤/ فتح الباري شرح صحيح البخاري : مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

- ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعد (ت٤٥٦هـ).

٢٥/ الفصل في الملل والأهواء والنحل : المطبعة الأدبية، القاهرة، ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م.

- الحموي : ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (٦٢٦هـ).

٢٦/ معجم البلدان : دار صادر، بيروت، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.

- الحميدي : أبو بكر عبد الله بن الزبير (ت ٢١٩هـ).

٢٧/ مسند الحميدي : تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، من سلسلة منشورات المجلس العلمي، كراتشي - باكستان، عالم الكتب، بيروت، د. ت.

- ابن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ).

٢٨/ المسند : المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٢٩/ المسند : تحقيق أحمد محمد شاكر، لم يذكر الناشر، مصر، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

٣٠/ المسند (الموسوعة الحديثية) : تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرين، إشراف الدكتور عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٣١/ فضائل الصحابة : تحقيق وصي الله بن محمد عباس، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م.

- ابن خياط : خليفة بن خياط العصفري (ت ٤٦٣هـ).

٣٢/ تاريخ خليفة بن خياط : تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

- الدارمي : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل (ت ٢٥٥هـ).

٣٣/ سنن الدارمي : طبع بعناية محمد أحمد دهمان، دار إحياء السنة النبوية، القاهرة، د.ت.

- أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ).

٣٤/ سنن أبي داود مع معالم السنن للخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد ابن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي (ت ٣٨٨هـ)، إعداد وتعليق عبيد الدعاس، نشر وتوزيع محمد علي السيد، سورية، ط ١، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

٣٥/ المراسيل : تحقيق عبد العزيز السيرواني، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- أبو داود : سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي (ت٢٠٤هـ).

- مسند الطيالسي : ترتيب أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي، المنيرية بالأزهر، مصر، ط، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م.

- الديار بكري: حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦هـ).

٣٦/ تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس : مؤسسة شعبان، بيروت، د. ت، والمطبعةالوهبية، مصر، رجب، ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م.

- الذهبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ).

٣٧/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : مجلد قسم السيرة ومجلد قسم المغازي، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

- ابن زبالة : محمد بن الحسن بن زبالة (ت ١٩٩هـ).

٣٨/ المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ، رواية الزبير بن بكار : تحقيق الدكتورأكرم ضياء العمري، إحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣٩/ الزرقاني: محمد بن عبد الباقي بن يوسف أبو عبد الله "ت ١١٢٢هـ" . شرح المواهب اللدنية للقسطلاني محمد بن أبي بكر شهاب الدين أبو العباس (٩٣٢هـ)، دار الطباعةالأميرية، مصر، ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م.

٤٠/ شرح موطأ الإمام مالك بن أنس : مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٤م.

- الزركشي : محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ).

٤١/ إعلام الساجد بأحكام المساجد: تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي، لجنة إحياء التراثالإسلامي، القاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

- ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ).

٤٢/ الطبقات الكبرى : دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

- السمهودي : علي بن عبد الله بن أحمد الحسيني (ت ٩١١هـ).

٤٣/ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى : مطبعة الآداب والمؤيد، مصر، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م

• السهيلي : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي (٥٨١هـ).

٤٤/ الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية : لابن هشام، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

• ابن سيد الناس: محمد بن محمد أبو الفتح اليعمري المصري (ت ٧٣٤هـ).

٤٥/ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير : دار المعرفة، بيروت، د.ت.

• السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ).

٤٦/ تهذيب الخصائص النبوية الكبرى : هذبه وخرج أحاديثه وعلق عليه الشيخ عبد اللهالتليدي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ. . . .

• ابن شبة: أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت ٢٦٢هـ).

٤٧/ تاريخ المدينة المنورة : تحقيق فهيم محمد شلتوت، نشر السيد حبيب محمود أحمد، دار الأصفهاني، جدة، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٤٨/ كتاب: أخبار المدينة النبوية، ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ عبد الله الدويش، المجلدات: ٦ ج١، ٦ ج٢، ٦ ج٣، أشرف على طبعها وتصحيحها عبد العزيز بن أحمد المشيقح، دار العليان، بريدة، السعودية، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م

• ابن أبي شيبة : أبو بكر عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥هـ).

٤٩/ كتاب المغازي : تحقيق الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم العمري، دار إشبيليا، السعودية، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٥٠/ المصنف في الأحاديث و الآثار : تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م، وله طبعات أخرى.

• أبو الشيخ : عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني (تـ ٣٦٩هـ).

٥١/ أخلاق النبي ﷺ وآدابه : تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٥٢/ أخلاق النبي ﷺ وآدابه : دراسة وتحقيق عصام الدين سيد الصَّبابطي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

• الصالحي : محمد بن يوسف الصالحي (ت ٩٤٢هـ).

٥٣/ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد : تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد وآخرين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م = ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

• الطبراني : أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ)

٥٤/ المعجم الكبير : تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، وزارة الأوقاف العراقية، إحياءالتراث الإسلامي، العراق، ط ١، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

٥٥/ المعجم الكبير : تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت.

• الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد (ت ٣١٠هـ).

٥٦/ تاريخ الرسل والملوك : دار المعارف، مصر، ط٤، د.ت.

٥٧/ جامع البيان عن تأويل أي القرآن : تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، د. ت

• طرهوني : الشيخ محمد بن رزق بن طرهوني.

٥٨/ صحيح السيرة النبوية المسماة : السيرة الذهبية : دار ابن تيمية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ.

٥٩/ ابن طولون : محمد بن طولون الدمشقي (ت ٩٥٣هـ).

٦٠/ إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين : تحقيق محمود الأرناؤوط،

مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

• ابن أبي عاصم : أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت ٢٨٧هـ).

٦١/ كتاب السنة، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة : لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ.

• ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري (ت ٤٦٣هـ)

٦٢/ الاستيعاب في معرفة الأصحاب : بهامش الإصابة لابن حجر.

٦٣/ الدرر في اختصار المغازي والسير : تحقيق الدكتور شوقي ضيف، القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

• عبد الرزاق : بن همام بن نافع أبو بكر الصنعاني (ت ٢١١هـ).

٦٤/ المصنف : تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

• أبو عبيد : القاسم بن سلام البغدادي اللغوي (ت ٢٢٤هـ).

٦٥/ الأموال : تحقيق وتعليق محمد خليل هراس، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ودار الفكر، القاهرة، بيروت، ط٢ ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

٦٦/ عروة : بن الزبير بن العوام (ت ٩٣هـ).

- المغازي : برواية أبي الأسود عنه، جمع وتحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، مكتبة التربية العربية لدول الخليج، الرياض، ط١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٦٧/ ابن عساكر: على بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم الدمشقي (ت ٥٧١هـ).

- تاريخ مدينة دمشق : قسم السيرة النبوية، تحقيق نشاط غزاوي،

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دار الفكر، دمشق ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

- ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكاتب الدينوري (ت ٢٧٦هـ).

٦٨/ المعارف : تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

- ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥٢هـ).

٦٩/ زاد المعاد في هدي خير العباد : تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٣، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ).

٧٠/ البداية والنهاية : تحقيق محمد عبد العزيز النجار، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، ويطلب من مكتبة الفلاح بالرياض، د.ت.

٧١/ البداية والنهاية : تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر الطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٧٢/ تفسير القرآن العظيم : تحقيق محمد إبراهيم البنا وزميليه، كتاب الشعب، القاهرة١٣٩٠هـ / ١٩٧١م.

- ابن ماجه : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ).

٧٣/ سنن ابن ماجه : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، د ار الفكر العربي، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

- مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ).

٧٤/ صحيح مسلم : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- المنذري : أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦هـ).

٧٥/ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف : تحقيق الشيخ مصطفى محمد عمارة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

- النسائي : أبو عبد الرحمن بن شعيب (ت ٣٠٣هـ)

٧٦/ سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م.

٧٧/ عمل اليوم والليلة : تحقيق د. فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

- النووي : أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)

٧٨/ شرح صحيح مسلم : دار الفكر، بيروت، د.ت

- أبو نعيم : أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ).

٧٩/ دلائل النبوة : تحقيق الدكتور محمد رواس قلعه جي، وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م.

٨٠/ ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨هـ).

- السيرة النبوية : تحقيق الدكتور همام عبد الرحيم سعيد ومحمد عبد الله أبو صعيليك، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

٨١/ الهيثمي : أبوبكر نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت ٨٠٧هـ).

- كشف الأستار عن زوائد البزار : مؤسسة الرسالة، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٨٢/ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : دار الكتاب، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٨٣/ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان : تحقيق محمد بن عبد الرزاق حمزة، دار مكتبةالهلال، بيروت، د.ت.

• الواحدي : أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت ٤٦٨هـ).

٨٤/ أسباب النزول : مطبعة هندية، مصر، ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م.

- الواقدي : محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ).

٨٥/ كتاب المغازي : تحقيق الدكتور مارسدن جونس، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

• اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٢هـ).

٨٦/ تاريخ اليعقوبي : دار صادر، بيروت ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م.

ب - المراجع الحديثة

• آرثر كريستنسن :

٨٧/ إيران في عهد الساسانيين : ترجمة يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت

• الألباني : محمد ناصر الدين الألباني.

٨٨/ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل : المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٨٩/ تخريج أحاديث فقه السيرة : للغزالي، بحاشية فقه السيرة للغزالي.

٩٠/ حجة النبي ﷺ : المكتب الإسلامي، بيروت، ط٧، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٩١/ دفاع عن الحديث النبوي والسيرة والرد على جهالات الدكتور البوطي في كتابه " فقه السيرة "، مؤسسة ومكتبة الخافقين، دمشق، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

٩٢/ صحيح سنن الترمذي : مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط،١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٩٣/ صحيح سنن بن ماجه : المكتب الإسلامي، بيروت،ط١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .

- الآلوسي : محمود شكري.

٩٤/ بلوغ الأرب في أحوال العرب : تحقيق بهجت الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م .

- الباتلي: أحمد عبد الله الباتلي.

٩٥/ "ماء زمزم لما شرب له "، مقال منشور بمجلة الحرس الوطني السعودي، السنة ١٥، عدد ١٤٢، ذو الحجة، ١٤١٤هـ/ مايو / يونيو ١٩٩٤م.

- الباكري : حسين أحمد الباكري .

٩٦/ مرويات غزوة أحد : رسالة علمية جامعية غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- باموسى: د. عبد الله بن عمر باموسى.

٩٧/ الحبة السوداء في الحديث النبوي والطب الحديث، بحث من منشورات "ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية"، في الفترة من ١٥- ١٧/ ٣/ ١٤٢٥هـ/ الموافق ٤/ ٦/ ٥/ ٢٠٠٤م.

٩٨/ باوزير : أحمد محمد العليمي باوزير .

٩٩/ مرويات غزوة بدر: رسالة علمية غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، مكتبة طيبة، ط١، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

- أبوبكر الجزائري:

١٠٠/ هذا هو الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب، مكتبة لينة، دمنهور، مصر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- البلادي : عاتق بن غيث.

١٠١/ معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية : دار مكة، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٧٨م.

- البوطي : الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

١٠٢/ فقه السيرة النبوية : دار الفكر، دمشق، ط٧،١٣٩٨هـ - ١٩٨٢م.

- بوكاي : موريس.

١٠٣/ دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة : دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

- الجميل : أ. د. محمد بن فارس الجميل.

١٠٤/ النبي ﷺ ويهود المدينة : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١ ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

- الجميلي: د. السيد الجميلي.

١٠٥/ إعجاز الطب النبوي، دار ابن زيدون، بيروت.

- حامد عبد القادر.

١٠٦/ زرادشت الحكيم : نبي قدامى الإيرانين، حياته وفلسفته، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م.

- حسن شحاتة سلطان.

١٠٧/ كونفوشيوس : مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م.

- ابن حميد : صالح بن عبد الله بن حميد.

١٠٨/ موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول ﷺ الكريم: أعداد

مجموعة من المختصين، بإشراف صالح بن حميد وعبد الرحمن بن ملوح، دار الوسيلة، جدة، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

- الحكمي : حافظ بن محمد بن عبد الله الحكمي .

١٠٩/ مرويات غزوة الحديبية: رسالة علمية غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، المجلس العلمي، إحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

- خاطر: د. خليل إبراهيم ملا خاطر.

١١٠/ الإصابة في صحة حديث الذبابة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.

- الدوم: محمد حسن الدوم.

١١١/ مرويات غزوة فتح مكة : رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١١٢/ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي.

١١٣/ إظهار الحق : إدارة إحياء التراث الإسلامي، الدوحة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

- الرباط : عزة عمر الرباط.

١١٤/ البيئة وجزور التربية البيئية : مطبعة الصباح، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

- أبو زهرة : الشيخ محمد أبو زهرة.

١١٥/ الديانات القديمة : دار الفكر العربي، مصر، ١٣٨٥هـ - ١٩٥٦م.

- زهير سالم.

١١٦/ عثرات وسقطات في كتاب المنهج الحركي للسيرة النبوية : دار عمار، الأردن، ط١١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

• الساعاتي : أحمد بن عبد الرحمن البنا.
١١٧/ الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع بلوغ الأماني في أسرار الفتح الرباني : دار الشهاب، القاهرة، د. ت
• السامرائي : عبد الله سلوم.
١١٨/ الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، رسالة ماجستير منشورة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
• السعود : سليمان بن علي السعود.
١١٩/ أحاديث الهجرة : رسالة علمية غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م .
• السندي : أكرم حسين علي السندي .
١٢٠/ مرويات تاريخ يهود المدينة في عهد النبوة : رسالة علمية غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
• السندي: عبد القادر حبيب الله السندي .
١٢١/ الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك : رسالة علمية غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير،مكتبة المعلا ، الكويت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
• الشامي : صالح أحمد الشامي.
١٢٢/ من معين السيرة : المكتب الإسلامي، بيروت،ط١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .
• الشطي: د. محمد إياد الشطي.
١٢٣/ الطب النبوي في ضوء العلم الحديث، دراسة علمية موثقة بالتحاليل
• صباريني والحمد : محمد سعيد صَبَّاريني ورشيد الحمد.
المختبرية والأبحاث الفيزيولوجية، دار المعاجم، ط١، ج١، دمشق،

١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.

- أبو شهبة : محمد محمد.

١٢٤/ السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة : دار القلم، دمشق، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

- الشهري : عوض أحمد سلطان الشهري.

١٢٥/ مرويات غزوة خيبر رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

١٢٦/ التوراة السامرية : نشر وتعريف الدكتور حجازي السقا، دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

- الصوياني : محمد.

١٢٧/ السيرة النبوية الصحيحة : قراءة جديدة -، مؤسسة الريان، ط١، الرياض، ١٤٢٠هـ /

١٢٨/ القصيمية : دراسة نقدية لنصوص السيرة النبوية دار طيبة، ط١، الرياض، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

- عبد الصمد: محمد كامل عبد الصمد.

١٢٩/ الإعجاز العلمي في الإسلام - السنة النبوية، الدار المصرية اللبنانية، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

- عرجون : محمد الصادق إبراهيم عرجون .

١٣٠/ محمد رسول الله ﷺ - منهج رسالة - : دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- العمري : الدكتور أكرم ضياء العمري.

١٣١/ المجتمع المدني في عهد النبوة -الجهاد ضد المشركين - : لم يذكر الناشر ومكان النشر، ط١ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٣٢/ المجتمع المدني في عهد النبوة - خصائصه وتنظيماته الأولي : -

المجلس العلمي للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، إحياء التراث الإسلامي، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

- عمير إبراهيم بن محمد عمير.

١٣٣/ مرويات غزوة الخندق: رسالة علمية غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- العودة : الدكتور سليمان بن فهد العودة.

١٣٤/ السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق - دراسة مقارنة في العهد المكي - : رسالة علمية غير منشورة، قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض للحصول على درجة الدكتوراه، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- عون : الدكتور عون الشريف قاسم.

١٣٥/ دبلوماسية محمد ﷺ : رسالة دكتوراه منشورة، قسم التأليف والنشر، جامعة الخرطوم، د. ت.

- الغزالي : محمد.

١٣٦/ فقه السيرة : عالم المعرفة، ط٧، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٦ م.

- غزي: عبد العليم عبد السميع غزي.

١٣٧/ "حبة البركة، إعجاز إلهي في خلقه "، مقال بمجلة الأزهر، ج٧، السنة ٧١، رجب ١٤١٩هـ/ نوفمبر ١٩٩٨م.

- الغضبان : منير محمد.

١٣٨/ المنهج الحركي للسيرة النبوية، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- فارس : م. منير فارس.

١٣٩/ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة : مكتبة بن كثير - و : دار ابن

حزم، الكويت، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

- قريبي : الدكتور إبراهيم بن إبراهيم قريبي.

١٤٠/ مرويات غزوة حنين رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الدكتوراه، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

١٤١/ مرويات غزوة بني المصطلق : رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، المجلس العلمي، إحياء التراث الإسلامي، د. ت.

- المباركفوري : الشيخ صفي الرحمن المباركفوري.

١٤٢/ الرحيق المختوم : بحث في السيرة النبوية، دار الوفاء المنصورة، مصر، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

- محمد رواس قلعه جي : الأستاذ الدكتور.

١٤٣/ دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ من خلال سيرته الشريفة : دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- مرزوق: مرزوق علي إبراهيم.

١٤٤/ معجزة الشفاء بالحبة السوداء، دار الاعتصام، القاهرة، بدون تاريخ.

١٤٥/ مساهل: د. فاروق مساهل.

١٤٦/ " الإعجاز الطبي في الحديث النبوي، النخالة" ، مقال منشور بمجلة "الوعي الإسلامي" ، الكويت، عدد ٢٤٠، ذو الحجة ١٤٠٤هـ/ سبتمبر ١٩٨٤م.

- المصلح : أ. د. عبد الله بن عبد العزيز المصلح (وآخرون عددهم ١٢ دكتوراً).

١٤٧/ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة : دار جياد، جدة، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٤٨/ " الحبة السوداء شفاء من كل داء، كثيرة المنافع، عظيمة الفوائد " ،

مقال بمجلة منار الإسلام، دولة الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي، العدد الثامن، السنة الثامنة عشر، شعبان ١٤١٣هـ/ فبراير ١٩٩٣م.

- مهدي رزق الله أحمد : الأستاذ الدكتور.

١٤٩/ السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية :
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. والطبعة الثانية : دار إمام الدعوة للنشر والتوزيع، الرياض، ربيع الأول ١٤٢٤هـ. [من مجلدين].

- مطاوع: د. البدري محمد الهادي مطاوع.
- الندوي : أبو الحسن علي الحسني.

١٥٠/ السيرة النبوية : ، دار الشروق، جدة، ط١، ١٣٩٧ - ١٩٧٧م، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مطابع علي بن علي، الدوحة، ط١٠، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

- المصلح: أ.د. عبد الله بن عبد العزيز المصلح.

١٥١/ قواعد تناول الإعجاز العلمي والطبي في السنة، وضوابطه، بحث منشور، قدم في "ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية، في الفترة من ١٥ -١٧/ ٣/ ١٤٢٥هـ / ٤-٦/ ٥/ ٢٠٠٤م".

- نظمي: د. نظمي خليل موسى.

١٥٢/ " نبات الحبة السوداء بين السنة والعلم الحديث "، مقال بمجلة الهداية الشهرية البحرينية، عدد ١٨٠، سنة ١٥، صفر ١٤١٣هـ/ أغسطس ١٩٩٣م.

- هارون رشيد محمد إسحاق.

١٥٣/ صحيفة المدينة : دراسة حديثية وتحقيق، رسالة غير منشورة، قدمت لجامعة الملك سعود بالرياض للحصول علي درجة الماجستير، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

• الهندي : علي بن حسام الدين الهندي.
١٥٤/ كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال : مؤسسة الرسالة، بيروت / ط٥، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

• ياسين : الشيخ ياسين والدكتور محمد ياسين.
١٥٥/ محمد ﷺ عند علماء الغرب : دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

• يوسف : محمد حسني يوسف.
١٥٦/ الإعجاز العلمي في أسرار القرآن والسنة، م١، ط١، دار الكتاب العربي، سوريا، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

• ملاحظة : المصادر والمراجع التي ورد ذكرها أقل من ثلاثة مرات، أو كانت الاستفادة منها قليلاً جداً لم نذكرها هنا، واكتفينا بذكرها في حواشي الكتاب.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

❑ الفصل الثاني ❑

❑ الفصل الثالث ❑

❏ الفصل الرابع ❏

❏ الفصل الخامس ❏

❏ الفصل السادس ❏

❏ ❏ ❏